

أسماء بني يونس

ثقافة العولمة بين التفاعل والتكيف

في المجتمعات المسلمة والمعاصرة

أسماء بني يونس

ثقافة العولمة بين التفاعل والتكيف

أسماء بني يونس

ثقافة العولمة بين التفاعل والتكيف

في المجتمعات المسلمة والمعاصرة

Noor Publishing

Impressum
Bibliografische Information der Deutschen Nationalbibliothek: Die Deutsche Nationalbibliothek verzeichnet diese Publikation in der Deutschen Nationalbibliografie; detaillierte bibliografische Daten sind im Internet über http://dnb.d-nb.de abrufbar.

البيانات القانونية
معلومات ببليوغرافيـة للمكتبـة الوطنيـة الألمانيـة: المكتبـة الوطنية الألمانية تسـجل هذا الوطنية الألمانية. البيانات الببليوغرافية: http://dnb.d-nb.de المنشور في الببليوغرافيا

Coverbild / صورة الغلاف
www.ingimage.com

Verlag / دار النشر
Noor Publishing
ist ein Imprint der / is a trademark of
ICS Morebooks! Marketing SRL
4, Industriala street, 3100 Balti, Republic of Moldova
Email / البريد الإلكتروني
info@omniscriptum.com

Herstellung: siehe letzte Seite /
طبع: انظر آخر صفحة
ISBN / رقم دولي معياري للكتاب
978-3-330-80461-6

ثقافة العولمة بين التفاعل والتكيف في المجتمعات المسلمة و المعاصرة

د. أسماء عبد المطلب بني يونس

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى استقراء المجالات والميادين التي أثرت فيها ثقافة العولمة في واقع المجتمعات المسلمة المعاصرة، وتتبع علاقة مخرجاتها بالأيديولوجيا النظرية التي قامت عليها العولمة، ومن ثمّ مقارنة مخرجات هذه الثقافة وتأثيرها على المجتمعات المتقدمة ومجتمعات العالم الثالث والمجتمعات المسلمة في سبيل تقييمها، كما هدفت الدراسة إلى تتبع نماذج من المجتمعات التي تفاعلت مع العولمة وفق الهيئة التي حفظت لها خصوصياتها وأبقت على ثقافتها، ومكنت الدول المتفاعلة من اللحاق بركب الحضارة المادية دون المساس بحضارتها الروحية أو ثقافتها الخاصة، وأخيراً فقد سعت الدراسة إلى وضع تصور أولي للاستراتيجية التي تستطيع أن تبدأ منها المجتمعات المسلمة في تفاعلها مع العولمة، وقد نهجت في ذلك كله منهجي: الاستقراء ودراسة الحالة، وعرضت أسئلة الدراسة في ثلاثة مباحث ضمنتها محاور البحث التي توصلت من خلالها إلى الأهداف والاستنتاجات المعروضة في الخاتمة، حيث خصص المبحث الأول لتوضيح البنية المفاهيمية والأيديولوجية النظرية لثقافة العولمة، وقد عرضت من خلاله الجذور الأيديولوجية للعولمة وأبرز النظريات المؤثرة فيها، وخصص المبحث الثاني لبيان أدوات العولمة والأوساط التي أثرت فيها الثقافة التي حملتها، وأفردت المبحث الثالث لبيان المنهجية التي تتعاطى بها المجتمعات والدول المعاصرة مع ثقافة العولمة، حيث قدمت فيه أنماطاً من ثقافة التكيف والتفاعل، كما تتبعت النماذج الحضارية المعاصرة التي نجحت في تفاعلها مع العولمة دون أن يؤثر ذلك على خصوصياتها الثقافية والحضارية، وأخيراً قدمت الدراسة عرضاً لمشروع أولي لتعاطي المجتمعات المسلمة مع واقع العولمة وثقافتها وتحدياتها.

المقدمة

تسارعت عجلة التقدم في المجتمعات المعاصرة، حتى بات العقد وحدة زمنية لقياس التغير والتطورات، ومع هذا التسارع انضغط الزمان والمكان في هيئة لم تعد معها الأمم قادرة على الانعزال عن محيطها في الكرة الأرضية، فبات التفاعل خيارها الأمثل الذي تستطيع معه حفظ كيانها الثقافي والقومي، وإمّا أن تكون هذه الأمم أهلاً لهذا التفاعل فتؤثر وتتأثر بغيرها من المجتمعات والثقافات، وإمّا أن تجتاحها تيارات من الثقافات والعادات والقيم التي ضخمتها وسائل التقنيات الحديثة لتتجاوز الحدود القومية، ووفق هذا التصوّر للواقع يصير التفاعل مع ما يسمى بالعولمة تحدياً لجميع مجتمعات وثقافات الكرة الأرضية في العصور الحاضرة.

والمجتمعات المسلمة أولى المجتمعات بأن تعي علاقة التثاقف التي باتت ضرورة من ضرورات العصر، وهي إذ تعي هذه العلاقة تتفهم سنة من السنن الكونية التي ذكرها الله تعالى لخلقه ليدركوا بها الغاية من اختلافهم، فقال تعالى:" يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[١]، فالتعارف بين الشعوب والقبائل بات تثاقفاً بين المجتمعات والدول في العصر الحاضر، وإن تقديم الثقافة في هيئتها المعبرة عنها حقيقة، يعدّ الخيار الأمثل الذي بيّنه القرآن ، وهو الجدير بأن يحكم علاقات الأمم، ويلي هذا التقديم والتعارف أن يعطى العقل حريته في الاختيار وفي تقدير الحق من الباطل، وحتى لا يستغفل العقل ويسيّر ويوجّه في فكره ومعتقده لا بدّ أن يكون التعارف حقيقياً، بحيث تقدّم كلّ أمة ما لديها وما تؤمن به إزاء ما تقدمه غيرها من الأمم، فإن انفردت أمة بتمرير ثقافتها والسعي إلى اجتذاب الآخرين نحوها بأشكال المغريات وبتعطيل الوعي، لم تتحقق السنة من الاختلاف، وباتت العملية أشبه بغزو ثقافي وهيمنة غير مباشرة على العقول.

مشكلة الدراسة

ظهرت في الآونة الأخيرة مظاهر لأنماط سلوك وأسلوب حياة، تنبئ وفق اعتقاد الباحثة، عن انسياق المجتمعات المسلمة وراء ما تحمله ثقافة العولمة من قيم وعادات وسلوكيات، وانجذابها نحوها بشكل يعطل فاعليتها إزاء ما تتلقاه من تلك الثقافة، ورافق ذلك غياب الاستراتيجيات التي تستطيع بها الدول المسلمة التفاعل مع ما تصبه إليها ثقافة العولمة من معطيات، وظهر التخبط في التفاعل مع العولمة على مستوى المتعلمين، حيث انقسموا في رؤيتهم الظاهرة بين مناوئ لها مطلقاً، وبين محتضن لها بشكل تام، ونظراً لغموض استراتيجيات التفاعل ضعفت مناعة تلك المجتمعات بمؤسساتها وأفرادها، فظهرت عدم قدرتها على التفاعل المثمر مع تلك الثقافة، مما أدى

[١] آية ١٣، سورة الحجرات

تباعاً إلى سعيها الحثيث نحو التكيّف السلبي مع معطيات ثقافة العولمة، ظهر هذا التكيف فيما تثبته الأبحاث التي تناولت قيم الشباب المسلم بالدراسة[1].

وتتلخص مشكلة الدراسة في تتبع: كيف يمكن أن تتفاعل المجتمعات المسلمة خصوصاً والمجتمعات الإنسانية عموماً مع التحديات التي تفرضها ثقافة العولمة ؟

أسئلة الدراسة:

١. ما الآليات التي فعلتها العولمة لتبث من خلالها ثقافتها إلى مجتمعات العالم؟
٢. ما المجالات التي ظهر فيها تأثر شعوب العالم ومجتمعاته بثقافة العولمة ؟
٣. ما واقع تأثر المجتمعات الشرقية والمجتمعات المسلمة بثقافة العولمة ؟
٤. ما الاستراتيجية المقترحة التي يمكن للمجتمعات المعاصرة وللعالم الإسلامي تفعيلها في التفاعل مع ثقافة العولمة ؟

أهمية الدراسة

تكمن القيمة العلمية والعملية لمثل هذه الدراسة فيما يمكن أن تقدمه للباحثين من تصورات لمناهج المجتمعات في تعاطيها مع واقع العولمة الثقافية، كما إن لها أهميتها العملية فيما تقدمه من خطط واستراتيجيات لمناهج التفاعل مع تحديات العولمة الثقافية، وفيما تقدمه من نماذج لمنهجية المجتمعات المعاصرة في التفاعل معها .

منهج الدراسة

تتبع هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي القائم على دراسة الحالة، وذلك من خلال استقراء حالة ظاهرة العولمة في فكر منظريها في المجتمعات التي بدأت منها هذه الظاهرة، وبالتالي فإن دراسة حالة العولمة سوف تتم من خلال تتبع ثمّ تقييم فكر منظري العولمة ومنطلقاتهم في تفسير مفردات الظاهرة ووقائعها وتجلياتها وآثارها، ثمّ تقييمهم لها ورؤاهم لمنهجية التعاطي معها، يتبع ذلك دراسة حالة الدول والمجتمعات التي أثبتت فاعليتها في التعاطي مع العولمة، من خلال تتبع العديد من النماذج لمجتمعات تفاعلت مع تحدي العولمة وفق استراتيجيات مكنتها من استثمار أقصى طاقات العولمة في تحقيق المكاسب الحضارية، ومن ثمّ تفعيل منهج الاستقراء النظري في استقراء مظاهر ومعالم التحديات الثقافية التي أوجدتها العولمة في واقع المجتمعات المسلمة، ومحاولة البحث في وضع تصور لاستراتيجية التفاعل التي تمكن هذه المجتمعات من اجتياز تحديات العولمة دون الانكفاء على الذات أو الانصهار في الآخر.

---

[1] مؤتمر ثقافة الشباب الجامعي وقيمه في عالم متغير، الأردن، جامعة الزرقاء، كلية التربية، الداعم المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة، ٢٧-٢٠٠٤/٧/٢٩.

مصطلحات الدراسة:

أولاً: مصطلحات العولمة

تعدّ العولمة في الدلالة اللغوية المقابل العربي لمفهوم ظاهرة (globalization) والتي تعني جعل الشيء على مستوى العالم كله، بالانتقال من المحدود المراقب إلى اللا محدود، وهي كلمة أصلها فرنسي وتعني في اصطلاحها الأصلي تصميم الأنماط التي يشتمل عليها العالم كله[١] ، أي توحيد أنماط الحياة في العالم.

وقد يجعل البعض العولمة اسم مصدر على وزن فوعله مشتق من كلمة العالم، نحو القولبة المشتقة من القالب، فإذا كانت القولبة تعني جعل الشيء في شكل القالب الذي يحتويه، فالعولمة تعني جعل العالم موحداً في أنماطه المتعددة؛ الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية[٢]

وقد أورد منصور تعريفات تصف العولمة من أبعادها وتختلف ما بينها لاختلاف منظور واضعيها منها[٣]:

---

[١] الجميل، سيار ، العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط، بيروت ،مركز الدراسات الاستراتيجية ،ط٢ ٢٠٠١ ،ص٢٧

[٢] عبد الرشيد، عبد الحافظ، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها ،القاهرة ، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٥،ص٨-١١

[٣] منصور، ممدوح محمود ،العولمة دراسة في المفهوم والظاهرة واالأبعاد ،الاسكندرية، دار الجامعة الجديدة ، د ط، ٢٠٠٣،ص١١-١٣
هوبر، بول، نحو فهم للعولمة الثقافية، (ترجمة: طلعت الشايب)، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١١
، ص١٩٩-٢٠٠

١. العولمة تكثيف للتفاعلات الاجتماعية وذلك فيما أورده تعريف (انتوني جيدنز) للعولمة باعتبارها عملية تكثيف للتفاعلات الاجتماعية عبر العالم، على نحو يهيء لترابط التجمعات المحلية المتباعدة، بحيث تتشكل الأحداث المحلية على مقتضى أحداث تقع على بعد أميال عديدة والعكس.
٢. العولمة كتراجع لأثر العامل الجغرافي، حيث يرى (واترز) العولمة عملية اجتماعية يتراجع بمقتضاها تأثير العامل الجغرافي على الترتيبات "النظم" الاجتماعية والثقافية وما يصاحب ذلك من تزايد وعي الشعوب بهذا التراجع"
٣. العولمة بمعنى اللاإقليمية وهي بذلك تعني تراجع الولاء القومي تحت وطأة الانتماءات العرقية أو القبلية أو الطائفية، وهذه إحدى مفارقات عصر العولمة حيث تتزامن عملية التكامل والتوحّد على المستوى العالمي، مع عمليات التفكك الداخلي وانتشار الحروب الأهلية في العديد من الدول، والعولمة تطيح في عملها هذا بمبدأ الولاء القومي.
٤. العولمة بمعنى انضغاط الزمان والمكان فيما ذهب إليه روبرتسون(Robertson) حيث يعتبر العولمة انضغاط للزمان والمكان على مستوى العالم، وتكثيف للوعي بالعالم ككل مترابط.
٥. العولمة بمعنى عملية التوحيد الكوني، أي إن العولمة مجموعة العمليات التي يتم من خلالها تجميع شعوب العالم المختلفة في مجتمع كوني عالمي واحد.
٦. العولمة حسبما يعرفها الاقتصاديون أمثال إدوارد لتوك: هي العملية التي تتحقق من خلال" انصهار العدد الهائل من الاقتصاديات القروية والوطنية والإقليمية في اقتصاد عالمي شمولي واحد لا مكان فيه للخاملين بل يقوده أولئك الذين يقدرون على مواجهة عواصف المنافسة الهوجاء"[١]

*العولمة الثقافية:

بعد النظر في التعريفات السابقة للعولمة، قد تتبنى الباحثة تعريفاً للعولمة الثقافية باعتبارها: العمليات التي يتم بمقتضاها تعميم نمط ثقافي على مستوى العالم بما يؤدي إلى تراجع الأنماط الثقافية والاجتماعية المرتبطة بالخصوصيات الإقليمية، مما سيؤدي تباعاً إلى نقل المجتمعات من حالة التجزئة والتفرقة في الخصوصيات القومية والعنصرية والإقليمية، إلى حالة التوحد والاقتراب فيما تدعيه ثقافة العولمة، ومما سيؤدي وفقاً لدعواها إلى استبدال أنماط الصراع الحضاري بنمط التوافق.

[١] هانس بيترمارتن وهارلد شومان، فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، (ترجمة: عدنان عباس علي)، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨، ص٥٧

ثانياً: التفاعل والتكيّف:

التفاعل مصدر أصله الثلاثي فعل بمعنى عمل، وتفاعل يتفاعل تفاعلاً أثر كل منهما بالآخر، وتفاعل مع الحدث تأثر به[1]

ويضاف التفاعل غالباً في مصطلحات علم النفس والاجتماع للتعبير عن التفاعل الاجتماعي، ويعني التأثير المتبادل لسلوك الأفراد والجماعات والذي يتم عن طريق الاتصال، فهو تنبه أو استجابه متبادلان للأشخاص في موقف، أو علاقة اجتماعية، وأحياناً يكون التفاعل مباشراً وغالباً ما يكون بشكل غير مباشر[2].

ولا بدّ في حال التفاعل من المشاركة الاجتماعية الإيجابية وتحقيق التعاون[3] ،وأما التكيف فهو العملية التي يعدل من خلالها الفرد بناءه النفسي أو سلوكه ليستجيب لشروط المحيط الطبيعي والاجتماعي، وليحقق الشعور بالتوازن والرضا، وتبدأ عملية التكيف حين يشعر الإنسان بضغط ينجم عن وضع معيّن، وتنتهي حيث ينجز السلوك الذي يستطيعه إزاء ذلك الضغط،فالتكيف عملية ديناميكية لتفاعل الفرد مع المحيط، تستهدف إقرار توازن الفرد مع محيطه[4] .

ويتمثل التكيف في الواقع في سعي الفرد الدائم للتوفيق بين مطالبه وظروفه من جانب، ومطالب وظروف البيئة المحيطة من جانب آخر، فحينما يجد الفرد نفسه في ظروف أو بيئة لا تشبع كل مطالبه وحاجاته أو حيث تكون البيئة مصدر إعاقة لإشباع حاجاته النفسية والاجتماعية، في مثل هذه البيئة يتحتم على الفرد بذل الجهد لمواجهة الصعوبات سعياً إلى حلها وهذه صورة سلوك الفرد الساعي إلى التوافق والتكيف[5]

وقد يخالف علماء النفس المعنى العام للتكيف عندما ينظرون إلى التكيف باعتباره لا يعبر عن الاستسلام للبيئة الفاسدة، فيما يتفق هذا المعنى مع اللغة ذلك أن التكيف مصدر تكيّف صار على كيفيّة معيّنة (تكيّف مع الظروف) [6]

---

[1]النحوي، الخليل، المعجم العربي الميسر،د م، د ن، د ط،١٩٩١ ،ص٣٨١

[2]وحيد ،أحمد عبد اللطيف، علم النفس الاجتماعي ،عمان ، دار الحيرة، ط١،١٤٢١ه١ ٢٠٠١م ،ص٢٢٣

[3]أحمد، سهير كامل ، علم النفس الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، الرياض، دار الزهراء، ط١،١٤٢٩ه، ٢٠٠٨م، ص٥٤

[4]الخالدي والعلمي، عطا الله ودلال ،الصحة النفسية وعلاقتها بالتكيف والتوافق ، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع ، ط١ ،١٤٢٠ه ٢٠٠٩م، ص١٩-٢١

[5]الهابط، محمد السيد ، التكيف والصحة النفسية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث ،ط٢، ٢٠٠٣م ،ص٣٢

[6]النحوي، الخليل، المعجم العربي الميسر، مرجع سابق، ص٤٣٥

التمهيد

اختلفت اتجاهات منظري العولمة بين منكر لها، ومعبر عنها بالمرحلة، وقد قسمهم جيدنز إلى المشككين والراديكاليين، حيث يرى المشككون أن النسبة الأعلى من التبادل التجاري العالمي يتم بين الدول والمناطق المتجاورة، وبذا فإن الواقع يشير إلى أن نسبة ضئيلة من اقتصاد العولمة ينتمي إلى السوق الحرة والتبادل الدولي العابر للحدود، وهذا ما يؤكده استمرار وجود دولة المعونات التي تسيطر فيها الحكومات على الحياة الاقتصادية، وأما دعوى السوق الحرة وامبراطورية العولمة فهي أيديولوجيا أوجدها أنصار السوق الحر وفق ما يرى المشككون، ويتجه الراديكاليون بعكس الاتجاه المذكور، فهم لا يكتفون بالقول بأن العولمة حقيقة واقعة، بل يصرون على تمثل عواقبها للعيان في جميع أنحاء المعمورة، فالسوق الحر تطور عما كان عليه في القرن الماضي، ونتيجة لذلك فقدت العديد من الدول سيادتها وفقد الساسة قدرتهم على التأثير في سير الأحداث، وبناء عليه فقد ضعف تأثير القادة السياسيين لصالح المؤسسات والمنظمات العالمية والإقليمية[1]

وبالنظر إلى التعريفات التي شاع تداولها عن العولمة فقد تعددت الأطروحات التي تتم في ضوئها معالجة ظواهر العولمة وقضاياها، ومن ذلك:

- في رؤى من عرف العولمة باعتبارها مرحلة تاريخية تمر بها الحضارات الإنسانية تساير زمانياً مرحلة الحداثة وما بعد الحداثة، وفي حدود هذه الرؤى اشتهرت تساؤلات حول إمكانية تأثير المجتمعات والدول في تسارع مرور هذه الحقبة وانقضائها إلى سواها، أو في الإطالة من عمرها الزمني، ومن ذلك السؤال: هل ستنجح القوى السياسية والاقتصادية والثقافية المتعددة التي تقاوم العولمة في الوقت الراهن في إيقاف مداها المتنامي، أو في إجبارها على التراجع وخاصة بالنسبة لبعض السمات والسياسات التي صارت مصدراً للقلق في مختلف المناطق؟[2]
- في رؤى من عرف العولمة باعتبارها تجليات ظواهر اقتصادية معبرة عن السوق الحرة، لا بد أن تناقش التناقضات الواقعية بين العولمة والتكتلات الإقليمية، وبينها وبين سيادة الدولة على أسواقها المحلية، وقد يعبر البعض عن العولمة الاقتصادية بأنها مجموعة الظواهر الاقتصادية التي انبثقت عن الليبرالية الجديدة، وهنا تبرز للعيان التراكمات التي أحدثتها العولمة الاقتصادية في الطبقات العاملة، وتضييعها لمشروع دولة الرفاه ودولة الرعاية الاجتماعية من خلال ما فرضته على الدول من زيادة الضرائب ورفع الدعم الحكومي

[1] جيدنز، عالم جامح: كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا، (عباس خضير كاظم، وحسن ناظم: مترجمان)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص٢٧

[2] السيد يس، الحوار الحضاري في عصر العولمة، دار نهضة مصرن القاهرة، ط٢، ٢٠٠٢، ص٢٤٤-٢٤٥

والخصخصة، وقد برزت مؤخراً دعوات إلى الرأسمالية الاشتراكية لمعالجة الأوضاع الاقتصادية التي أحدثتها العولمة، وقد أطلق جيدنز وغيره على هذا المشروع المستقبلي والمرشح لريادة الاقتصاد العالمي مسمى" الطريق الثالث"

- ينظر البعض إلى العولمة باعتبارها مشروعاً يعبر عن الأمركة وهيمنة القيم الأمريكية على العالم، ويفرق الباحثون بين هيمنة هذه القيم وتسلطها فيما يسمى بالأمركة، وبين النظر في التحديات التي تحياها المجتمعات الحديثة وإعادة بلورتها وفهمها في ضوء مشروع الحداثة والتحديث، ويناقش من يرى العولمة أمركة أو تحديثاً للمجتمعات المعاصرة قضايا الصراع بين الحضارات والقيم، وما بين الخصوصيات المحلية والقيم الحضارية الأمريكية للإمبراطورية، كما يناقش قضية تراجع الحضارة الغربية، ومن أبرز من هاجم العولمة باعتبارها مشروعاً للأمركة فرنسا، فقد تمسكت فرنسا بالحلف الأوروبي للحماية الاجتماعية لتقف في وجه الزحف الأمريكي لنظام العولمة الليبرالية وما تحمله من تآكل للطبقات الاجتماعية، وقد ظهرت الشكوى من زحف النمط الحضاري الأمريكي واجتياحه ثقافة العولمة بأبعادها المختلفة، على مستوى المثقفين والمنظرين في العالم الغربي، يشهد لذلك كتابات ألن جوكس، وجان بيير، وماري دي لاغوس، وآلان تورين وغيرهم، وينظر عدد غير قليل من الأوروبيين إلى أن تحدي العولمة الأمريكي يستهدف الوقوف في وجه النمط الأوروبي والسيطرة عليه[1]
- ينظر البعض إلى العولمة باعتبارها ثورة تكنولوجية واجتماعية، والتي تتمثل عملياً في نموذج مجتمع الأعمال والشركات الذي اجتاحته الثورة الالكترونية من خلال الأسواق العالمية والمضاربات الالكترونية[2].
- وقد أشار نقاد العولمة الثقافية إلى أن الشكل الذي تتخذه الثقافة الكونية التي حملتها العولمة، ينحصر في الاحتمالات التي يعبر عنها الواقع : _فهي إما أمركة، حيث يتم تقييمها بالنظر إلى واقع غزو الميديا والإعلام الأمريكي لمحطات الإعلام على مدار الكرة الأرضية، يشهد لذلك الحضور الكثيف لشبكات وشركات التوزيع العالمية الأمريكية، وللثقافة الشعبية الأمريكية، وبناء على هذا الواقع فقد اتخذت الحكومات الغربية والكندية والفرنسية سياسات معدة خصيصاً لمواجهة أشكال الهيمنة الأمريكية في مجال التسلية الشعبية، وقد

---

[1] العامري، عصام، الثقافة والديمقراطية في مواجهة العولمة، ضمن كتاب: صموئيل هانتنغتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص٢٠٩-٢١٠

[2] أنظر: الحوار الحضاري في عصر العولمة، ص٢٤٥-٢٤٩،

حاولت الإدارات الأمريكية التحكم في الإطار التنظيمي لصناعة الإعلام لتبقى صادراتها الثقافية الأقرب إلى أسواق العالم، ولا بدّ من الإشارة إلى أن للولايات المتحدة حق السيطرة الأحادية على أنظمة الأسماء والمخاطبة في مجال الإنترنت، ففي سنة ١٩٩٨ أنشأت وزارة التجارة الأمريكية مؤسسة متخصصة تعرف بمؤسسة الأسماء والأعداد، (icann)، وتتبع سلطتها في السيادة والتحكم وضعها، حيث إنها تعد من قاد مسيرة تأسيس معظم البنية الأساسية للإنترنت[١]، والذي يحفظ لها حقها في الإدارة والتحكم اتفاقية ملكية الحقوق الفكرية بالنسبة لتكنولوجيا الملعلومات والمعرفة(trips)، وفي القمة العالمية لمجتمع المعلومات المنعقدة في تونس ٢٠٠٥ تمت الموافقة على ان تستمر (icann) في إدارة الشبكة فنياً على أن يتم إنشاء منتدى جديد لإدارة سياسة الإنترنت، وقد أدى وعي الدول وإدراكها لهذا الواقع إلى ممارسة العديد من الدول السيطرة والتدخل في أنظمة المعلومات الالكترونية وفي البث الذي تقدمه الأقمار الصناعية، من ذلك مثلاً تجربة الصين في السيطرة على الميديا، وأبرز مثال على ممارسة هذه السيطرة ما قامت به الدولة من تحديدها نطاق التعامل مع شركة الإنترنت(جوجل)، ففي عام ٢٠٠٦ وبعد أن أغلق الصينيون خدمات جوجل في بلادهم، وافق أصحاب الشركة على مطالبة بيجين منع إمكانية استعادة المعلومات الحساسة على مستوى النطاق الشعبي، كما في مذبحة ميدان (تيان من)، وبذلك صارت الشركة تمارس رقابة ذاتية على أفقها ومضامينها[٢].

_ وفي نطاق آخر ينظر المنظرون إلى العولمة الثقافية باعتبارها عملية غربنة: يشهد لذلك سيطرة اللغة الانجليزية على أفق الاتصالات العالمية الحديثة، كما إن طريقة الحياة التي يقدمها الإعلام الحديث تعبر عن الطراز الغربي لنمط العيش الاستهلاكي المتحرر

_ بينما يرى الاتجاه الثالث أن العولمة الثقافية استمرار للرؤى الرأسمالية من خلال تعبيرها عن نمط الحياة المادي وتعزيزها للاستهلاك، وترويجها من خلال الإعلانات بل وسيطرتها على مدى الميديا بترويجها للدعايات المعززة للنظام الرأسمالي الصناعي، _ ويرى الاتجاه الأخير أن العولمة الثقافية هي أحد الأثواب المعبرة عن نظرية الحداثة[٣]

[١] نحو فهم للعولمة الثقافية، ص١٠٦، ١٢١-١٢٣

[٢] نحو فهم للعولمة الثقافية، ص١٩-٢٠، ص١١١

[٣] أنظر: نحو فهم للعولمة الثقافية، ص١٢١-١٢٩

ومما جاء في كتابات السيد يس في وصف الواقع الثقافي الذي تخترقه ثقافة العولمة قوله "إن العولمة على الصعيد الثقافي تطمح إلى صياغة ثقافة كونية شاملة تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني، فهناك اتجاه صاعد يضغط في سبيل صياغة نسق ملزم من القواعد الأخلاقيّة الكونية، ومما هو مطروح قي الساحة الفكرية العالمية مشاريع لصياغة هذه القواعد الأخلاقية،و التي يستمد بعضها من الأديان السماويّة الثلاثة، وبعضها مما يسمى بالثقافة المدنية، التي ترتكز على الحرية السياسية والتعددية الفكريّة، وأهميّة المجتمع المدني واحترام حقوق الإنسان، وتساعد" الثورة الاتصالية بما تتضمنه من القنوات الفضائيّة وشبكة الانترنت قي زيادة ذلك التفاعل على مستوى العالم[١].

ووفق الصياغة السابقة والوصف المتقدم لمشروع العولمة قد تظهر ما فيه من المزايا والأهداف المرجوة، ولكن النظر في واقع الحال قد يظهر كثيراً من المحاذير غير البيّنة، وهنا لا بدّ أن نتذكر أنّ الثقافة الأمريكية في ذاتها نتاج عالمي، تمخض من امتزاج ثقافة المهاجرين من الأوروبيين بثقافات المهاجرين الآخرين من آسيا وأفريقيا، وهذا ما تحاول العولمة أن تتوصل إليه في مختلف ثقافات وشعوب العالم[٢]، وحقيقة المشكلة التي تواجهها الثقافات في تفاعلها مع العولمة، أن التبادل الثقافي في العالم الحالي تبادل غير متكافئ، وهو تبادل بين ثقافات متقدمة تمتلك إمكانات واسعة، وثقافات أقل تقدمية في الوعي ولا تمتلك الإمكانات نفسها، لذا فقد يسمى هذا النوع من التبادل الثقافي بالغزو والاختراق[٣].

وتتم عملية التبادل الثقافي أو التثاقف بمرور التدفقات الثقافية التي قد تكون على شكل:أفكار أو سلع أو رموز أو بشر، وبفضل تقنيات العالم الحديث أصبحت الثقافات الفردية والتدفقات الثقافية تصل إلى أبعاد كونية، حتى بات التفاعل الثقافي وكذلك ثقافة الاستهلاك يشقان طريقهما على المستوى الشعبي، فسميت ثقافة العولمة بالثقافة الشعبية، وسمي المجتمع العالمي الذي تربطه هذه الثقافة بالمجتمع الشبكي[٤]، ويتكون مجتمع المعلومات من عدد من العناصر المتداخلة، أولها نموذج التنظيم الاجتماعي الذي امتاز على غيره من أشكال التنظيم الاجتماعي بأنه أعاد تنظيم قطاعات المجتمع، وقد وصفه مانويل كاستلز بقوله:" الشبكات تمثل المورفولوجيا الجديدة لمجتمعاتنا" ويرى هوبز أنه على الرغم من وجود الهويات المقاومة، إلا أن المؤسسات البيروقراطية الحالية لا تستطيع مواكبة الكفاءة التنظيمية الديناميكية للشبكة، والمكون الثاني لمجتمع

---

[١] السيد يس، معركة فكرية حول العولمة، جريدة الأهرام ،٢٣ نيسان، ١٩٩٨ ،ص٢٥، نقلا عن فلاح كاظم المحنة العولمة والجدل الدائر حولها، عمان، مؤسسة الوراق، ط١، ٢٠٠٢

[٢] المحنة، فلاح كاظم، العولمة والجدل الدائر حولها،ص٢٥٨

[٣] الوالي، عبد الجليل كاظم، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، المستقبل العربي، ص٦٤

[٤] أنظر: بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ص٤٧

المعلومات تمثله الرأسمالية المعلوماتية، ففي عصر العولمة صارت المؤسسات متعددة الجنسية، ومنظمات التجارة والمؤسسات القانونية تحدد وتقرر التوزيع العالمي لتكنولوجيا المعلومات[١].

وعند النظر إلى دور مجتمع المعلومات في توليد ونشر الثقافة والمعلومة، يتبيّن أن المعلومة صارت وليدة النشاط الاجتماعي الإبداعي، فهي قابلة للصدق والكذب لأنها باتت تعبر عن ثقافة شعبية، وقد باتت الجدة شرط أساسي لوصف المعلومة، كما اقتضى مجتمع المعلومات والعولمة تطوراً في التعليم، فلم تعد المهارات الأساسية القديمة للمعرفة كافية: من قراءة وكتابة وحساب ونحوها، بل باتت المعرفة الالكترونية المعلم الأساسي لثقافة العصر، وصار أمياً كل من لا يحسن التعامل مع تكنولوجيا المعرفة ضمن مجتمع المعلومات، وقد أفادت العولمة من هذه الميزة بتوظيفها عملية إنتاج ونقل المعرفة كتجارة عالمية، عبر الفضائيات والبرمجيات والتجارة الإلكترونية ونحوها، وقد أفادت عدد من مؤسسات العولمة من هذه الميزة للتلاعب بالعقول وتوجيهها، فمعلوم أن إنتاج المعلومة ونقلها غالباً لا يكون موضوعياً، بل يكون مصبوغاً بالرؤى الأيديولوجية للمنتج[٢].

ويرى جان ندرفين بيترس أن العولمة عملية قديمة معاصرة تتم من خلال التكامل الإنساني والتهجين، فعلى مدى قرون من التاريخ الإنساني مرت الحضارات بعمليات الاختلاط الثقافي والتهجين، وقد كان ذلك يتم في نطاق العادات وأنماط السلوك، كما كان يتم في اختلاط الأديان والطقوس التعبدية، وما يدلل على ذلك أن المعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية التي تشكل الهندوسية نشأت نتيجة اختلاط الثقافة الإندوأوروبية، كما يرى بيترس أن الثقافات تتراكم وتتصادم وتتشكل عبر المواجهات والمصادمات في عملية مستمرة بينها، كما يرى أن انتشار الأديان العالمية والتنوع البيّن في شعائرها وداخلها، إنما جاء نتيجة تفاعلها وتكيفها مع الثقافات المحلية والثقافات التي مرت عليها، والعولمة وفقاً لبيترس معنية بالتكامل الإنساني والتواصل بين الثقافات بينما هي وفقاً لجيدنز معنية بالتباعد الزماني والمكاني[٣]

وقد يعبر البعض عن نتاج عمليات التدفق الثقافي التي تحملها العولمة بالمثاقفة، وهي

تعني عند من وصفها: أن عناصر الثقافة المتدفقة عبر الحدود والمجتمعات قد تستقر ضمن موجودات الثقافات المحلية التي تفد عليها، بيد أن التمايز الثقافي لهذه الثقافات المحلية يظل موجوداً نظراً للعمق في تاريخ الثقافة، وتتكون التدفقات الثقافية التي تحملها العولمة من العديد من المشاهد التي تؤثر في تحديد خريطة العولمة الثقافية، وفي حال وجدت التدفقات الثقافية مقاومة وصداً لها من المحلي والقومي فإنها تظهر على صورة أنماط ثقافية هشة وسطحية وغير منتظمة، وأما مشاهد التدفقات الثقافية التي تحملها العولمة فأبرزها:

---

[١] أنظر: بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ص١٠٨-١١١

[٢] أنظر: العولمة الهوية والمسار، ص٨٩-٩١

[٣] نحو فهم للعولمة الثقافية، ص٥١-٥٢

_ المشاهد العرقية التي تعبر عن حركة البشر، واجتياز حدود الثقافات المحلية لهم، ليصلوا أقاليم مختلفة عن ثقافاتهم في غالب مشاهد انتقال العمالة، من خلال السفر والهجرة والنفي وأحياناً السياحة والتنقل.

_ المشاهد التقنية وتعبر عن توزيع التكنولوجيا العالمية وتبادلها وقد تكون في حالات كثيرة لغايات الاتصال اللفظي.

_ المشاهد المالية عبر التدفق السريع لرأس المال والعملة والاستثمار

_ المشاهد الفكرية وتعبر عن تدفق الأفكار والأيديولوجيات والأيديولوجيا المضادة والصور الذهنية.

_ المشاهد الإعلامية وتتضمن عمليات الإعلام الجماهيري[١]

وقد اصطلح الباحثون والمتخصصون على تسمية هذه المواد التي سهلت العولمة عبورها للحدود "بالتدفقات الثقافية"، ذلك أن كلاً من البشر المهاجرين والمسافرين، والمواد المصنعة والمحمولة عبر الموانئ التجارية، والتدفقات الالكترونية عبر الأقمار الصناعية، من صور وقصص وموسيقى وغيرها، جميع هذه المواد تحمل في داخلها ثقافة البلد الذي قدمت منه، فالإنسان المهاجر والمسافر يعبر بذاته الثقافية إلى حدود البلد التي يسافر إليها، والمواد المصنعة والأطعمة تعبر عن طريقة حياة الشعوب التي صنعتها، والمسلسلات والأفلام والمواد الدعائية تحمل كذلك مضامين الثقافة اليومية للبلد المنتجة لها.

وتكمن خطورة انسياق الأمم والشعوب وراء ذلك التبادل غير المتكافئ لعناصر الثقافة، فيما أشار إليه بعض الباحثين من أمثال (twenbi توينبي) بالأناقة الحضاريّة، و تتلخص الأناقة الحضارية في أن عطاء الأمة يعدّ الضامن الأمثل لبقائها واستمرارها، فالأخذ الذي لا يرافقه عطاء سبب من أسباب الذوبان وفناء الأمم ،وهذا الفناء بطيء بحيث لا يلحظه إلا العارفون بقوانين الاجتماع البشري وسنن التاريخ، ذلك أنه يمر عبر مراحل تستغرق الواحدة منها جيلين أو ثلاث، تأخذ الأمة في المرحلة الأولية الأشياء المادية كالمنتجات الصناعية ،وفي المرحلة الثانية تأخذ العادات المادية كأشكال اللباس والأثاث وأشكال الطعام ،وتأخذ في المرحلة الثالثة المظاهر الثقافية كاللغات وأنظمة الإدارة والنظم الدبلوماسيّة والعلاقات الاجتماعية، وفي المرحلة الرابعة تأخذ الأمة القيم والمقاييس الاجتماعية والأخلاقية، وتأخذ في المرحلة الأخيرة العقائد، وعند هذه المرحلة تنهار جميع الحواجز وتبدأ الأمة بالذوبان[٢].

[١] أنظر: نحو فهم للعولمة الثقافية، ص٦٦-٦٨

[٢] الكيلاني ، أهداف التربية الإسلامية، ص٢٦٠.٢٦١

المبحث الأول: مقدمة تمهيدية في البنية المفاهيمية والأيديولوجية النظرية

المطلب الأول: تعريف الثقافة ومكوناتها

عرّف (تايلور) الثقافة بجمع عناصرها ومركباتها ومن ثمّ التأليف بينها بقوله:" هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف والعادات وسائر الممكنات التي يحصل عليها الفرد باعتباره عضواً في مجتمع"[1]

وقد انتقد تايلور لتعريفه الثقافة بسرد قائمة بمحتوياتها، بحيث لو أسقط من التعريف "كل مركب" لتفرق وتبعثر مضمونه ولم تظهر دلالته، فالثقافة تنظيم قبل أن تكون محتوى[2].

وأما تعريف الثقافة كما يراها (بندنجتون) فهي تدلّ على مجموعة الأدوات المادية والفكرية التي يستطيع بها الشعب إشباع حاجاته الحياتية والاجتماعية، وتكييف نفسه لبيئته"[3]، ومن التعريفات القريبة التي أوجزت في بيان الجانب الاجتماعي للثقافة تعريف نيللر الذي جعل فيه الثقافة تعبيراً عن جميع طرائق الحياة التي طورها الإنسان في المجتمع[4]، فالذي ظهر من تعريف (نيللر) ربطه بين الثقافة والمجتمع، وممن عرّف الثقافة باعتبار الجانب الاجتماعي (مورجان)حيث عرفها باعتبارها مجموعة النماذج السلوكية والاتجاهات والقيم التي يسهم بها الأفراد وتنتقل بواسطة المجتمع[5].

وقد اتجهت بعض الدراسات اللاحقة إلى الجمع بين معطيات التعريفات السابقة فكانت دلالاتها على مفهوم الثقافة شاملة واضحة ومن ذلك تعريف (ستزلاند وودوارد) اللذان عبرا عنها بأنها: كل ما ينقله جيل إلى جيل من تراث اجتماعي، وهي كل مركب يشمل العقائد والفن والقيم والقانون وأساليب طهو الطعام وطرق الاتصال ونحو ذلك من أنماط العيش"[6]

نقد (بول هوبر) تعريف الثقافة بأنها أسلوب حياة، حيث افترض أن هذا التصور سيجد صعوبة في تجميع واحتواء التجارب والخبرات الفردية لجميع الناس المنتمين أو المقيمين ضمن ثقافة بعينها، وقد نقل رؤية (جيمس جيلفورد) حول عدم احتواء الزمان والمكان للثقافة، بحيث لم يعد في الإمكان فهم الثقافة بربطها بعلاقة بالزمان أو المكان، بادعاء استقرار أو ثبات مضامينها التي كونتها عبر تجربتها التاريخية أو ظروفها المكانية، حيث يرى (جيمس جيلفورد) وجوب النظر

---

[1] francis j.brown. educational sociology.2^{nd} ed. N.y.prentice. hall inc.1995.p69
[2] إسماعيل، قباري محمد، علم الاجتماع الثقافي ومشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٢، ص١٧
[3] عن: ناصر، إبراهيم عبد الله، أصول التربية الوعي الإنساني، عمان، مكتبة الرائد، ط١، ٢٠٠٤، ص١١٨
[4] نيلر، الأصول الثقافية للتربية، منير مرسي وآخرون(مترجم)، القاهرة، عالم الكتب: عن: حسان، حسان محمد، وأحمد، عبد السميع، وسليمان، سعيد أحمد، والراوي، محمد خلفان، أصول التربية، العين، دار الكتاب الجامعي، ط٣، ٢٠٠٤، ص١٣٤
[5] ناصر، أصول التربية الوعي الإنساني، ص١١٩
[6] Robert l. sutherland& julian l. woodward: introductory sociclogy. N. y. lippincot co. 1948. p,21

إلى الثقافة كشيء في حركة وحيوية وتطور مستمر، فالناس والأشياء ينتقلون عبر المكان ومعهم ثقافتهم، حتى لم يعد مفهوم الثقافة قرين لمن يحملها بل صار ينطبق على التدفقات الثقافية من الصور والأفكار والأشياء والرموز التي تجوب الكرة الأرضية، وأما فرانس بواس فقد أكد ارتباط الثقافة بالزمان من خلال افتراضه أن مفهوم الاعتياد يحدث تطوراً على الثقافة بمرور الزمن، كما إنه يرى ضرورة احترام الفروق الثقافية مؤكداً أن كل ثقافة ترتبط بأسلوب حياة له مرجعيته التاريخية[١]، وبذلك فإن الزمان يرتبط مع الثقافة من خلال تأثير تكرار المشهد الثقافي الوافد أو المستحدث على مدىً زمني في تعديل البنية الثقافية أو التغيير فيها، كما إن الزمان مؤثر في الثقافة من خلال المعطيات الثقافية التي تتوارثها الأجيال مما تكون من ثقافة في الماضي.

وفي إطار تصور من يرى الثقافة أسلوب حياة بمضامينه المادية والفكرية، يتطابق مفهوم الثقافة مع مفهوم الحضارة عند العديد من الباحثين الاجتماعيين، وقد تدل الحضارة على القيم الروحية والقيم المادية كليهما وتصير علماً للتعبير عنهما كما في الولايات المتحدة وانجلترا، ولذلك يعرف (هانتنغتون) الحضارة في نظريته حول صراع الحضارات بقوله: الحضارات هي أعلى تجمع ثقافي للناس وأوسع مستوى للهوية الثقافية للشعب، ولا يسبقها إلا ما يميز البشر عن الأنواع الأخرى، وهي تتحدد في آنٍ معاً بالعناصر الموضوعية المشتركة: مثل اللغة والدين والتاريخ والعادات والمؤسسات، وبالتحديد الذي يقوم به الشعب لنفسه" [٢]

وفي الوقت الذي انتشر فيه لفظ الثقافة وسيطر على الأجواء الثقافية في بولندا وروسيا وألمانيا، احتفظت كلمة الثقافة في فرنسا بقوتها، حيث تتكرر حين يراد التعبير عن النمط الشخصي للحياة الذهنية والروحية، فيم يحدد عدد من الباحثين أمثال تونيز وفيبر مفهوم الحضارة بأنها لا تعدو أن تكون طائفة من المعارف الفنية التي تتخذ منهجاً وممارسة عملية أي إنها مجموعة من الوسائل والطرق للتصرف إزاء الطبيعة، وأما مفهوم الثقافة فدلالته عكسية حيث يختص بالدلالة على المبادئ المعيارية والقيم والمثاليات المشتقة من كلمة الروح أو الذهن أو العقل[٣].

وأخيراً فقد عرف الإبراهيمي الثقافة بناءً على دلالتها، فحصرها ضمن حدود دنيا وأخرى عليا، فأما ضمن حدودها الدنيا فقد دلّت على مجموع الاستجابات والمواقف التي يواجه بها شعب من الشعوب ضرورات وجوده الطبيعي من مأكل وملبس ومسكن ونحوها، وأما في حدودها العليا فتدلّ الثقافة على تنمية الفكر وترقية الحس النقدي، ثمّ تكوين الحس الجمالي وإرهاف الذوق، وأخيراً الاستمساك بالقيم وغرس الحس الأخلاقي[٤].

---

[١] أنظر: بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ص٥٧-٦١

[٢] صدام الحضارات، في كتاب: الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص١٢-١٣

[٣] فرناند برديل، تاريخ وقواعد الحضارات، (ترجمة: حسين الشريف)، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٩، ص٥-٦

[٤] الإبراهيمي، أحمد طالب، حوار الحضارات، ضمن كتاب: العسكري، سليمان وآخرون، الإسلام والغرب صراع في ومن العولمة، الكويت، ط١، ٢٠٠٢، ص١١٦

المطلب الثاني: الجذور الأيديولوجية للعولمة ونظرياتها

أولاً: الأيديولوجيا الاقتصادية للعولمة

اختزل قادة السياسة والاقتصاد العالمي _المجتمعين في فندق فيرمونت قبيل انهيار الاتحاد السوفياتي وبزوغ النظام العالمي الجديد القائم على القطب الواحد_ العلاقات القائمة بين سكان العالم إلى نسبة: الخمس والأربعة أخماس، أو العشرين بالمائة والثمانين بالمائة المتبقية، وقد لخص أحد المجتمعين الملقب بعملاق التجارة(Washington Sy cip) نظرية رأس المال العالمي بقوله:" لن تكون هناك حاجة إلى أيد عاملة أكثر من هذا"...وفسر مؤلفا فخ العولمة نظرية مجتمع الخمس والأربعة أخماس المتبقية: بأن خمس قوة العمل سوف تكون كافية لإنتاج جميع السلع، وكافية ولسد حاجة الخدمات الرفيعة القيمة التي يحتاج إليها المجتمع العالمي، وبهذا لن تكون ثمة حاجة للثمانين بالمائة من قوة العمل المتبقية، وسيكون من الطبيعي أن يصيروا عاطلين وإن كانوا يرغبون فيه، إن الثمانين بالمائة من الطبقة السفلى ستواجه بالتأكيد _ كما يرى الكاتب جريمي ريفكن مؤلف كتاب نهاية العمل_مشاكل عظيمة[1]، وقد عبر أبراهام لنكلون الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة عن الواقع الذي ستحياه الطبقات الفقيرة في ظل حقبة العولمة فقال:" ألغوا الضرائب الجمركية وادعموا التجارة عندئذ سيهبط عمالنا في كل فرع من فروع الاقتصاد كما هو الحال في أوروبا إلى مستوى رقيق وبؤساء"[2]

والحقيقة التي عايشتها المجتمعات جاءت لتمثل هذه النظرية وتتمذجها لتصير واقعاً، وإذا كانت النخبة المجتمعة قد توقعت تحقق مجتمع العشرين إلى الثمانين داخل البناء الاجتماعي للدول الغنية، وما بين الدول الغنية والأخرى الفقيرة، فإن العالم أجمع حسبما تشير دلالات الإحصاءات بات يرزح تحت نير هذا الواقع، فمنذ حقبة الثمانينات تبين من الدراسات الإحصائية أن العشرين بالمائة من دول العالم الدول، الأكثر ثراءً، تستحوذ على ٨٤.٧% من الناتج الإجمالي العالمي، كما تستحوذ ٨٤.٢% من التجارة الدولية، ويمتلك سكانها ٨٥.٥% من مجموع مدخرات العالم[3]، وقد يكون في هذه الإحصائيات تعبير واضح عن التأويل الواقعي لدلالة الخمس والأربعة أخماس في علاقة دول العالم مع بعضها، فالدول الغنية سوف تستحوذ بموجب اقتصاد العولمة على أربعة أخماس الإيرادات والإنتاج، وإن كانت هذه الدول لا تبلغ نسبة شعوبها ومجتمعاتها بالمقارنة مع المجتمع العالمي بدوله وشعوبه نسبة الخمس.

---

[1] أنظر: بيترمارتن وشومان، فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ص٢٦

[2] فخ العولمة، ص١٨١

[3] أنظر: فخ العولمة، ص٧٠

وفي داخل بنية الدول والمجتمعات ظهر بجلاء مجتمع الخمس الثري والأربعة أخماس المتبقية، وقد تبيّن ذلك من تتبع إحصائيات برامج الأمم المتحدة المخصصة لدراسات التنمية المتعلقة بحجم الفجوة بين الأغنياء والفقراء، ففي كل من الدول الغنية والفقيرة على حد السواء أظهرت إحصائيات ١٩٦٠ أن نسبة إجمالي الناتج المحلي بين أغنى ٢٠% وأفقر ٢٠% من السكان قد بلغت ١:٣٠، فيم ارتفعت هذه النسبة عام ١٩٨٩ لتبلغ ١:٦٠، وقد كشفت إحصائيات برامج الأمم المتحدة أن نسبة دخل أغنى ٢٠% إلى نسبة دخل ال٢٠% الأفقر بلغت في السنوات التالية ١:١٤٠، ويرتبط مستقبل التغير في مستوى الطبقات الاجتماعية بالتطبيق الانتقائي الذي تتبعه مبادئ الاقتصاد الليبرالي الجديد، والذي يمكن أن يعطل فيه الأثرياء من أصحاب السلطة مبادئ التغيير التي لا تتفق مع مصالحهم، وكما يتم تطبيق مبادئ السوق بصورة انتقائية على المسرح الدولي، فإن هذا عين ما سيتم في داخل الدول الثرية، فالشركات تربح والحكومات تخفض الدعم عن الجماهير[١]، وقد نقل جيدنز عن إحصائيات معتمدة ما يؤكد ما نقله تشومسكي فقد أورد انخفاض حصة الخمس الأفقر من سكان العالم من ٢.٣% من ناتج الإجمالي العالمي عام ١٩٨٩، إلى ١.٤% عام١٩٩٨[٢]، والواقع الذي خلفته العولمة لم يستثن منه فقراء الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا ونيوزلنده، فقد نقل تشومسكي تقاريره عن الحقبة الاقتصادية قبيل ظهور النظام العالمي الجديد للرأسمالية مع سقوط الاتحاد السوفياتي، وقد بدأت تقاريره بتتبع الحقبة التاريخية منذ سنوات العجز الاقتصادي لسنوات حكم ريغان، فمنذ ذلك الأجل بدأت تظهر سلطة الشركات الرأسمالية، كما بدأت في المرحلة التالية سلطة رؤوس الأموال بالتدخل في السلطة السياسية للحد من صلاحيات الدولة لحساب الاقتصاد الرأسمالي، ومن ذلك ما أشار إليه السناتور " دانيال باتريك موينهان" رئيس اللجنة المالية في الكونغرس، من أن العجز الاستراتيجي لسنوات ريغان جاء نتيجة أجندة خفية تمثلت في وضع حواجز أمام الدعم على المشروعات الشعبية وغيرها من المبادرات الحكومية التي لم تكن مقبولة للشركات، وقد تفاقمت المشكلة نتيجة للحملات الكبرى الناجحة للعلاقات العامة التي نظمها مجتمع رجال الأعمال تحت شعار وهدف " إزاحة الحكومة عن ظهورنا والإعفاءات الضريبية"، ففي الوقت الذي ينعم فيه هؤلاء بالإعفاءات الضريبية والتشجيع الحكومي للاستثمار، يتم تأمين حاجاتهم من البنية التحتية والخدمات والمرافق من قبل الحكومة، ومن التقارير التي أكدت تأثير التوجهات الرأسمالية الليبرالية في مجتمع الخمس الفقير ما توصّل إليه الاقتصاديان (لورنس ميشيل وجارير بيرنستين) من أن أكثر من ١٧ مليون عامل يمثلون ١٣.٢% من قوة العمل يعانون البطالة بحسب إحصائيات يوليو ١٩٩٢، وهو ما يمثل زيادة مقدارها ثمانية ملايين عامل خلال سنوات جورج بوش، بل إن نحو ٧٥% من الزيادة في نسبة البطالة جاءت نتيجة فقدان نهائي للوظائف، كما انخفضت قيمة الأجور الفعلية بالنسبة لأصحاب أدنى ٦٠% من

[١] أنظر: نعوم تشومسكي، النظام العالمي القديم والجديد، نهضة مصر للنشر، ٢٠١٠، ص٢٠٥-٢١٠
[٢] جيدنز، عالم جامح، ص٣٥

الأجور من العاملين الذكور في الولايات المتحدة، في وقت ارتفعت فيه الأجور، ناهيك عن مصادر الدخل الأخرى بالنسبة للعشرين في المائة الذين يحصلون على أعلى الأجور في الولايات المتحدة، وقد أشار الاقتصادي رودجير دورنباش إلى أنه في سنوات ريجان_بوش استأثر ١% فقط من أصحاب أعلى الدخول بنحو ٧٠% من التحسن في الدخل الفردي، في وقت كان أصحاب الأجور الدنيا يخسرون بشكل مطلق، ولم يعد بوسع الجيل الجديد من الأمريكيين المضي قدماً بدون دعم مالي من الآباء، وقد وجدت منظمة اليونيسيف عام ١٩٩٣ في دراسة حملت عنوان "تقدم الأمم" أن الأطفال الأمريكيين والبريطانيين صاروا أسوأ مما كانوا عليه في السبعينيات، وذلك من بين بقية الدول الصناعية، فنسبة الأطفال الأمريكيين الذين يعيشون دون خط الفقر تضاعفت عما كانت عليه عام ١٩٧٠، وفي بريطانيا فإن النسبة قد بلغت ٢١%، وذلك نتيجة لقطع الخدمات الحكومية عن قطاع الأطفال على نحو ما يعلق "جيمس جرانت" مدير منظمة اليونيسيف، وفي أكتوبر ١٩٩٣ قدمت لجنة التعداد السكاني تقريراً أظهر أن ترتيب فقراء الولايات المتحدة زاد بمقدار ١.٢مليون، ليصبح ٣٦.٩ مليون نسمة في نهاية ذلك العام، في وقت تزداد فيه جيوب الأثرياء انتفاخاً بحسب تعبير وول ستريت جورنال"[١]. ولهذا فقد عبر مؤلفا فخ العولمة بأن الشعار الأمثل الذي حملته حقبة العولمة الاقتصادية للفقراء تلخص في " التضحية هي وسيلة التكيف مع العالم الجديد"، حتى بات المواطنون في بعض الدول لا يسمعون سوى نغمة واجب التضحية التي لا تنقطع[٢].

والذي يظهر من نموذج الواقع الاجتماعي الذي أفرزته العولمة الاقتصادية منذ بدايات تألقها مع النظام العالمي الجديد، خطورة ما حملته منظومة العولمة على الأمن الاقتصادي والأمن الغذائي والأمن الوظيفي للعديد من شعوب الدول المتقدمة، ناهيك عن حال شعوب العالم الثالث، ذلك أن النظرية الاقتصادية التي قامت عليها الليبرالية الجديدة والتي حملتها العولمة، لم تضع في حسابها شيئاً من المبادئ الاقتصادية للرأسمالية الأولى المتعلقة بمبادئ دولة الرفاه، ولهذا فالغالب أن تتجه الدول التابعة لهذا النظام، لسياسة التنصل من مسئولياتها تجاه الطبقات الاجتماعية، حيث لم تعد فلسفة دولة الرفاه الاقتصادي التي سرت في الاقتصاد الغربي بعد الحرب العالمية الثانية معتبرة مع تفوق النظام الليبرالي الجديد، وتفشي فلسفة العولمة الاقتصادية والسوق المفتوحة للشركات عابرة القارات.

وقد سبق أن حلل كينيدي العلاقة بين الاقتصاد الليبرالي العولمي الحديث، والاقتصاد الرأسمالي الكلاسيكي الذي قامت عليه الرأسمالية البريطانية والأمريكية في أول عهدها، ليصل إلى الفرق بين المنظومتين الاقتصاديتين، وعلى الرغم من أن مرجعية كينيدي براغماتية إلا أنه يميز بين رأسمالية المؤسسين البريطانيين للنظام الرأسمالي أمثال آدم سميث، والتي تدعو إلى السلم

[١] تشومسكي، النظام العالمي القديم والجديد، ص٢٠٥-٢٠٩
[٢] بيترمارتن وشومان، فخ العولمة، ص٢٩

كشرط للازدهار وللتبادل التجاري بين الأمم، وهي رأسمالية ترفض الاحتكار والمركزية على حد تعبير كينيدي، وبين الرأسمالية العالمية الليبرالية التي تتولى إدارة النظام العالمي الجديد، ومن أعظم الفروق بين النظامين: استناد الرأسمالية الحديثة إلى الفلسفة الداروينية التي أطلق عنانها من عالم الفيزياء إلى عالم الإنسان، وقد وسعت هذه الفلسفة الفروق الثقافية بين المجتمعات، كما وسعت الفوارق الطبقية إلى ما سمي بمجتمع الخمس الثري والأربعة أخماس المتبقية، كما أظهر كينيدي بتحليله إدراكه للتناقض البيّن بين عقلانية السوق والعدالة الاجتماعية، حيث كان "كينيدي مدركاً مثل غارودي حقيقة مأزق القيم الليبرالية، ومبادئ الثورة الأمريكية في مواجهة التنامي المطرد للمشاريع الإنتاجية الكبيرة، وهو يستعيد على نحو مختصر ما ذكره جارودي عن فشل محاولات الرؤساء والمشرعين الأمريكيين، في الحد من تحول الرأسمالية التنافسية إلى رأسمالية احتكارية، كما إن كينيدي مثل غارودي يرد هذا المأزق الاقتصادي السياسي إلى العمق الثقافي الأمريكي، أي إلى نشوء الوعي الأمريكي وتطوره على مبادئ الحرية الفردية، المعادية لجميع أشكال تدخل الدولة في شؤون الفرد، وهو يميز في هذا السياق بين الثقافة الأمريكية التي غذت القيم الفردانية المعادية لجميع أشكال تدخل الدولة في الحياة العامة، وبين الثقافة الأوروبية السياسية التي تستدعي تدخل الدولة لحماية الأمن الاجتماعي لمواطنيها، ويبدو كينيدي أكثر ميلاً لثقافة أوروبا السياسية من الثقافة الأمريكية،...، وينقد كينيدي وإن على نحو عرضي وفي حيز ضيق الرأسمالية الأمريكية الأصولية، التي اعتادت تبرير الهيمنة الإمبريالية الأمريكية بالمزاعم البلاغية القائلة بمميزات أخلاقية خاصة بالأمريكيين، وبدور قيادي عالمي أوكله القدر بالأمة الأمريكية، ويرفع كينيدي الغطاء عن الانحيازات العرقية المتضمنة في الداروينية الاجتماعية، ويشير إلى التناقض بين مبدأ الحرية الليبرالية، ومبدأ مونرو المناقض لحق الأمم في الحرية والسيادة، إضافة إلى الضغوط العسكرية على دول أمريكا اللاتينية، كما يدلل على الجماعات الضاغطة التي تدفع الدول إلى اختيار أسواق خارجية آمنة لمنتوجاتها، وكل هذا يذكرنا بنقد غارودي للدولة الرأسمالية العظمى(أمريكا)، وديمقراطيتها المرتهنة بضغوط من يسميهم ديناصورات الصناعة، والتكتلات الاحتكارية والمركب الصناعي_ العسكري"[1]

ولا ترى الرأسمالية أو الليبرالية الجديدة التي حملتها العولمة تحمّلها أية مسئولية اجتماعية تجاه مجتمع الثمانين بالمائة الذي تنبأ به منظرو العولمة، كما إنها لا ترى أن المؤسسات الإنتاجية أو الشركات والمصانع، تتحمل مسئولية اجتماعية أو أخلاقية تجاه المجتمعات المتضررة من أشكال وعلاقات الإنتاج التي أحدثتها الليبرالية الجديدة بشركاتها، بل إنها تنظر إلى المسئولية الاجتماعية والتكافل باعتباره شكلاً من أشكال الأعمال الخيرية التي ينبغي أن يتحمل عبأها الأفراد تجاه بعضهم بعضاً، والجمعيات والمؤسسات التطوعية، وقد أشار مؤلفا فخ العولمة إلى أن المطلوب من

[1] فراج، عفيف، ثنائية شرق غرب في مرايا: فريدريك هيغل برتراند رسل بول كينيدي روجيه غارودي إدوارد سعيد جيلبير الأشقر، دار الآداب، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص١١٤-١١٦

الدولة والمجتمع الألماني لمسايرة تحدي العولمة:" التخلي كلية عن العقد الاجتماعي الألماني غير المكتوب الذي أبقى من خلال إعادة توزيع المداخيل _ من الفئات العليا لمصلحة الفئات الدنيا_ اللامساواة الاجتماعية في حدودها المعقولة"[1]

وقد اصطلح بعض منظري العولمة(برجنيسكي) على أن تخدير الثمانين بالمائة سيكون الحل الأمثل لبلوغ قمة الحضارة الرأسمالية المعولمة، حيث يشير إلى مصطلح(tittytainment) "المنحوت من الكلمتين (entertainment) _ والتي تدل على_ التسلية، و(tits) _والتي تدل على_ الحلمة، الكلمة التي يستخدمها الأمريكيون للثدي، ...ويشير به إلى الحليب، حيث يرى أنه وبخليط من التسلية المخدرة والتغذية الكافية في الإمكان تهدئة خواطر سكان المعمورة المحبطين[2]

وأما عن علاقة الدول الأطراف مع المركز (دول العالم الثالث مع الولايات المتحدة وأوروبا الغربية) فقد وصفها منظرو العولمة في معرض وصفهم السياسات الليبرالية الحديثة التي وطدها نظام العولمة، ومن ذلك ما ذهب إليه (ديفد هارفي) حيث قال:" ولنأخذ تحت الضوء حالة التبدل الحديث في الشكل من الليبرالية الجديدة إلى إمبريالية المحافظين الجدد في الولايات المتحدة، ...فقد بات التدفق المالي الوسيلة الرئيسية التي أعطت المنطق الرأسمالي للقوة معناه الواضح الخالي من أي لبس، ولكن ما أن فتح صندوق باندورا لرأس المال التمويلي، حتى ازداد الضغط لتبني تغييرات في أجهزة الدولة تتكيف مع هذا المنطق، وتحركت دول كثيرة بزعامة الولايات المتحدة وبريطانيا نحو تبني سياسات الليبرالية الجديدة، وأما باقي الدول فإما أنها اكتفت بمحاكاة القوى الرأسمالية الرائدة وتقليدها، أو إنها أجبرت قسراً على تقليدها واتباع سياساتها من خلال سياسة التعديلات الهيكلية التي يفرضها صندوق النقد الدولي، حيث يفرض على الدولة التي تتبع النظام الليبرالي الجديد أن تقوم *بالسيطرة على العناصر المشاع في الحياة، *وتتبع سياسات الخصخصة *وتضع إطاراً لأسواق مفتوحة للسلع ورأس المال، ثمّ إنه يتابع في وصف الحال الذي آلت إليه السياسات الاقتصادية لهذه الدول فيقول: فإذا كانت أزمات السيولة والتسليف الكثيرة سمة من سمات الاقتصاد العالمي، فلا بدّ أن تكون وراءها الإمبريالية التي عملت على حدوثها من خلال مؤسسات، كما في مؤسسة صندوق النقد الدولي، بغية حماية المراكز الرئيسية لتراكم رأس المال من انخفاض القيمة، وهذا ما يفعله تحالف وزارة الخزانة الأمريكية مع وول ستريت وصندوق النقد الدولي، وبالتعاون مع السلطات الأوروبية واليابانية طول عقدين من الزمن أو يزيد"[3]

وقد تستخدم مؤسسات العولمة المذكورة أزمات الديون في بلدان معينة، وسيلة للضغط في سبيل إعادة تنظيم العلاقات الداخلية للإنتاج في هذه البلدان، بحيث يصير الانحياز في الاستثمارات القيمة مخصصاً لرأس المال الخارجي، وعلى هذا النحو تكون الأنظمة المالية الداخلية

[1] بيتر مارتن وشومان،فخ العولمة، ص٢٩-٣٠
[2] بيتر مارتن وشومان، فخ العولمة، ص٢٧
[3] هارفي، الإمبريالية الجديدة، (وليد شحادة: متلاجم)، الحوار الثقافي، لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ص١٨٤-١٨٥بتصرف

وأسواق المنتجات الداخلية والشركات المحلية الناجحة والمزدهرة، فريسة سهلة تلتقطها الشركات الأمريكية أو اليابانية أو الأوروبية، وقد نظمت حصص رأس المال الخارجي من خلال تقسيم اقتصاد العالم إلى مناطق وأقاليم، تكون فيها السيادة الهيكلية ثلاثية الأبعاد تتمثل بأمريكا الشمالية(نافتا: منطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية)، وأوروبا(الاتحاد الأوروبي)، وفدرالية مصالح أقل تماسكاً تتكون من علاقات تجارية في شرق وجنوب شرق آسيا، تمثلها بجدارة اليابان[١]، وبناءً عليه فقد يصح وصف غارودي لعلاقة العالم مع العالم الثالث ضمن الإطار الذي رسمه اقتصاد العولمة فيما لخصه قوله:" ظهر استغلال العالم الثالث على نحو جديد، بنشأة وتوسيع الشركات متعددة الجنسيات، إذ لم تبق علاقات الاستغلال ثنائية الجانب بين البلد المستعمر ومستعمراته، إن الشركات متعددة الجنسيات وهي غريبة عن حدود الدول سواءً في الغرب أو في سائر أنحاء العالم، تنظم نهب العالم الثالث لا على السلم القومي كما كان الأمر، بل على السلم العالمي، سواءً بالاستناد إلى قوة عظمى أو باستخدام مؤسسات دولية"[٢]

وضمن منظور المنطق الرأسمالي للاقتصاد العالمي للسوق الحر، تقوم الاستراتيجيات الاقتصادية على استغلال الظروف الجغرافية غير المتكافئة التي يحدث في ظلها تراكم رأس المال، وفي الوقت نفسه تحصل الاستفادة مما يدعى "فقدان التناظر" الناشئ بصورة حتمية عن علاقات التبادل عبر المكان، حيث تقوم القوى الاحتكارية للشركات ولرؤوس الأموال المتراكمة، باستغلال الانفتاح على الاقتصاد العالمي الذي أوجدته العولمة بنظامها الجديد، بحيث يستفيد رأس المال المتراكم والشركات من الظروف الجغرافية غير المتكافئة على نطاق الكرة الأرضية، فيوجد له مصانع وأسواق في أكثر هذه البقاع فاعلية من حيث الوفرة في الأيدي العاملة الرخيصة والمواد الأولية، ومن ثمّ يحصل رأس المال وشركاته على أقصى نسبة ربح ممكنة، من خلال استفادته من ظروف الوفرة وحرية تنقل رأس المال واليد العاملة وسواها من مبادئ الاقتصاد الحر، أي إن شركات العولمة العالمية توظف وفرة رؤوس الأموال الفائضة لديها في أي بقعة من الكرة الأرضية تراها محققة لأغراض الربح والاستثمار، فهي تستفيد من حرية التنقل الممنوحة لرأس المال وللأيدي العاملة وللبضائع، في تشغيل أموالها في البقع الجغرافية الغنية بالموارد الأولية والأيدي العاملة والفقيرة في مستوى الدخل الفردي والأجور، فتنتفع منها بوفرة المواد الخام الأولية وبوفرة الأيدي العاملة، ثمّ تنتفع من حرية التنقل وإلغاء الجمارك في تسويق بضائعها التي أنتجتها بأسعار زهيدة إلى كافة شعوب العالم محققة الأرباح التي خططت لها، "وبالتالي تزداد ثروات مناطق معينة على حساب مناطق أخرى، فالظروف الجغرافية غير المتكافئة لا تنشأ فقط بسبب اختلال أنماط الموارد

---

[١] أنظر: الامبريالية الجديدة، ص٧٤-٧٥

[٢] روجيه جارودي، حوار الحضارات، ضمن كتاب: الثقافة الجماهيرية، الحضارات صدام أم حوار آراء في الحضارة صموئيل هانتنغتون وآخرون، دار حوران، دمشق، ط٢، ٢٠٠٤، ص٤٤-٤٥

الطبيعية والتميز المكاني، وإنما هي نتيجة _ وهذا هو الأهم_ للوسائل غير المتكافئة لتركز الثروة والقوة في أماكن معينة بسبب علاقات التبادل غير المتناظرة، وهنا تحديداً يعود البعد السياسي للدخول في الصورة، ولا سيما أن واحدة من أولى مهام الدولة أن تسعى للحفاظ على ذلك النمط من انعدام التناظر في التبادل عبر المكان، إذا كان هذا النمط يخدم مصالحها، فإذا كانت القوات الأمريكية مثلاً تفتح أسواقاً لرأس المال في أصقاع كثيرة من العالم من خلال عمليات صندوق النقد الدولي أو منظمة التجارة العالمية(wto)، فذلك لأن فوائد معينة سوف تجنيها المؤسسات المالية الأمريكية، فالدولة إذن وباختصار هي ذلك الكيان السياسي الأقدر على التنسيق والمزاوجة بين هذه العمليات، وإن لم تفعل ذلك فالنتيجة المحتملة هي نقصان ثروة الدولة وسلطانها،... فالذي يميز الإمبريالية الرأسمالية عن غيرها هو هيمنة المنطق الرأسمالي رغم وجود أوقات تكون الهيمنة فيها للمنطق الإقليمي"[١].

وقد ألفت الباحثة (hanna arndet)، حول إشكالية تراكم رأس المال والمنطق الإقليمي فكتبت:" إن التكديس اللامتناه للملكية يجب أن يستند إلى تكديس لا متناه للقوة، (أي إن قوى العولمة السياسية ومنظماتها يجب أن تحمي رؤوس الأموال والشركات العالمية التي تنتشر مشروعاتها في بقاع الأرض مستغلة ظروف عدم التناظر والوفرة كما تبيّن)...وعملية تراكم رأس المال التي لا تحدها حدود، بحاجة إلى بنية سياسية لقوة غير محدودة، تستطيع حماية الملكية المتنامية من خلال التزايد المتواصل لقوتها"[٢]، " وهذا يطرح سؤالاً:" إذا وصلت الولايات المتحدة إلى مرحلة لا تكون فيها كبيرة بما يكفي، أو مالكة لموارد لا تكفي لإدارة الاقتصاد العالمي المتوسع كثيراً في القرن الحادي والعشرين، فما نوع تكديس القوة السياسية، وبحسب أي نوع من الترتيبات السياسية، الذي سيحدث في عالم لا يزال ملتزماً بشدة بعملية تراكم رأس المال دون حدود،...(وطرحت آرندت حلاً نقلته عن غيرها حيث تقول:) ويقول آخرون إن تجمعاً معيناً لعدد من الدول، تعمل متعاونة فيما بينها بالطريقة عينها التي أشار إليها كاوتسكي في نظريته عن الإمبريالية المغالية، وكما تمّ التلميح له في اجتماع منظمات مثل مجموعة الدول السبع... ربما تكون قادرة على تنظيم الأمور، ونستطيع أن نضيف إلى ذلك فكرة أقل تفاؤلاً تقول إذا ثبت أنه يستحيل لسبب من الأسباب، إنشاء هذا التكديس المتوسع على الدوام للقوة السياسية، فمن المرجح أن ينتهي هذا التراكم المتزايد لرأس المال إلى فوضى، تنتهي بها حقبة رأس المال إلى فوضوية معذبة وليس انفجار ثوري"[٣]

وعلى المستوى الفردي اتفقت الدراسات على أن أيديولوجيا العولمة الاقتصادية قامت على فلسفة المصلحة والمتعة وتحقيق المنفعة، والتي لخصها الرئيس الفرنسي فرانسوا ميترا فيما يرويه

---

[١] الامبريالية الجديدة، ص٤٢-٤٣
[٢] الامبريالية الجديدة، ص٤٤
[٣] الامبريالية الجديدة، ص٤٥-٤٦

عنه "مبروك" وغيره :" يجب أن نسمح بتحول العالم إلى تلك السوق الشاملة الواحدة التي يمكن أن يعمل فيها فقط قانون الأقوى، بهدف وحيد هو كيف يمكن الحصول على أكبر ربح في أقصر وقت[١]؟ ويتابع مبروك في تفسيره الأيديولوجيا التي قامت عليها المجتمعات الغربية في عصر العولمة فيقول:"وإذا أردنا أن نفهم الفكر الذي يقود الحضارة الغربية الآن، فلا بدّ أن نعود إلى مرحلة المخاض التي نتج عنها، أي الربع الأخير من القرن التاسع عشر، فالحضارة الغربية منذ عصر النهضة تتشكل في إطار الفكر العلماني، الذي ينطلق من الأسس المعرفية الإغريقية، التي تقتصر على العقل وخبراته في إدراك الحقائق وتصريف شئون الحياة، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر بلغ الصراع مداه بين الفلسفات المادية والمثالية" والتي تشترك في أسسها العلمانية" دون الوصول إلى أي يقين معرفي، مما سبب حالة من القلق الإنساني، وبعد أن حاول الماديون طرد الدين من العالم بينما أراد المثاليون أن يحددوا له مكان إقامته، جاء نيتشه وأعلن عن موت الإله بل وطالب بالقضاء على ظلال الإله الكامنة، والمتمثلة في المشروعات الفكرية المادية، والمتمثلة في المنظومات العقلانية والأخلاقية لتلك المشروعات المادية، وكذلك الوعود الإنسانية التي تبشر بها تلك المشروعات، وجاءت المشروعات الحداثية كانعتاق ضد الرؤى الدينية والمشروعات التأملية الهيجلية، حتى توج القرن التاسع عشر بأفكار وليم جيمس البراغماتية التي أسقطت الحقيقة وعملت على اختزالها في مفهوم المصلحة، أما شيلر الذي ينتمي إلى المدرسة البراغماتية نفسها، فقد كان أكثر صراحة حيث أعلن عن استناد فكره إلى مقولة بروتاغوراس السفسطائي:" الإنسان مقياس كل شيء"، وبتحليل بنية الفكر القائد للحضارة الغربية والذي يقود العولمة، نجد أنه بانتقال مركز الفكر الغربي إلى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، فإن قيادة الفكر الغربي بوجه عام انتقلت بدورها إلى الفكر البراغماتي الأمريكي الذي ينطلق من القناعة المسبقة بعجز الفكر الفلسفي الغربي (المادي والمثالي) عن إدراك الحقيقة، ومن ثمّ ألا جدوى من مواصلة البحث في الأسس المعرفية الإبستمولوجية، أو العمل على الوصول إلى إجابات فلسفية عن الأسئلة المصيرية الكبرى والاعتياض عن ذلك بالإلهاء الحسي النفعي المتواصل،....وعندما تكون المنفعة العملية هي المعيار الوحيد للحكم على الأشياء، فإن ذلك يؤول في التطبيق العملي إلى إحلال المصالح الخاصة محل المبادئ والقيم التي تحكم الأمور، فالبراغماتية هي عملية انتقال بارعة من المذهبية الفلسفية الملتزمة، إلى التبرير الفلسفي لكل ما هو قائم بالفعل على أنه هو ما تفرضه الاحتياجات الإنسانية، وهي في الوقت نفسه تعبير دقيق للغاية عما بلغه النسق الفلسفي العلماني للحضارة الغربية في أقصى نموها المادي، ومن هنا كان التركيز على اللذة والاستهلاك المادي فالإلهاء الحسي المتواصل صار بديلاً عن البحث الفلسفي الحقيقي، كما إن البراغماتية باعتمادها النفعية كمقياس للحقائق لا تؤدي إلى تبرير الانتهازية فقط، وإنما إلى صبغها بصبغة الحقائق الجديرة

[١] محمد إبراهيم مبروك، الإسلام والعولمة ضمن ندوة: الإسلام والعولمة، ١٩٩٩، ص١٠٣

بالاحترام والتقدير.... والتطبيق السياسي لتلك الفلسفة الأمريكية يعني اختزال طاقات شعوب العالم من خلال العولمة إلى طاقة دفع لماكينة الحياة البراغماتية الاستهلاكية، للنخب الرأسمالية والسياسية المسيطرة، فهي تبتعث من خلال آليات الغرب الأمريكي الإعلامية المسيطرة على العالم أشد الرغبات الاستهلاكية سعاراً في نفوس الناس، في نفس الوقت الذي يتم فيه إغراؤهم بتحطيم كل المبادئ والقيم في سبيل تحقيق تلك الرغبات،....لكن المشكلة التي يقع فيها الغرب الأمريكي نفسه الآن، أن البراغماتية التي استطاعت بتأكيدها على عجز الفكر الفلسفي الغربي عن إدراك الحقيقة المعرفية، تحطيم كل الفلسفات والأيديولوجيات الغربية، قد تولد عن تداعيات عجزها الفلسفي نفسه، ...، تلك الأفكار المابعد حداثية التي تؤكد على هذه التداعيات دون تقديم مشروع بديل لها، وتفسير ذلك أن البراغماتية تصنع إطاراً إلهائياً لمضمون عبثي، فهي تقول لك ابحث عن المصلحة والمتعة واللذة بدلاً من أن ترهق نفسك في البحث عن إجابة على الأسئلة المصيرية في الحياة مثل من أين جئنا؟...، فالبراغماتية تصنع من خلال الحث المستمر على المصلحة والمتعة واللذة تصنع إلهاءً متواصلاً عن التفكير في كل ذلك...، لأننا إذا قمنا بطرح حالة الإلهاء الحسي من البراغماتية فلن يبقى منها غير العبث، وتقوم نزعة ما بعد الحداثة على رفض كل فلسفة تقوم على النسق الكلي أو على مفهوم التاريخ أو على مفهوم التطور فضلاً عن الأساس الموضوعي للمعرفة.... وذلك لأن الشيء الأساسي الذي تحمله ما بعد الحداثة هو قناعتها بعدم إمكانية المعرفة، وإذا كان الحقيقي هو العقلاني المادي في عصر التحديث، وهو المادي المتغير في عصر الحداثة، ففي عصر ما بعد الحداثة لا يوجد أي أساس للتمييز بين الحقيقي والزائف، وبالتالي فلا حقيقي ولا زائف، وتشهد ثقافة ما بعد الحداثة على أن الرأسمالية المتأخرة التي يتم تعميمها من خلال العولمة أدت إلى جعل الذات المعاصرة شبكة مبعثرة مزاحة من المركز،... وهكذا فإن الأفكار المابعد حداثية لا تعمل فقط على تأكيد المضمون العبثي للبراغماتية، ولكن أيضاً على تجريدها من إطارها النفعي الإلهائي الزائف،... فهي عملت على تفكيك كل التصورات والأفكار وعلى تفكيك الإنسان ذاته في النهاية"[١]

ومن أبرز المنظمات الدولية التي سهّلت رسالة العولمة الاقتصادية وبلّغتها إلى العالم أجمع كلُ من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وقد اعتمد إنشاء كل من المؤسستين الاقتصاديتين على ميثاق بريتون وودز، وتلخصت الأهداف المبدئية المعلنة لإنشاء مؤسسات مالية دولية في المساعدة على زيادة الارتباط بين دول العالم الرأسمالي، إلى القدر الذي قد يكفل معه تشابك المصالح الاقتصادية، إبعاد نار الحروب بين الدول لأطول مدى زماني ممكن؛ وذلك لتداخل مصالحها الاقتصادية وتكاملها، ليسود السلام في ظل الترابط السياسي والاقتصادي بين الشعوب، كما تلخص هدف تحرير الأسواق في تحقيق أكبر قدر ممكن من المصلحة العامة، وأساس ذلك

[١] محمد إبراهيم مبروك، الإسلام والعولمة، ص١٠٤-١٠٧

نظرية "المنفعة شرط القيمة"، والتي كان محورها أن لكل دولة ظروفها الاقتصادية والبشرية الاجتماعية الخاصة بها، وأن لها ميزة نسبية على غيرها بإنتاج سلعة بأقل تكلفة ممكنة لإنتاجها، فبعض الدول لها ميزة في إنتاج الحرير، وأخرى لها ميزة إنتاج السيارات بأقل تكلفة ممكنة، مما يدفع كل دولة إلى التخصص التلقائي بالسلعة التي تقل تكلفة إنتاجها، وعلى أساس الاختلافات النسبية في تكاليف الإنتاج بين دولة وأخرى تقوم التجارة العالمية، فقد يكون بعض البلدان أكثر كفاءة من غيره في إنتاج سلعة(القطن مثلاً)، فيقوم بتصدير الفائض من إنتاج هذه السلعة في مقابل انتفاعه باستيراد سلع كفاءته الانتاجية فيها متدنية، وفي هذه الحال فإن إلغاء التعرفة الجمركية وتحرير الأسواق العالمية يخدم كلاً من المنتج والمستهلك، ويتكامل الدور الاقتصادي الذي يؤديه صندوق النقد الدولي مع مجموعة البنك الدولي والتي تشتمل على كل من المؤسسات المالية الدولية: البنك الدولي لإعادة الإعمار أوالتنمية، الجمعية الدولية للتنمية والشركة المالية الدولية، والوكالة المتعددة الأطراف لضمان الاستثمارات[1].

ثانياً: الأيديولوجيا الثقافية للعولمة

*نظرية نهاية التاريخ وارتباطها بثقافة العولمة: يبدأ التقليد الفلسفي في الثقافة الغربية من الأصول اليونانية التي ترجع إليها الرؤى الفلسفية، إما كفروع متطورة عنها أو كأصول تناقض تلك الفلسفات وتقابلها في رؤاها، وقد عرض أرسطو في كتابه "السياسة" أسباب الثورات وكيفية تحول بعض أنواع الأنظمة إلى أنواع أخرى، حيث اعتقد أن ليس في مقدور أي نظام سياسي إرضاء الإنسان الذي يحكمه، ومن ثمّ فقد ولد عدم الرضا الدوري عن الأنظمة الحاكمة الثورات التي دفعت الإنسان إلى تغيير الأنظمة بحركة دائرية لا نهاية لها، ولم يكن أفلاطون ولا أرسطو يؤمنان بتواصل التاريخ، حيث اعتقدا أن الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات كانت تقضي دورياً ليس فقط على جميع المجتمعات الإنسانية الموجودة على سطح الأرض، بل إنها كانت تلغي موروثها وتجبر الناس على إعادة البدء بالعملية التاريخية من جديد، فالتاريخ بحسب المفهوم اليوناني لم يكن طولياً بل كان دورياً[2].

اتجه فوكوياما في فلسفته التاريخية وجهة مخالفة لجذور الفلسفة اليونانية، فقد كان يعتقد بشمولية وتراكم التاريخ الإنساني، بخبراته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وشأن ذلك التراكم المعرفي الذي يخلفه التاريخ شأن التراكم المعرفي في الفيزياء وغيرها من العلوم الطبيعية، فقد

[1] أنظر: حمدان، فتحي إبراهيم، العولمة صراع حضارات وليست اقتصاد عابر للقارات، دار الفاروق للنشر،عمان، ط١، ٢٠٠٨، ص١٨٢-١٨٧، ١٧٥-١٧٦

الفتلاوي، سهيل أحمد، العولمة وآثارها في الوطن العربي، دار الثقافة، عمان، ط١، ٢٠٠٩،ص٨٩-٩١

[2] فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، (نرجمة: فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الشايبي)، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٣ ص٨١

انطلق فوكوياما للاستدلال على شمولية وطولية وتراكم التاريخ الإنساني من شمولية وتراكم المعرفة، فالمعرفة الإنسانية على مدى حقب من العصور كانت تراكمية، بحيث كانت الأجيال اللاحقة تتلافى بذل الجهد فيما عرفته الأجيال السابقة وتتحاشى الوقوع فيما وقعت فيه من الخطأ، وإن مفهوم التقدم الإنساني باعتباره اكتساباً تراكمياً من المعارف لا نهاية له، قد عبر عنه بوضوح (Bernard Le Bovier De Fontenelle) : إن الفكر المتقدم يحوي إذا جاز التعبير جميع أفكار القرون السابقة؛ فالفكر المتقدم في عصوره الأخيرة فكر واحد متماثل طور وحسن نفسه باستمرار على مدى حقب التاريخ التي تلت حقبته، ولهذا يعترف فوكوياما أن الإنسان في العصور الحديثة لن يمر بالبدائية العارية من التحضر[١].

وقد بدت الجهود الأكثر جدية لكتابة التاريخ الشامل فيما قدمته المثالية الألمانية التقليدية، حيث أطلق الفيلسوف عمانوئيل كانط فكرة التاريخ الشامل في بحثه(١٧٨٤)، "فكرة التاريخ الشامل من زاوية السياسة الكونية"، فقد كان كانط يوحي بأن للتاريخ نقطة نهائية أي له هدف نهائي تفترضه ضمناً إمكانيات الإنسان الجارية، وهذا الهدف يجعل مجمل التاريخ قابلاً للفهم، تمثلت هذه النقطة النهائية في تحقيق الحرية الإنسانية، وحتى تستمر هذه الحرية ولا يرجع التاريخ في دورة بدائية بل يستمر في حركته الطولية، فلا بدّ أن ترتبط هذه الحرية بدستور مدني عادل تفرضه قوانين أوجدتها سلطة عليا، وتحقيق مثل هذا الدستور المدني الذي ينطبق على العالم ويحقق حرية الإنسان وحده الذي نستطيع في ضوئه أن نفهم التقدم في التاريخ[٢].

وجاء هيغل وريثاً لكانط ليحاول كتابة التاريخ الإنساني القابل لئن يفسر التاريخ والوعي الإنساني الجماعي، وقد " كان هيغل يحاول تفسير العناصر الجيدة التي تحتويها مختلف الدول والحضارات الحقيقية في التاريخ، والأسباب التي أدت في النهاية إلى انقلابها، وبصيص الأنوار الذي بقي من كل منها لتهيئة الطريق نحو التطورات المستقبلية، وكما في المفهوم الكانطي حول " عدم اجتماعية مجتمع الإنسان" كان هيغل يرى التقدم في التاريخ الناشئ، لا يسير وفق تطور العقل الثابت، وإنما بحسب لعبة الأهواء العمياء التي تقود الناس إلى النزاعات والثورة والحروب، أي حسب "دهاء العقل" وفق الصيغة الشهيرة، إن التاريخ يتقدم بمسار متواصل من النزاعات التي تتصادم في إطارها أنظمة الفكر وكذلك الأنظمة السياسية، وتنهار بلعبة تناقضاتها الذاتية الخاصة، فهي عندئذ تستبدل بأنظمة أقل تناقضاً أي أكثر تطوراً، تولد بدورها تناقضات جديدة ومختلفة وفق مسار الديالكتيك الشهير، ... فحسب مسلمة كانط هناك أيضاً نقطة نهائية للعملية التاريخية وهي تحقيق الحرية على سطح الأرض: ليس تاريخ العالم شيئاً آخر غير تقدم وعي الحرية، وتطور التاريخ الشامل يمكن فهمه على أنه تقدم المساواة والحرية الإنسانية الذي يختصره هيغل بعبارة لاذعة:" كانت أمم الشرق تعلم أن هناك إنساناً حراً، وعالم اليونانيين والرومان كان يعلم أن بعض

[١] نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص٨٢

[٢] نهاية التاريخ والإنسان الاخير، ص٨٣

الناس أحرار، ونحن بدورنا نعلم أن جميع الناس بصفتهم كائنات إنسانية هم أحرار بشكل مطلق"، وأما تجسيد الحرية الإنسانية بالنسبة لهيجل فقد تمثل في الدولة الدستورية الحديثة، أو بالأحرى ما نسميه الديمقراطية الليبرالية، لقد أتهم هيجل باستمرار بأنه مغرم بالدولة وبسلطتها...، إن هيجل كان فيلسوف الحرية الذي يعتبر أن المسار التاريخي بكامله يبلغ حده الأقصى في تحقيق الحرية من خلال مؤسسات ملموسة اجتماعية وسياسية، ويمكن أن يعتبر هيجل أيضاً المدافع عن المجتمع المدني أكثر مما يعتبر داعم الدولة وبطلها، فهو الفيلسوف الذي أعطى تبريراً لإبقاء مجال واسع للنشاط الاقتصادي والسياسي مستقلاً عن رقابة الدولة، وبهذا المعنى بالطبع فسره ماركس وهو السبب الذي لأجله هاجم هيجل معتبراً إياه ممالئاً للبرجوازية"[1].

وبهذا الفهم لهيجل توصل فوكوياما إلى أنه كان مختلفاً عن المؤرخين الذين جاءوا بعده، فهيغل لم يكن يعتقد أن هذه السيرورة التاريخية سوف تستمر إلى ما لانهاية؛ وإنما ستصل إلى نهايتها مع تحقيق المجتمعات الحرة في العالم الواقعي، وبهذا فعندما تتحقق الحرية الدستورية في الواقع، فسوف تصل المجتمعات إلى نهاية للتاريخ، وقد فسر فوكوياما نهاية التاريخ وفق رؤى هيغل بأنها لن تعني نهاية الأحداث من الولادات والوفيات في التفاعلات الاجتماعية المتعلقة بوجود الإنسانية، بل إن هيغل عنى بها أن يسير التاريخ في تقدم مطرد للإنسان نحو أرفع مستويات العقلانية والحرية، وهذه السيرورة سيكون لها حد نهائي منطقي يتجلى في تحقيق استقلال الوعي المطلق، وقد اعتقد أن هذا الوعي يتجسد في الدولة الليبرالية الحديثة التي ظهرت في أوروبا إثر الثورة الفرنسية، وفي أمريكا إثر استقلال الولايات المتحدة، عندما أعلن هيغل أن التاريخ قد انتهى بعد معركة إيينا عام ١٨٠٦،... وكأنه أراد أن يقول ببساطة إن مبادئ الحرية والمساواة التي تميز الليبرالية الحديثة، قد أكتشفت وأنجزت في البلدان الأكثر تقدماً، وإنه ليس هناك من مبادئ وأشكال للتنظيم الاجتماعي والسياسي بديلة تعتبر أعلى من مبادئ الليبرالية، وبعبارات أخرى كانت المجتمعات الليبرالية متحررة من التناقضات التي تتميز بها الأشكال القديمة من التنظيم الاجتماعي وهذا ما ينبغي أن يؤدي إذن إلى نهاية الديالكتيكية التاريخية"[2]، وفي المرحلة التالية جاء كوجيف وتبنى هيغل ليبني على أصوله الفكرية نظريته التي ابتدأ بها مشروع الحداثة[3]،وأخيراً فقد سار فوكوياما على نظرية النهايات وقرر انتصار الليبرالية الديمقراطية وجودة نظامها الخالي من التناقضات والذي أهّلها لئن تنتصر على خصميها الفاشية والشيوعية[4].

إذن فقد قامت نظرية نهاية التاريخ ببذل وسعها في سبيل إثبات صلاحية الفكر الليبرالي الديمقراطي الذي حملته العولمة لئن يحكم العالم، باعتباره خلاصة الفكر الإنساني والمشترك الثقافي الذي توصلت إليه الأمم في أطوارها التاريخية المتأخرة، فقد كان فوكوياما ومن تابعه يرون أن ما

---

[1] نهاية التاريخ والإنسان الاخير، ص٨٤-٨٥

[2] نهاية التاريخ والإنسان الاخير، ص٨٨

[3] نهاية التاريخ، ص٩٠

[4] نهاية التاريخ، ص٢٦٧-٢٧٣

توصلت إليه الديمقراطية الليبرالية في نظامها الجديد يعد النظام الأمثل للعالم، باعتباره قد حقق الغاية التي سعت المجتمعات البشرية إلى بلوغها على مدى حقب تتابعت من تاريخها، وقد كانت هذه الغاية تحقيق الحرية والديمقراطية التي يضمنها القانون، فقد جاء النظام الدستوري الليبرالي ليضمن حرية الإنسان ويفتح له الآفاق في حرية بلا حدود، بعد أن توصلت البشرية إلى مشروع ما بعد الحداثة، كما إنه قد كفل له فردانيته وحريته الاقتصادية من خلال نظام الاقتصاد الرأسمالي الحر، الذي كفلته الليبرالية الجديدة وحملته العولمة الاقتصادية لتجعله نظاماً عالمياً من خلال مؤسساتها الدولية.

ولا يخفى من النظر في فروع هذا البحث أن النظام الليبرالي قد قادت دفته الرأسمالية الأمريكية بشركاتها ومؤسساتها، مما يدفع العديد من الباحثين إلى التنبؤ بأنه في حال إحلال الفكر الأمريكي العلماني البراغماتي محل النظم الأيديولوجية وقوانين الحضارات الإنسانية، فإن ذلك سيؤدي إلى توحيد الأنظمة السياسية والاقتصادية على مدار العالم، فلن يكون ثمة عالم إسلامي وعالم نصراني وآخر علماني وإنما هو عالم واحد، يستقي مبادئه وفكره وشرائعه وأخلاقياته من الخبرة الإنسانية، وهي الخبرة البشرية للعالم الأول المتقدم والغني في أوروبا وأمريكا كما هو بيّن، وبالتالي فإن الدساتير والقوانين والنظم يجب أن تكون براغماتية أساسها الفلسفة المادية الحسية، ولا مجال فيها لكتاب سماوي أو وحي إلهي يتدخل في بنودها أو مبادئها، لأن هذا ما تعارضه صراحة أيديولوجيا الحداثة التي مهدت للعولمة، وترتبط شمولية العولمة الثقافية بسعيها لتسليع كل شيء في الوجود الإنساني مما يلغي الاختلافات النظرية والأيديولوجيا في رؤية الأشياء وفي تقييمها للأمور، وأما سرعتها فمرتبطة بحركة القطيع الالكتروني الذي يتدفق معلومات ومعرفة على مستوى العالم عبر أجهزة التقنيات الإعلامية الحديثة[١].

وقد قام مشروع الحداثة الذي كان أحد النظريات الفعالة في فكر العولمة وثقافتها على "الجهد الفكري الاستثنائي لمفكري عصر النهضة إلى حد "تطوير علم موضوعي وأخلاق وتشريع عالميين، وفن مستقل لا يتبع إلا منطقه الداخلي الخاص"،وقد قامت فكرة الحداثة على استخدام تراكم المعرفة الذي وفره أفراد كثر عملوا على نحو حر وخلاق من أجل تحرير البشرية، حيث يرى مفكرو الحداثة أنه ومن خلال التطور الموضوعي للعلم فقد تحقق الوعد بالتخلص من الندرة والحاجة، ومن قيود الطبيعة، كما جلب التخطيط العقلاني للتنظيم الاجتماعي ولأنماط التفكير الوعد بالتحرر من لا عقلانية الخرافة، والدين الأسطورة ومن الاستخدام المتعسف للسلطة، والانعتاق كذلك من تسلط الجانب المظلم داخل طبيعتنا البشرية"[٢]

---

[١] أنظر: العامري: ضمن كتاب، صموئيل هانتنغتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص٢٠٠-٢٠١

[٢] هارفي، حالة ما بعد الحداثة بحث في أصول التغيير الثقافي،(ترجمة: محمد شيا)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥،، ص٣٠

إن الناظر في المعطيات الثقافية والحضارية التي يقدمها مشروع العولمة إلى العالم، يجدها تنتقل به إلى مرحلة من الرجعية القيمية التي شهدتها الأمم قبل نزول الديانات السماوية، ففي واقع حياة المجتمعات الجاهلية سادت العديد من المظاهر القيمية المتمثلة في الاعتراف بسلطان الإنسان في الأرض وحريته في تمثل القيم التي يراها، تمثل هذا في المجتمع الجاهلي الذي عرفه العرب قبل الإسلام والذي كان يقر بوجود الله، وينفرد هو في التشريع لذاته واختيار الأحكام والقيم التي ارتضاها لواقعه، كما إن هذا المجتمع امتاز بشهادة التاريخ بأنه مجتمع طبقي، عرف الطبقات البائسة كما عرف الطبقة البرجوازية، كما عرف هذا المجتمع صورة نمطية للمرأة تحصرها في الجانب الإغوائي القائم على الغريزة وصفه الله ليحذر منه المؤمنات في المجتمع الجديد بقوله: (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)[1]، ومن القيم التي سادت بامتياز في المجتمعات الجاهلية قيم التفرد والأنانية والأثرة، وبعدما جاءت رسالة الإسلام لتعالج هذا الواقع وتخرجه من حقبة الدوران حول الذات والتمزق والضياع، وبعدما قامت الأمة المسلمة على قيمها الإنسانية التي عالجت مخرجات الواقع الجاهلي ووضعتها في مكانها الذي تستحقه، جاءت حقبة العولمة لتمرر هذه القيم والمضامين الثقافية بذاتها إلى المجتمعات والدول تحت عنوان ما بعد الحداثة، فمن قيم الفردانية والتوحد وتقديس الذات، إلى قيم الطبقية وحماية ملكية وتفرد أصحاب رؤوس الأموال، إلى قيم حرية الإنسان في التشريع وفي اختيار النسق الذي يناسبه، إلى قيم الجمال القائمة على الإغواء وتسويق الإغراء وثقافة الجنس من خلال حرية المرأة وإعلام المضامين الجنسية الذي ارتبط معها، وقد حملت هذه المنظومة لما بعد الحداثة تيارات العولمة الثقافية والاقتصادية السياسية كما تبين، وكما سيتبين لتحكم بأن قيم الإسلام وثقافته لم تعد مناسبة لواقع الحال الذي أفرزته العصور المتأخرة[2]!

لقد استمرت الولايات المتحدة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي تتعامل مع فلسفة السوق الحرة التي سيطرت على الثقافة العامة الأمريكية، وبدت هذه الفلسفة تجدد الاعتقاد بأن الولايات المتحدة تجسد العصر الحديث بتفرد لا يستطيعه أي بلد غيرها، وكما يصف جون جراي مؤلف الفجر الكاذب: بدأ العالم يتقارب على أساس القيم والمؤسسات الأمريكية، وصار مشروع السوق العالمية الواحدة رسالة أمريكا إلى العالم، والتي باتت في نظر الأمريكيين وغيرهم البلد الفريد، الذي يمثل نموذج الحضارة العالمية والذي يلزم جميع المجتمعات الإنسانية أن تحاكيه، وحمل المحافظون الجدد أنفسهم رسالة الليبرالية الجديدة وأيديولوجيا التنوير كما يصفها جراي[3].

وكما وصف فوكوياما ومن قبله هيجل وكانط رسالة القوانين والقيم العالمية التي تتوصل إليها الحضارة الخاتمة لحضارات التاريخ، استطاع منظرو اليمين وغيرهم أن يدخلوا في الأساطير

---

[1] سورة الأحزاب، الآية ٣٣

[2] قيم المجتمع الجاهلي مقتبسة من: محاضرة د. محمد العمري، ضمن ندوة: ذكرى الهجرة النبوية، جامعة اليرموك، ٢٠١٦/١٠/٩

[3] أنظر: جراي، جون، الفجر الكاذب أوهام الرأسمالية العالمية، (ترجمة أحمد فؤاد بلبع)، المجلس الأعلى للثقافة، مكتبة الشروق، القاهرة كولالمبور جاكرتا، ط١، ١٩٩٩، ص١٤٣-١٤٤

الأمريكية أن الدستور الأمريكي يجسد مبادئ لا يحدها زمان أو مكان، وهي ذات حجية على نطاق العالم، وفي هذه الميثولوجيا" علم الأساطير" _ كما يصفها جراي_ لا تعدّ الولايات المتحدة نظاماً خاصاً نشأ في ظروف محددة .... بل هي تجسيد لحقائق عامة يضمن التاريخ مستقبلها، ففي فكر الجناح اليميني الذي فرض سطوته على الولايات المتحدة اندمجت مبادئ المؤسسين في كيان واحد يجسد مبادئ الحداثة، ويمثله عملياً نموذج السوق الحرة التي باتت تصدر إلى العالم باعتبارها الحد القاطع بين النظام العالمي القديم والنظام العالمي الجديد، وكما ينبغي لتحقيق الحداثة أن تكون سلطة هذه المبادئ عالمية فالذي يلزم لتحقيق ذلك أن تكون سلطة المؤسسات الأمريكية عالمية، كما يلزم لذلك أن تكون السوق الحرة عالمية[١] "

لقد أفادت الأنظمة السياسية والإدارية من المعطيات الأيديولوجية السابقة، لتنصب الولايات المتحدة وكيلاً على الاقتصاد الرأسمالي والسوق المفتوحة، ولتنصب الأمركة صورة مطابقة للعولمة، " والاستراتيجية التي وضعها اليمين لتحقيق الهيمنة على الفكر الأمريكي خلال الثمانينات لم تكن استراتيجية معقدة، وقد كان هدفها المطابقة بين المؤسسات الأمريكية والسوق الحرة، ولكن تاريخ الولايات المتحدة من الصعب أن يكفل ترادفاً جسوراً كهذا، فعلى غرار انجلترا أخذت الولايات المتحدة بنموذج مبكر من سياسة "دعه يعمل" في حياتها الاقتصادية المحلية في القرن التاسع عشر، ولكن السوق الحرة الأمريكية على خلاف نموذجها البريطاني أحيطت بحماية جمركية ودعمت حتى نهاية الحرب الأهلية الرق، ولم تكن الحكومة الأمريكية تتقيد في أي وقت بقاعدة عدم التدخل في الحياة الاقتصادية، فقد أرسيت أسس الرخاء الأمريكي خلف أسوار الحماية الجمركية العالية، وكان للحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات دور فعال في بناء خطوط السكك الحديدية والطرق السريعة، وتمّ فتح الغرب بترسانة من الدعم الحكومي،...ومع ذلك فإن الرأسمالية غير المقيدة التي عرفتها الولايات المتحدة قبل الحرب العالمية الأولى كانت تحاول التدليل على شرعيتها ببعث الروح في الفلسفة الاقتصادية التي أساسها مبدأ" دعه يعمل"، وتدخل حكومي في أضيق حدود، وكانت الأفكار التي من هذا القبيل تستخدم عادة لمواجهة المصلحين التقدميين، .... وللدفاع عن الاحتكارات التي وطدت أقدامها في القرن التاسع عشر باعتبارها النتيجة الطبيعية للرأسمالية غير المقيدة، ووجود عصر ذهبي أمريكي لمبدأ دعه يعمل لا يعدو أن يكون خرافة تاريخية ولكن استخدامه لمساندة السوق الحرة الأمريكية اليوم له سوابق تاريخية كثيرة"[٢]

إن حرية المسئولين التنفيذيين في الشركات في ظل اقتصاد متحرر من الضوابط: _مثل الحق في الاستخدام والفصل، والحق في تصغير حجم المنشأة أو تأجيل السداد، والحق في بيع أو شراء الأسهم بشروط محددة، وفي أن يكافئوا أنفسهم بمنح سخية_ لم يكن ينظر إليها على أنها

[١] أنظر: الفجر الكاذب، ص١٤٥-١٤٦
[٢] الفجر الكاذب، ص١٤٤-١٤٥

مزايا خاصة تمنح في ظل نوع محدد من الرأسمالية، بل على اعتبارها ممارسة لحقوق الإنسان غير القابلة للتصرف، فقد أصبحت الرأسمالية الأمريكية مرادفة لحرية اتخاذ الإجراءات، كما أصبح هيكل السوق الحرة الأمريكية متطابقاً مع هيكل حقوق الإنسان، فمن يتجاسر على إدانة مظاهر عدم المساواة والتحلل الاجتماعي الآخذة في الازدهار والتي تولدها الأسواق الحرة، عندما لا تعني هذه الأسواق ما هو أكثر من الحق في الحرية الفردية في المجال الاقتصادي، والأسس الفلسفية لهذه الحقوق أسس واهية وتعوزها المتانة، وليست هناك نظرية يوثق بها في القول بأن هذه الحريات الخاصة للرأسمالية المتحررة من الضوابط لها مكانة الحقوق العامة، فالمفاهيم الأكثر قبولاً للحقوق لا تستند إلى مثل القرن السابع عشر المتعلقة بالملكية، بل تستند إلى الأفكار الحديثة المتعلقة بالاستقلال الذاتي، وحتى هذه ليست قابلة للتطبيق بصفة عامة، وإنما هي تعكس فقط خبرة تلك الثقافات وأولئك الأفراد الذين يعدون ممارسة الاختيار الشخصي أكثر أهمية من الترابط الاجتماعي، أو السيطرة على المخاطر الاقتصادية أو أي خير جماعي آخر، والحقيقة أن الحقوق لم تكن أبداً هي المحتوى الأساسي للنظريات الأخلاقية أو السياسية أو الممارسة العملية؛ وإنما هي استنتاجات محصلات نهائية لسلاسل طويلة من الاستدلال المنطقي من افتراضات مقبولة بوجه عام، فليس للحقوق سلطة أو مضمون في حالة عدم وجود حياة أخلاقية مشتركة، إنها اتفاقيات لا تعيش إلا إذا كانت تعبر عن توافق معنوي، وعندما يكون الاختلاف الأخلاقي عميقاً وواسعاً فإن الرجوع إلى الحقوق لن يستطيع إيجاد حل له، وهو في الواقع يمكن أن يجعل ذلك النزاع مستعصياً بدرجة تنطوي على الخطر، إن النظر إلى الحقوق لتكون حكماً في النزاعات العميقة_ بدلاً من السعي إلى تخفيفها عن طريق المهادنات السياسية _ إنما هو وصفة لنشوب حر ب أهلية محدودة الكثافة، ... ولا يمكن لثقافة الحقوق غير المشروطة إلا أن تعجل بسير الولايات المتحدة نحو أوضاع يتعذر التحكم فيها، وتتسم المطالبات بالحقوق في النظريات المعاصرة بالشطط والجموح، ولكنها معدة جيداً بحيث تؤدي إلى إغلاق الحوار السياسي، وقد استخدمت سلطة الحقوق في الولايات المتحدة على النحو الذي أعادت السطوة المحافظة الجديدة تشكيلها به، لتكون درعاً يحمي تحركات السوق الحرة من التفحص الدقيق من جانب الجمهور ومن التحدي السياسي، كما استخدمت أيديولوجية للحقوق لإضفاء الشرعية على وريث جديد للرأسمالية الليبرالية الأمريكية"[١]

وبالاستناد إلى رسالة فوكوياما التي أكدت قداسة الثقافة الأمريكية والإنسان الديمقراطي الذي يتربع على هرم التطور الإنساني، تجد جون جنجريتش المتحدث باسم مجلس النواب الأمريكي يقول:" إن حضارة الرجل الأبيض الأمريكية يتهددها خطر التنوع الثقافي الذي ظهر في الولايات المتحدة في أواخر القرن العشرين، ويعتقد أن هذا التنوع جاء نتيجة حركة الحقوق المدنية التي طالبت بالمساواة، أي حركة السود والملونين من أبناء الشعوب الأخرى، ويطالب الدولة بالسيطرة

[١] الفجر الكاذب، ص١٤٩-١٥١

فيقول: لكي تبقى أمريكا كحضارة يجب أن تكون الانجليزية لغتنا المشتركة، فإذا سمحنا لأن تكون الهيمنة لنموذج متعدد الثقافات في أمريكا ذات اللغات المتعددة فإن المجتمع مآله إلى التفكك، إن الاختيار الذي أمامنا هو ما بين الثقافة" ثقافة الرجل الأبيض" وبين البربرية"[1]

والناظر في تاريخ أمريكا وحاضرها يجد أنها قد "كانت مجتمعاً من وافدين متعددي الأعراق يستحيل معه نشوء قوميات عرقية كما هي الحال في أوروبا واليابان، وكان مجتمعاً قلّ نظيره في امتلاكه مساحات واسعة تتيح له توسعاً داخلياً يستطيع فيه المنطق الرأسمالي والمنطق السياسي للقوة أن يتحركا بحرية[2]....فالصعوبة في تحقيق تلاحم داخلي في مجتمع متعدد الأعراق يتميز بالفردية الشديدة وتعدد الطبقات الاجتماعية، أوجدت ما يدعوه "هفستاتر" أسلوب الخوف والشك في الآخرين في السياسة الأمريكية، أي الخوف من الآخر " مثل البلشفية والاشتراكية أو الفوضوية أو مثيري الشغب الخارجيين"، وباتت عاملاً مهماً في خلق تضامن سياسي على الجبهة الداخلية"[3].

وقد تحدث المودودي عن مجمل النظريات التي تقوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة، وهي كما يوجزها فلسفة هيجل في التاريخ، ونظرية داروين في الأحياء والصراع الطبقي عند ماركس، وقد بيّن أن الرابط الذي يجمع هذه النظريات جميعاً أن اللاحق منها ينسخ السابق ويلغيه، فليس هنالك ثوابت _وهذا ما قامت عليه حقبة الحداثة الأوروبية التي اعتمدت فكر نيتشه بنظرية التدمير الخلاق والخلاق المدمر_، فعند داروين القوي ينسخ الضعيف ويزيله، وعند ماركس الطبقة الوليدة تنسخ الطبقات السابقة، وعند هيجل العصر الجديد ينسخ العصر القديم[4].

والذي يتبين مما سبق أن ثقافة ما بعد الحداثة التي آمنت بها العولمة وجعلتها رسالتها إلى العالمين، ليست من المكانة بحيث تلقى القبول في مجتمعاتها التي ولّدتها، وأوضح ما يترجم هذه الفرضية من عدم قبول هذه الثقافة، حال أمريكا مع التعددية العرقية ومع حركات الحقوق المدنية، وما ولدته هذه التعددية من حالة الشك العارم الذي باتت تعانيه السياسة الأمريكية، ومن ثمّ فإن نظريات الصراع أشبه ما تكون باستجابات انعكاسية لمثيرات الفوضى والشك التي ولدتها ثقافة ما بعد الحداثة، والتي تقدم إلى المجتمعات المسلمة باعتبارها الثقافة الأكثر تواءماً واستجابة لحاجات العصر، فيم ينظر إلى قيم الإسلام القائمة على الثبات والاستقرار في أصولها ومبادئها، وعلى التجدد وقبول الاختلاف في منهجها وطرائقها، باعتبارها قيماً عتيقة كما يصفها عبد الرازق وغيره من دعاة التغريب، رغم أن قيم التعددية والاستقرار التي حملتها رسالة الإسلام لن تعاني التناقض الذي ولد الشكوك والفوضى كما مر بالمجتمعات الغربية، يشهد لذلك قول الله تعالى: (يا

---

[1] شوقي جلال، العولمة الهوية والمسار رؤية عربية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، ، ص٦٢

[2] أنظر: نظرية الحدود المفتوحة والتوسع الأمريكي داخل القارة وخارجها في: مايكل هاردت وأنطونيو نيغري، الإمبراطورية: امبراطورية العولمة الجديدة، (ترجمة: فاضل جتكر)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٢، ص٢٥٢-٢٦٦

[3] الامبريالية الجديدة، ص٥٧

[4] أنظر: ديفيد هارفي، حالة ما بعد الحداثة بحث في أصول التغيير الثقافي،(ترجمة: محمد شيا)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٣٥، وأنظر:محمد عمارة في: محمد إبراهيم مبروك، الإسلام والعولمة، ص١٢٤

أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[1]، فالقيم التي يقرها الإسلام واحدة لأن مرجعها من الله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، ولكنها تقبل التعددية الذاتية المتعلقة بتمثل الأفراد واستجابتهم لأن ذلك علة التكليف كما يقول تعالى: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)[2]، ويقول تعالى: (قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا)[3]، ومع كل ما سبق يقبل منظرو الثقافة الغربية أن تعدّ قيم ما بعد الحداثة وثقافة العولمة ناسخة للإرث الحضاري الإنساني ونهاية لتطور التاريخ ومجتمعاته، ولا يقبل هؤلاء أن يكون الإسلام بقيمه العالمية ناسخاً للرسالات ومناهج الحياة بالصورة التي يريدها الله تعالى.

وفي أفق منظري العولمة توسع كينيدي في وصفه عجز العالم الإسلامي عن التصالح مع القرن العشرين، وقبل ذلك عجزه عن التعاطي مع القرن التاسع عشر، وقد ردّ ذلك كله إلى الثقافة الإسلامية التي تسم العالم الإسلامي وفق رؤيتها والتي يسم قيمها بقيم الاستعباد، وقد تجاوز في استنتاجه وتصوره ما خلصت إليه العديد من الأبحاث من أن الأنظمة التربوية والاقتصادية في العالم الإسلامي لم تمثل الثقافة الإسلامية التي ينقدها كينيدي، وإنما مثلت ثقافة الاستعباد الاستعمارية لا الشرقية، ذلك أنها جاءت لتكرس منهج التبعية والانقياد للحضارة الغربية، بعدما قفلت جيوشها عائدة إلى دولها، ومن أوضح الأمثلة ما كتبه كارنوي في كتابه" التربية أداة للاستعمار الثقافي".

والذي يلاحظ أن كينيدي تحدث بطريقة هيجل وماكس فايبر عن عالم غربي وعالم شرقي، وقد جاءت دعوته لتحث الثقافات الشرقية بعامة والإسلامية بخاصة على الانسلاخ من تقاليدها الدينية الثقافية، وإعادة ترتيب سلم قيمها، ثمّ إن كينيدي في وصفه الحضارة الغربية كان جازماً بأن أوروبا وامتدادها الأمريكي الليبرالي الحديث، هما مركز القيم الأكثر شمولية وإنسانية من قيم الثقافات الشرقية الاستعبادية المغلقة، وهذه الشمولية الإنسانوية مضافاً إليها الحريات الفردية والبراعة الاقتصادية تجعل من الحضارة الغربية الحضارة الوحيدة القائمة في الراهن والممكنة في أي زمن مقبل، وفي هذا يتوافق كينيدي مع فوكوياما في نظرته إلى الثقافات وفي تقديره الثقافة الغربية الأمريكية، وأما غارودي فقد وصف حضارة الغرب بأنها عارض طارئ كما وصف الغرب بأنه مصادفة تاريخية وحدث استثنائي ضئيل في تاريخ الملحمة الإنسانية التي دامت ثلاثة ملايين سنة[4]، وقد اتجه عدد من منظري التغريب والعلمانية في العالم الإسلامي وجهة بيدهام وكينيدي، وأظهر ما يمثل هذه الدعوة في واقع المجتمعات المسلمة ما أورده علي عبد الرازق في كتابه الإسلام وأصول الحكم حيث قال:" إن رد الإسلام إلى دائرة الروح، ورد الحياة الاجتماعية والسياسية

---

[1] سورة الحجرات، الآية ١٣
[2] سورة يونس، الآية ٩٩
[3] سورة الإسراء، الآية ٨٤
[4] فراج، عفيف، ثنائية شرق غرب في مرايا فريدريك هيغل وبرتراندرسل وبول كينيدي...، ص١٣٢-١٣٣

بعد تحريرها من الدين إلى دائرة العلم الوضعي هما السبيل إلى التقدم وإلى مسابقة الأمم في طريق الرقي، وهذا ما تعنيه هذه العبارة: لا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى في علوم الاجتماع والسياسة كلها "[1]

وفي حال نجاح المشروع الثقافي للعولمة فإنه يتوقع من العالم الإسلامي أن يستبعد الإسلام عن مجالات الفكر والعمل في الحياة الواقعية، وهذا ما دعا إليه بيدهام _ وتابعه منظرو التغريب في العالم الإسلامي كما تبيّن _صراحة حين أشار بأن على المسلمين أن يقتفوا التجربة الغربية العلمانية في تعاملهم مع الدين، حيث رأى أن في الإسلام عجز ديمقراطي، فهو يرى أن الإسلام كان ولا يزال يحيي عصر الأقليات الحاكمة؛ لأنه لا يزال يؤمن باليقين الذي تسبغه فئة العلماء الصغيرة على غيرهم، على اعتبار أنهم يملكون التفسير الوحيد لكلمة الله، والديمقراطية كما يصفها بيدهام إنما ظهرت لاندحار الإيمان باليقين أو على الأقل من نكران فكرة أن إنساناً يستطيع فرض يقينه على إنسان آخر، فالديمقراطية وليدة الإصلاح الديني في العالم المسيحي في مطلع القرن السادس عشر[2]، والفرق بيّن بين الثقافة الغربية التي يطالب بيدهام المسلمين باقتفاء تجربتها في التعامل مع الدين، وبين الثقافة الإسلامية، مما يجعل المقارنة بينهما قياس مع الفارق، فالإسلام يثبت في العديد من جوانبه النظرية أنه علم يبرهن على الحقيقة التي يقدمها، فهو من علم الله الذي مكّن الإنسان منه، ومن ثمّ فالعلم في الإسلام قائم على وحدة المعرفة وتكاملها، بحيث لا تتعارض المعرفة الدينية مع المعرفة العلمية كما حصل في الثقافة الغربية، ولهذا لا تنطبق التجربة الغربية مع الدين في المجتمعات المسلمة، ففي الإسلام ميادين من النظر في عالم الآفاق في الكون وفي عالم الأنفس، ما يجعل اليقين والثقة بأحكامه وليدة التجربة والبرهان العقلي إضافة إلى اليقين والجزم القلبي، بل إن القرآن يجعل من عالم الآفاق المتمثل في موجودات الطبيعية وخلق الإنسان، دلائل بيّنة على خالق الكون والإنسان، من ذلك قول الله تعالى: (مالكم لا ترجون لله وقاراً* وقد خلقكم أطواراً* ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً* وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً* والله أنبتكم من الأرض نباتاً* ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً)[3]

وقد أشار عدد من المنظرين في العلوم التربوية والنفسية أن صدق النظرية وصحتها يرتفع في حال محاكمة الجوانب التطبيقية التي جاءت بها النظرية وثبوت صحتها[4]، وليس الغرض من هذا القبول بإخضاع النصوص الشرعية لمنهج الشك التجريبي، ولكن الغاية تقديمها بصورتها

---

[1] علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، القاهرة، ١٩٢٥، ص١٠٣

[2] المسيري، عبد الوهاب، العولمة والشرق أوسطية، ضمن كتاب: الإسلام والعولمة، محمد إبراهيم مبروك، ط١، ١٩٩٩، ص٩٥-٩٦، جودت سعيد وعبد الواحد علواني، الإسلام والغرب والديمقراطية: قراءات وتعليقات على مقالتي صدام الحضارات لصاموئيل هانتنغتون والإسلام والغرب لبريان بيدهام، دار الفكر، دمشق بيروت، ص٨٠-٨٣، ص١٣٢

[3] سورة نوح، آية ١٣-١٨

[4] أنظر: ت مور، النظرية التربوية، (ترجمة محمد الصادق وعبد المجيد عبد التواب)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٦، ص٤٧

المعجزة التي تحدى بها الله البشر إلى يوم القيامة، ففي زمن الرسالة كان التفوق في البلاغة والنحو فتحداهم القرآن ببلاغتهم، ولأن الإسلام دين العالمين إلى قيام الساعة فإن معجزته في القرآن مستمرة تتحدى لتبرهن للعالمين أنه من لدن حكيم خبير، ففي هذا العصر الذي يتبجح بالمعرفة التجريبية ولا يحترم سوى المعارف التي تنتجها التجربة، يظهر في الآيات والنصوص القرآنية مواقع من الإعجاز العلمي في كشفه العديد من الحقائق التجريبية التي أثبتت النصوص أسبقيتها في تبليغ حقيقتها، والتي جاءت التجربة العلمية شاهداً عليها[1]، وبهذا فإن المسلم يختلف في تجربته مع الدين اختلافاً لا مجال فيه لأي وجه من التناظر أو التقارب مع نظرة أتباع الديانات السابقة أو أتباع الديانات البشرية التي يقارنها بدهام وغيره مع الإسلام، وأما فرضية بيدهام حول العلوم اليقينية التي يفرضها علماء الدين على عامة المسلمين فلا شك أنها تتغافل أن اليقين في العلم الذي جاء به الإسلام إنما هو يقين ما يحمله النص الشرعي من حقائق، وليس يقين يحمل قداسة للفكر البشري كما في الأيديولوجيات المغايرة للإسلام، بل إن ما يقدمه علماء الإسلام من معارف وعلوم إنما تتقبلها الأمة في إطار موافقتها لنصوص القرآن والسنة، وأما ما لم يتفق منها معهما فليس لها من القداسة او اليقين ما يدعيه بيدهام بصرف النظر عن مكانة أو منزلة من قال بها، بدليل أن القرآن الكريم جاء يصوب الحكم الذي جاءت به السنة في عدد من المواضع ، كما في قول الله تعالى: " ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم"[2]، فإذا كان هذا خطاب القرآن الذي خاطب الله به رسوله لما حكم على المشركين في معركة أحد فقال: لن يفلح قوم كسروا رباعية نبيهم، فكيف يكون اليقين لقول عالم ما لم يكن مطابقاً للنص المقدس الذي ثبتت دلالته القطعية في الإسلام، وفي هذه الآية رد كاف على مزاعم بيدهام وغيره.

كما إن في الثقافة الغربية اتجاهات معاصرة تدعو إلى إعادة النظر في المعرفة التي يقدمها الدين بصورة عامة، فهذا ماسلو صاحب نظرية القوة الثالثة في علم النفس ينادي بتوسيع مفهوم العلم، حتى لا تتكرر مأساة ملحد القرن التاسع عشر الذي أحرق البيت بدلاً من أن يرممه _ على حد تعبير ماسلو عن رفض العالم الغربي للعلم الذي يقدمه الدين_، ومختصر ما يبين رأيه: أنه ذهب إلى أن خطأ الكنيسة في الإجابة عن أسئلة الإنسان حول مصيره وعالم الغيب، لا يعني أن تلك الأسئلة خطأ في مضمونها أو أنها لا تستحق البحث عن علم يجيب عنها، حيث يقول ماسلو: إن علماء النفس الطبيعيين الإنسانيين سوف يعتبرون كل شخص لا يهتم بالدين وموضوعاته وقضاياه إنما هو إنسان شاذ ومريض"[3]، وبهذا يتبين عدم الاتفاق بين منظري الثقافة الغربية على ما ذهب إليه بيدهام وملحدو القرن العشرين في شأن العلوم الدينية، واختلاقهم العداء

---

[1] أنظر: أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، زغلول النجار

[2] الآية ١٢٨، سورة آل عمران

[3] أنظر: إبراهام ماسلو، خطر الانشقاق بين الدين والعلم، (ترجمة: ماجد الكيلاني)، الأمة، العدد ٣، ١٩٨١، رئاسة المحاكم الشرعية، الدوحة، ص١٧-١٩

بين الدين العلم، إلى الحد الذي أقصي به الدين عن حياة الناس وباتت معارفه محلاً للتقييم والنقد والاستخفاف.

إذن فقد قامت فلسفة ما بعد الحداثة على قبول التعددية والانشقاق والآخر كما هو، فقد رأت أن الحقيقة ليست حكراً على أي من الأطراف المتضادة في حال الاختلاف، وقد أدى تقديس هذه التعددية إلى اعتبار النزعة الراديكالية الذاتية، الأساس في محاكمة الواقع بمفرداته من أشياء وأفكار وأشخاص، وقد أدت هذه النظرة التي أوجدتها ثقافة ما بعد الحداثة إلى قبول الفوارق العنصرية، بل واستيعاب الاختلاف في سبيل تحقيق الإبداع، ولكن الناظر في فكر العديد من منظري الرأسمالية الليبرالية المعولمة يجده محذراً من الاختلاف والتباين بين الهويات الذاتية التي تولد الاختلاف بين الأقليات والجماعات العرقية، ابتداءً من الأقليات الامريكية، كما فعل جنجريتش وهانتنغتون وسواهما، وهذا ما يؤكد أن العولمة بثقافتها الاقتصادية إنما قامت على مبادئ المصالح الذاتية وتحقيق المنفعة، فهي وإن بدت متطورة في دعوتها إلى قبول الاختلاف والتناظر والتضاد، فإنها تقبل هذا التشرذم والتضاد لما يحققه لها من مكاسب على مستوى التجديد المستمر في الإنتاج، وعلى مستوى تكامل الطاقات البشرية بين العمالة المختلفة والمتباينة في قدراتها، وأما سوى ذلك فإن الغالب على العولمة أنها تعبر عن تفوق بعض الثقافات والقيم وتدعو إلى عالمية بعض الدساتير كما تبيّن، وفق ما ورثته نظرية فوكوياما القاضية بتفوق الثقافة الأمريكية.

*** نظرية الصراع بين القيم العالمية الكوزموبوليتانية والقيم الأصولية التقليدية

أورد هانتنغتون في كتابه صراع الحضارات تنبؤاته حول مستقبل العالم المعاصر فقال" تدخل السياسات العالمية مرحلة جديدة، لم يتردد المثقفون إزاءها في تقديم رؤى لما ستكون عليه: نهاية التاريخ وعودة النزاعات التقليدية بين الدول الأمم، وانهيار الدول الامم، من جراء الدوافع المتعارضة للنزعة القبلية والنزعة العالمية، ضمن أمور أخرى، ويدرك كل من هذه الرؤى جوانب من الحقيقة الناشئة ومع ذلك فإنه يغفل جانباً حاسماً ومركزياً حقاً لما ستكون عليه السياسات العالمية في السنوات المقبلة"[١]

وتولى جيدنز كغيره من منظري العولمة عند تحليله الظاهرة بيان المجالات الحياتية التي تدخلت في إعادة صياغتها، وتلك التي تؤثر فيها، فقد ذهب إلى القول بأن العولمة لا تقتصر على كونها نظاماً اقتصادياً عالمياً، يتدخل في إعادة هيكلة أنظمة الاقتصاد في المجتمعات والدول، بل إنها ظاهرة شاملة تؤثر في مفردات حياتنا وتفصيلاتها، ابتداءً بمستوى دخل الفرد وانتهاءً بالقيم

[١] صدام الحضارات، ضمن كتاب الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص١١

والعادات العائلية الأسرية حيث قال:" إن أنظمة القيم العائلية التقليدية بدأت بالتحول أو إنها تحت ضغط شديد في كثير من البلدان، لا سيما حينما شرعت النساء بالسعي نحو تحقيق مزيد من المساواة،... معظم الناس يرون العولمة مجرد نقل السلطة من المجتمعات المحلية والدولة إلى الساحة العالمية وهو في الحقيقة أحد عواقبها، "[١]، ثمّ إنه يفصل القول في بيان المنافسة التي أحدثتها العولمة مع القيم التقليدية والعادات " لقد بدأ عصر التنوير بتدمير مشروعية التقليد وقد نجح في ذلك على نحو جزئي فحسب، فالتقاليد بقيت قوية لمدة طويلة في أغلب أوروبا الحديثة، بل بقيت محصنة بقوة في أغلب باقي دول العالم،...وكانت هناك محاولة مدبرة من بعض قطاعات المجتمع لحماية التقاليد القديمة وتعديلها، وقبل كل شيء فإن هذه هي حالة الفلسفات المحافظة بشكل أساسي، فربما يكون التقليد هو التصور الأساسي للنزعة المحافظة ما دام المحافظون يؤمنون بأنه مستودع الحكمة المختزنة.....، يحدث اليوم تغيران أساسيان تحت تأثير العولمة، ففي البلدان الغربية لم تصبح المؤسسات المدنية فقط متحررة من قبضة التقليد وإنما الحياة اليومية كذلك، أما المجتمعات الأخرى في العالم تلك الذي ظلت تقليدية باطّراد فقد أصبحت مناهضة للنزعة التقليدية، إنني أعد هذا الأمر في صميم المجتمع الكزموبوليتاني العالمي الحديث التشكل "[٢] .

وأما عن علاقة العولمة بالنزعات الأصولية الداعية إلى حفظ القديم وصون التقاليد، فقد اعتقد عدد من مؤرخي وباحثي عصر العولمة بأن ظاهرة الأصولية إنما جاءت استجابة للعولمة بقيمها التي نشرتها، فقد ذهب جيدنز إلى أن مصطلح الأصولية(fundamentalism)، أستخدم ضمن حيز ضيق للإشارة إلى معتقدات بعض الطوائف البروتستانتية بالولايات المتحدة، بدءاً ممن نبذوا أفكار داروين، ومع ذلك وحتى نهاية الخمسينيات لم تكن هناك مادة لغوية لكلمة fundamentalism في قاموس أكسفورد الكبير ،ثمّ أخذت الكلمة بالانتشار والاستعمال منذ الستينيات، ومنذ ذلك الوقت صار معلوماً بأن الأصوليين يدعون إلى العودة إلى كتب مقدسة أو نصوص من المفروض أن تقرأ بطريقة حرفية،لاستخراج التعاليم التي يجب أن تطبق على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبالتالي فقد رأى جيدنز أن الأصولية تمنح أهمية خاصة لحراس التقليد فيم تسلبهم العولمة هذه الأهمية ولذا فهم يقودون معركتها، فهم وحدهم الذين يمتلكون حق الاقتراب من المعنى الحقيقي للنصوص، وقد اتفق هاردت ونيغري مع جيدنز في أن الأصولية ظاهرة أفرزتها العولمة، ففي الدول الغربية مثلاً فإن البرنامج الاجتماعي الأشهر للجماعات الأصولية المسيحية يركز على إعادة تشكيل العائلة النووية في صورتها المستقرة، والتي دمرتها قيم العولمة، وبالتالي فإن قيم الأصوليين تتمركز في مقاومة الإجهاض والمثلية الجنسية، كما إنها تقوم على متابعة مشروع تفوق البيض والنقاء العنصري، وبالتالي ففي نظر هؤلاء تتفق الأصولية

[١] جيدنز، عالم جامح، ص٣٢، ٣٦
[٢] جيدنز، ص٧٠-٧١

المسيحية مع الأصولية الإسلامية _كما يسمونها_ في دعوتها إلى العودة إلى حياة العالم التقليدي، وقيمه الغابرة حسبما يعبرون عنها[١].

وبالنظر إلى الأصولية باعتبارها استجابة منعكسة عن مثيرات العولمة، نجدها لا تختلف وفق هذا التقييم عن استجابة العديد من المجتمعات لتحدي العولمة، من خلال إحياء هوياتها القومية كهويات مقاومة، بمعنى أن ممثلي هذه الهويات القومية يستشعرون خطر العولمة والعمليات المصاحبة لها، فيستجيبون برد فعل دفاعي قومي في جوهره[٢]، والناظر في المنهجية التي تتبعها هذه الجماعات في التعبير عن كياناتها المستقلة ولإثبات ذاتها، يجدها لا تبتعد كثيراً عن قيم التغيير التي تقرها فلسفة ما بعد الحداثة، فهي في غالبها تسعى لأن تكون مدمراً خلاقاً، وخلاقاً مدمراً على حد تعبير نيتشه، وقد كان (فروم) أول من أشار إلى بروز نمط من الشخصيات الاجتماعية والحضارية التي تتواءم مع هذا الواقع، والذي كان قد دعاه الشخصية ذات الطبع المنشغل بالموت والمحب لكل ما يتصل به، حيث يكتسب النمط المنشغل بالموت معنى وجوده وهويته من خلال تحويل الحياة إلى موت، وهذا النمط يعجبه التدمير، ويستخلص شعوراً بالقوة والابتهاج كلما ظهر دوره في تحويل المعالم الحية إلى موات[٣].

وفي رؤى مفكري الحداثة فإن الأصولية وليدة العولمة، وكلاهما يستجيبان لبعضهما ويستعملان بعضهما، إذ تستخدم الجماعات الأصولية وبشكل واسع وفي كل مكان تكنولوجيا الاتصالات الجديدة، فقد استخدم الأصوليون من الهنود الإنترنت والبريد الالكتروني ووظفاهما من أجل خلق شعور بالهوية الهندية، ثمّ إن جيدنز يرى أن الأصولية في دعوتها المستمرة لقيم الماضي، قد تكون دينية أو عرقية أو قومية أو سياسية _وهذا يؤيد وجهة النظر السابقة من أن الأصولية بالصورة التي رسمتها العولمة ليست حكراً على الجماعات الدينية.

وبالنظر إلى الطابع العام أو النمط الذي تقوم عليه الأصولية فإنها وفي جميع أشكالها القومية أو الدينية أو العرقية ترفض التعددية والأشكال الحديثة من القيم، وبالتالي فإنها تقف على إشكالية العنف، وهي عدوة قيم الكوزموبوليتانية، ومع ذلك فالأصولية لا تمثل فقط نقيضاً لحداثة العولمة، بل هي تقضّ مضجعها بالأسئلة، ومن أسئلتها المهمة التي طرحها جيدنز: هل يمكننا العيش في عالم لا مقدس فيه؟، وقد أجاب جيدنز على سؤاله الافتراضي: وعليّ أن أقول في الختام أنني لا أعتقد أن بإمكاننا ذلك، وعلى مواطني النزعة الكوزموبوليتانية الذين أعد نفسي واحداً منهم أن يبدو تسامحاً وحواراً يمكنهما أن يؤديا بهم إلى قيم من نوع شامل"[٤]، وفي سؤاله الافتراضي وإجابته يعترف جيدنز باستحالة استمرار الحياة الإنسانية في صورتها التي تناسب حاجات الإنسان،

---

[١] أنظر: عالم جامح، ص٧٧-٧٨، الإمبراطورية ابراطورية العولمة الجديدة، ص٢٢٦

[٢] بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ص١٨٧

[٣] ألان، بيم ب، نظريات الشخصية الارتقاء النمو التنوع، (نرجمة علاء الدين الكفافي ومايسة النيال وسهير سالم)، دار الفكر، عمان، ط١، ٢٠١٠، ص٣٣٨-٣٣٩

[٤] عالم جامح، ص٧٧-٧٩

دون أن توجد لها من الثوابت ما يحفظ توازن الحياة واستقرارها، وهذا ما قد يتبين لاحقاً، ولذا يدعو جيدنز إلى مزيد من التسامح مع دعاة القيم في سبيل التوصل إلى مشترك إنساني وثقافة من نوع شمولي يستوعب الجميع، وقد أشار بعض من منظري علم النفس الحديث إلى أن الفلسفة الوجودية وحالة ما بعد الحداثة، قد أوصلتا الإنسان إلى مرحلة القيم الذاتية بسبب فقدانه مصادر القيم الخارجة على ذاته، ففي تعليقات ماسلو على القضايا التي تأثر بها من الفكر الوجودي بيّن أنه لاحظ أن انهيار القيم خارج الأفراد قد أدى بهم لئن يبحثوا عن مصدر للقيم من داخل ذواتهم[1]، فقد أدى تحطيم التقليد وجميع المرجعيات القمية إلى أن يعود الإنسان إلى ذاته لينصبها مصدراً للقيم ومحكاً للمعايرة والمحاكمة، فرجع من الموضوعية إلى الذاتية، ومن قيمة الحقيقة إلى نسبية المعرفة.

ومن أشهر من أشار إلى العلاقة بين القيم الأصولية كما يسمونها والقيم الكوزموبوليتانية بنيامين باربر في كتابه" الجهاد في مواجهة عالم ماك"، حيث افترض وجود عالمين متصارعين في المجتمعات البشرية في عصورها الحديثة، العالم الأول ينطوي على إعادة القبلية والزيادة في عدد الأصوليات والقوميات العرقية، وسماه عالم الجهاد، وأما عالم ماك فيقوم على شبكات كونية تمثل الرأسمالية الاستهلاكية، أبرز نماذجها المنتشرة في العالم مولات التسوق التي باتت مرتبطة دائماً بمساحات ومدن الألعاب على نحو ما يعرف بعالم ديزني، وقد أصبح التسوق في ثقافة عالم ماك أفضل شكل للتعبير الشخصي والاسترخاء[2].

**** نظرية صراع الحضارات: والوصف الأيسر للفكرة التي قامت عليها هذه النظرية أن الحضارة الأمريكية والتي باتت بعد سقوط النظام السوفياتي القطب الأوحد الممتلك لإدارة القوة في العالم، لا بدّ أن تواجه مستقبلاً العديد من الأعداء الذين يستثيرون الصدام ضدها رفضاً واستنكاراً لحقها في القيادة العالمية، وقد قلص بعض السياسيين والمنظرين أعداء الحضارة الغربية في عدد واحد هو الإسلام كما صرح بيتر فريتش رئيس جمعية حماية الدستور حيث قال:" هناك مؤشرات تدلّ على أن الإسلام سوف يشكل في غضون السنوات القادمة خطراً عظيماً"[3]

وقد يعدّ كثيرون صموئيل هنتنجتون المنظر الأول الذي ظهر داعياً لنظرية صراع الحضارات، ولكن المتتبع للدراسات التاريخية والحضارية، لا بدّ أن يلاحظ غيره ممن أبدعوا في الإيحاء بهذه الفكرة وتمريرها وغرسها في العقل الغربي، فقد برع برنارد لويس وخلفه من تلاميذه في تصوير فلسفة الصراع بين الإسلام والحضارة الغربية، وقد صاغ عناوين بحوثه وكتبه في تراكيب كافية للتعبير عن مضامينها حول فلسفة الصراع، ومثال ذلك من المقالات ما نشره في مجلة (Atlantic monthly) عدد مايو للعام ٢٠٠٥ وقد كان عنوانه:" أنا على حق وأنت على باطل

---

[1] ألان، نظريات الشخصية، ص٤٠١

[2] بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ص١٨٠

[3] هوفمان، مراد، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، مكتبة الشروق، القاهرة، كوالالمبور جاكرتا، ط١، ٢٠٠١، ص٦٣، عن:peter fretsh, der speigel, 36)1997,p58

فلتذهب إلى الجحيم" حيث ذهب إلى ادعاء أن عداء المسلمين للغرب متضمناً في مكوناتهم الجينية، وإنما ينبع شعور المسلمين تجاه الغرب من تصورهم بأن تقدم الغرب وحضارته كانت على حساب تخلف المسلمين وفقرهم[1]، وفي العديد من كتبه تجده يتحين الفرص ليشير إلى الروح العدوانية التي يضمرها المسلمون ضد الحضارة الغربية، ويحلل تنامي هذه الروح بإرجاعها إلى قرون من الصراع والعدوان الإسلامي الذي حمله الجهاد والفتوحات الإسلامية إلى بلاد الغرب المسيحية على حد تعبيره، كما إنه يشير إلى الكبر الذي يحمله الإسلام تجاه المسيحية والاحتقار والامتهان الذي يكنه المسلمون لأهل هذه الديانة[2]، ومن عباراته الشاهدة على وصفه للحال قوله:" وكان ذلك تجديداً ذا أبعاد مذهلة في حضارة اعتادت لأكثر من ألف سنة أن تحتقر الأجانب والبرابرة، استناداً إلى أنهم يفتقرون إلى أي شيء ذا قيمة يقدمونه، إلا إن قدموا أنفسهم باعتبارهم من المواد الخام التي يمكن إدراجها في ممالك الإسلام والتحول إلى اعتناق الدين الإسلامي"[3]، ويتابع في موضع آخر:" وكان المسلمون من جانبهم لا يزال يعوقهم احتقارهم للكفار وخصوصاً لمهن الكفار التقليدية، فكانت بعض المهن والأعمال تعتبر يهودية أو يونانية أو أرمينية، وكانوا يجدون أن الأكرم للمسلم ألا يزاولها[4]

وأما واقع الحركات التي توصف بالإسلامية والتي وظفها لويس وغيره توظيفاً مغرضاً في التعبير عن الإسلام، ومفهومه عن الجهاد الذي يصف به حالة الصراع التي تحياها المجتمعات المسلمة المعاصرة، والتي تجري أحداثها على أرضها، فقد صورها لويس في قالب استفزازي للعالم الغربي على الرغم من أن الظاهرة عالمية باعتبارها استجابة للعولمة كما تبين، وعلى الرغم من جريان أكبر محدثاتها داخل الدول المسلمة، فقد وصفها:"فالموجة الثورية في الإسلام لها مكونات عديدة، وأحد هذه المكونات هو الشعور بالإذلال، شعور طائفة من الناس تعودت على النظر إلى نفسها باعتبارها الحارس الوحيد للحقيقة الإلهية، وأن الله أمرها بإبلاغ هذه الحقيقة إلى الكفار، ثمّ تجد نفسها فجأة وقد سيطر عليها هؤلاء الكفار أنفسهم واستغلوها،... أضف إلى الإذلال الشعور بالإحباط بعد تجربة وسائل الإصلاح المختلفة ومعظمها مستورد من الغرب، وإخفاق الواحدة تلو الأخرى"[5]

وأما وصفه للجهاد فقد برع لويس في تصويره ووضعه في القالب الذي يتلاءم مع نظرية الصراع، وقد شكل وصفه للجهاد المحور الأساسي لكتابه الإسلام وأزمة العصر حرب مقدسة، وقد اختار كلمة (holey war)، ليدلل على عدوانية الإسلام التي أراد أن يثبتها نتيجة لدراسته، وقد

---

[1] أنظر: برنارد لويس، الإسلام وأزمة العصر حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس، (ترجمة أحمد وتقديم رؤوف عباس)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٢٣-٢٤

[2] أنظر: برنارد لويس وإدوارد سعيد، الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص١٤-١٦، ص٢٩

[3] برنارد لويس، أين الخطأ التأثير الغربي واستجابة المسلمين، (ترجمة محمد عناني، دراسة وتقديم رؤوف عباس)، الناشر مجلة سطور، ط١، ٢٠٠٣، ص٤٠

[4] أين الخطأ التأثير الغربي واستجابة المسلمين، ص٧٦

[5] الإسلام وأزمة العصر حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس، ص٦٧

جاء من المستشرقين الغرب من تكفل بالرد عليه بتكفله ببيان مفهوم مختلف للإسلام وللجهاد، من أبرزهم جون سبوسيتو صاحب كتاب"التهديد الإسلامي أسطورة أم حقيقة"، وهذا الأخير أستاذ في جامعة جورج تاون، ومدير مركز التفاهم الإسلامي المسيحي في واشنطن[١]، وقد بنى برنارد لويس على الصورة التي رسمها للجهاد _باعتباره عدواناً مسلحاً_ مفهوم دار الإسلام ودار الحرب كما رسمهما في كتابه، وقد ظهرت الرسالة من هذين المفهومين في إظهاره سعي العرب المسلمين إلى أسلمة العالم بالعنف، وهو بذلك يحقق غرضه من استعداء العالم الغربي على العالم الإسلامي والمسلمين، كما قرر في كتابه أن الإسلام والمسيحية دينان لا يطيقان النقاش ولا التفاهم، حيث قال: إنهما دينان لا يطيقان النقاش معاً، وهما في صدام دائم لأنهما على نقيض اليهودية، لا ينتسب كل منهما إلى عنصر معين بل يتجه إلى نشر دعوته في العالم كله، ومن ثمّ تتقاطع طرقهما ويتفجر الصراع بينهما، حدث هذا في صدر الإسلام مع الدولة البيزنطية ثمّ بين العثمانيين وأوروبا، وحدث في الأندلس، ومن جانب المسيحيين تمثل في الحروب الصليبية والاستعمار[٢].

وعلى الرغم من المحاولات المكثفة التي تبذلها القطاعات المثقفة والمؤسسات الإعلامية في سبيل إظهار الصراع الأيديولوجي بين الحضارات منشأه الأصولية الإسلامية، إلا أن الباحث في أيديولوجيا الحضارة الغربية المعاصرة يجد فيها من مثيرات عولمة الصراع، ومن الحركات الأصولية المدعومة سياسياً أكثر مما تنسبه الدراسات الغربية إلى الإسلام، من ذاك مثلاً _ لا على سبيل الاستقراء والحصر_ ما يروى عن الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريغان من قوله:" إن جميع النبوءات التي يجب أن تتحقق قبل هرمجدون قد تحققت، ففي الفصل ٣٨ من حزقيال أن الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة، لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفي سنة، ولأول مرة يبدو كل شيء في مكانه بانتظار معركة هرمجدون والعودة الثانية للمسيح"[٣]، وأما أيديولوجيا تفوق العنصر الأمريكي التي ترى الإسلام أكبر مناهضيها لرفض أتباعه الذل والتبعية، فتظهرها مقولات كثيرة لعدد من القيادات منها:_ صرح الرئيس الأمريكي جورج واشنطن في خطابه:" إنه موكل بمهمة عهدها الله إلى الشعب الأمريكي"، _وقال توماس جيفرسون في خطابه الرئاسي:"الأمريكيون شعب الله المختار"، وقبل هؤلاء صرح ثيودور روزفلت:" أمركة العالم قدر ومصير أمتنا"،_ وأما الروائي الأمريكي هيرمان ملفيل فيصف حقبة الصعود بقوله:" نحن رواد العالم وطلائعه اختارنا الرب...بات لزاماً على أكثر الأمم أن تحتل المؤخرة،... نحن الطليعة ننتقل إلى البرية لنقدم ما لم يقدمه الأوائل"[٤].

---

[١] برنارد لويس، مقدمة رؤوف عباس في كتاب: الإسلام وأزمة العصر، ص٢٢

[٢] أنظر: حرب مقدية وإرهاب غير مقدس، ص٢٣

[٣] جريس هالسل، النبوءة والسياسة الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية، (ترجمة محمد السماك)، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣، ص٧-٨

[٤] شوقي جلال، العولمة الهوية والمسار رؤسية عربية، ص١٠٣، ١٠٥، ١١٧

نعوم تشومسكي، ردع الديمقراطية، (ترجمة: فاضل حتكر)، دار كنعان، دمشق، ١٩٩٢، ص١٠

وقد كثرت في ولاية ريغان الحركات الدينية المتطرفة، أمثال حركة بوابة السماء والكنيسة العلمية وغيرها من الحركات الدينية التي انتشرت إلى بريطانيا وفرنسا، وباتت تشكل تهديداً للأمن القومي حتى أعلنت ألمانيا وقوفها ضد بعض هذه الحركات وحظرتها، كما فعلت مع الكنيسة العلمية عام ١٩٩٧، وأقوى هذه الحركات الدينية تأثيراً في الوقت الراهن الحركة التدبيرية، تلك التي تعلن إيمانها بالنبوءات التي تحدث عنها ريغان وبمعركة هرمجدون، وبضرورة الصراع والحرب المدمرة في سبيل عودة المسيح، ولذا يتجه أقطاب السياسة ممن يؤمنون بمعتقداتها إلى تحريك العنف في منطقة الشرق الأوسط باعتبارها مكان نزول المسيح، لأنهم يرون الحرب والتدمير وتفوق إسرائيل مقدمة لازمة التحقق حتى ينزل السيد المسيح، ومن ثمّ تجد الإسلام العدو الأمثل باعتبار حضارته الخط الأقرب للتماس مع اليهودية المتجمعة كما يسمونها، ولما بين المسيحية والإسلام من مشتركات دينية تتعلق بعودة المسيح، ولكن العارف بالإسلام يعلم أن هذه الصراعات المفتعلة والحروب الجارية ليست مما يعتبره الإسلام ويرضا عنه، وليس هذا موقع بيانه ومناقشته، وتستقطب الحركة التدبيرية أكثر من أربعين مليون أمريكي في الوقت الراهن[١].

وقد أسهب ديفيد هارفي وغيره من نقاد العولمة السياسية التي تقودها أمريكا، في وصف الأصولية المتطرفة ومحاولاتها الجدية لتسيير السياسة العالمية وفقاً لرؤاها الأصولية الأيديولوجية حيث قال في وصفه حركة المحافظين الجدد ونقد سياساتها: " وقد حاول المحافظون الجدد والذين يملكون الأموال الطائلة، والمنضوون داخل عدد من "مجموعات الفكر" كالليبراليين الجدد الذين سبقوهم فرض أفكارهم وبرامجهم على الحكومة منذ زمن بعيد، ... وهدفها الرئيسي فرض النظام واحترامه في الداخل وعلى المسرح العالمي على حد السواء،... والالتزام بالمبدأ الأخلاقي أمر عظيم الأهمية عند حركة المحافظين الجدد، وفي هذا تجد قوتها وقاعدتها الانتخابية عند المسيحيين الأصوليين الذين يؤمنون بمعتقدات ذات نوع خاص جداً، ففي أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول سبتمبر نهض اثنان من كبار قادتها جيري فالويل وبات روبرتسون، ليعبر عن وجهة النظر القائلة إن هذه الأحداث إشارة على غضب الله من الإباحية في مجتمع يسمح بالإجهاض والشذوذ الجنسي، وفي وقت لاحق وعبر برنامج تلفزيوني أمريكي يشاهده الملايين أعلن فالويل أن النبي محمد هو الإرهابي الأول، في حين أعرب آخرون عن دعمهم للصهيونية والعنف الذي يمارسه شارون ضد الفلسطينيين، حيث يعتبرون أن هذا العنف سوف يفضي في النهاية إلى معركة أرماكدون (هرمجدون)، ومعتقد القدوم الثاني، الوارد في سفر الرؤيا آخر أسفار العهد الجديد، والاعتقاد بمعركة أرماكدون (المعركة الفاصلة بين قوى الخير والشر)، قد انتشر مؤخراً(الرئيس ريغان مثلاً كان يؤمن بها)، ولعله يصعب على الأوروبيين بخاصة أن يصدقوا أن نحو ثلث سكان الولايات المتحدة يؤمنون إيماناً قوياً بمثل هذه المعتقدات، وأن هذا الإيمان يتضمن القبول

---

[١] أنظر: النبوءة والسياسة، ص١٢

بكل ما في الحرب من رعب وخوف (وبخاصة في الشرق الأوسط)، على اعتبار أنها مقدمة لتحقيق مشيئة الله على الأرض، وليس عجيباً أن نرى الغالبية العظمى من المجندين في الجيش الأمريكي من أبناء الجنوب حيث تسود هذه المعتقدات، وبرغم أن هؤلاء المحافظين الجدد يعلمون علم اليقين أنهم لا يستطيعون البقاء في السلطة وهم يحملون هذه المبادئ والمعتقدات، غير أننا لا نستطيع الإقلال من قيمة تأثير اليمين المسيحي، والدليل على ذلك الإحجام عن أي محاولة لكبح جماح القمع الشاروني العنيف والشرس ضد الفلسطينيين، فهذا ما يفسره هؤلاء الأصوليون بأنه خطوة إيجابية نحو معركة أرماكدون، وفي الصراع مع العالم العربي فليس صعباً أن تتجسد هذه المواقف في لغة تتحدث عن صراع صليبي مسيحي ضد الجهاد الإسلامي"[1] وهذه الأصولية السياسية التي باتت تعتلي مراكز القرار في مؤسسات العولمة ليست محلاً للمساءلة والاتهام، كما هي حال الجماعات المتطرفة التي باتت تدير الصراع في كثير من مناطق العالم في صورة تحقق مصالح العولمة الاقتصادية، وتمنحها الفرصة الشرعية للتدخل في شئون الدول أو المجتمعات لحماية مصالحها الاقتصادية من جانب، ولحفظ حقوق الإنسان وكبح جماح التطرف من جانب آخر، والناظر في واقع الحال قد يظهر له أن الاختلاف المزعوم بين هذه الجماعات وبين مؤسسات العولمة وأصولياتها السياسية اختلاف ظاهري وهمي، فالراجح من تتبع نتائج الواقع أن كليهما وجهان لعملة واحدة أفرزها اقتصاد العولمة، ودعمتها سياساتها الاقتصادية والسياسية كما سبق أن أشار عدد من منظري العولمة، فقد بات التطرف الديني أو القومي أو العرقي أكثر آليات القرن خدمة لمصالح الأصولية السياسية التي باتت تدير شبكة مؤسسات العولمة.

فإذا كانت سياسات العولمة تحكم على الإسلام بالتطرف بنظرها إلى الاجتهادات التي تقوم بها بعض الجماعات المنتسبة إلى الدول والمجتمعات المسلمة، فلا بدّ أن تكافئ في نظرتها فتحكم على الجماعات المتطرفة التي تشوه الإسلام وتنال من المسلمين في كل مكان، ولا بدّ أن يتوقف ساسة العولمة عن اتباع سياسة الكيل بمكيالين على المستوى النظري في محاكمهتم للفكر، وعلى المستوى العملي، وقد اعترف لويس وغيره بالازدواجية التي تمثلها السياسة العولمية في تعاملها مع العديد من قضايا العالم الإسلامي، حيث تتدخل في الشئون الداخلية للدول المسلمة تحت غطاء حقوق الأقليات وأصولية الإسلام، ولكنها لا تحاكم أو تتدخل في الجماعات المتطرفة التي تستبيح دماء الجماعات المسلمة سواء في الهند أو البوسنة والهرسك أو غيرها من المواقع التي تنتهك فيها حقوق المسلمين بصورة مسيئة إلى الإنسانية[2]، وهي إذ تصف الإسلام بالتطرف لا تستطيع أن تخفي تاريخ الإسلام في التعامل مع الأقليات والمجتمعات اليهودية والمسيحية التي عاشت ولا زالت

---

[1] الإمبريالية الجديدة، ص١٨٩-١٩٠

[2] أنظر الأمثلة التي ساقها برنارد لويس على ازدواجية المعايير، في الفصل السادس من كتاب: الإسلام وأزمة العصر حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس، ص١٢٧-١٣١

تعيش ضمن حدود دولته، وهذا ما أقره برنارد لويس وغيره من المتحدثين عن تاريخ الإسلام الدموي كما يسمونه ولكنه أشار إلى ذلك كله على عجل ، ولهذا فقد يرجح بعض الباحثين أن الحركات الثورية التي ظهرت في البلدان المسلمة وغيرها وتلبست لبوس الأيديولوجيا فيما بعد إنما كانت ثورات على الواقع وما يفرضه على المسلمين من عقبات لا يفرضها على غيرهم، وقد أشار برنارد لويس إلى هذه الحقيقة ولكنه حاول أن يلبس هذه الثورات لبوس الجهاد ليجعلها التعبير الواقعي عن الإسلام، فيم اتجهت السياسة الأمريكية في حقبتها الأخيرة إلى التخلي عن فرضية العداء أو الصراع بين أمريكا والإسلام، ومن ذلك ما أعلنه الرئيس أوباما في خطابه الذي ألقاه في جامعة القاهرة (٢٠٠٩/٦/٤)، والذي صرح فيه أن الولايات المتحدة لا تعادي المسلمين وألا صدام بين مبادئ أمريكا والإسلام.

وإن نظرة في واقع العوامل المؤثرة في تطرف العديد من الجماعات يجدها بعيدةً كل البعد عن تمثل روح الجهاد، وقد يكون بعضها وليداً للظروف التي تكالبت على الشعوب الفقيرة في ظل العولمة، وقد تكون الظروف الاقتصادية عاملاً فعالاً في مخرجات الواقع، فيما تثبته الدراسات الميدانية التي تعنى بدراسة العنف والتطرف.

وعوداً إلى (هنتنجنتون) الذي كان قد أطّر نظرية الصراع ووضعها ضمن قالبها الأخير الذي قدمت به إلى العالم، نجده قد لخّص جانباً كبيراً من نظريته بقوله:" والفرض الذي أقدمه هو أن المصدر الأساسي للنزاعات في هذا العالم الجديد لن يكون مصدره أيديولوجياً أو اقتصادياً في المقام الأول، فالانقسامات الكبرى بين البشر سوف تكون ثقافية، والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدراً ثقافياً، وستظل الدول الأمم هي أقوى اللاعبين في الشئون الدولية، لكن النزاعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة، وسيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية، ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي المعارك في المستقبل"[١]

لقد تشابه (لويس وهانتغتون) في تقرير فلسفة الصراع مع الحضارة الإسلامية، كما إنهما يتفقان في وصف دور العولمة في شحذ قيم الصراع وتقويتها إلى الحد الذي تصير فيه مؤهلة للظهور، فقد أشار لويس مؤخراً إلى دور العولمة في تجديد التقارب والاحتكاك بين هذه الحضارات حين قال:" ثمّ جاءت السينما ومن بعدها التلفزيون لتعرض أسلوب الحياة الأمريكي أو على الأقل تصوراً معيناً له أمام ملايين من البشر الذين لم يكن اسم أمريكا يعني أي شيء بالنسبة لهم، أو لم يكد يكون معروفاً لديهم من قبل، ووصلت مجموعة واسعة من المنتجات الأمريكية ولا سيما في السنوات التي أعقبت الحرب،... إلى الأسواق النائية في العالم الإسلامي، فاكتسبت لنفسها عملاء جدد وربما كان الأهم أنها خلقت أذواقاً وتطلعات جديدة، .... ثمّ جاء بعد ذلك التغيير الكبير حين

---

[١] صموئيل هانتنغتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص١١

قام قادة حركة متنامية وواسعة الانتشار للإحياء الديني بتحديد أعداءهم بأنهم أعداء الله، وأعطوهم محل إقامة واسماً في نصف الكرة الغربي، وأصبحت أمريكا فجأة أو هكذا بدا الأمر العدو الأكبر والتجسيد للشر، والخصم الشيطاني لكل ما هو خير"[١]، وقد قرن لويس بين هذا الموقف الذي اتخذه الإسلاميون من أمريكا وبين نظرة بعض مفكري الغرب وخاصة منهم المتأثرين بالنظرة الألمانية، أمثال راينر ريكله، وأوزالد شبنجلر، ومارتن هايديجر، حيث ينظر إلى أمريكا على أنها حضارة خاوية من ثقافة، غنية بحيث تتوافر فيها وسائل الراحة، متقدمة ولكنها مصطنعة وبغير روح، جمعت تجميعاً أو في أحسن الأحوال بنيت ولم تستنبت، ميكانيكية ولكنها ليست عضوية، معقدة تكنولوجياً ولكنها تفتقر إلى الروحية والحيوية التي تتسم بها الثقافات الإنسانية"[٢]

وأما عن أثر العولمة في إذكاء الصراع كما يراها هنتنغتون فقد لخصه بقوله: إن العالم قد أصبح مكاناً أصغر وأخذت التفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة في التزايد، وتزيد هذه التفاعلات المتنامية وعي الحضارات بنفسها وإدراكها للفروق بين الحضارات ولأنماط الاختلاف والتشابه بين مكوناتها، فقد ولدت الهجرة من شمال أفريقيا إلى فرنسا عداوات بين الفرنسيين، بناءً على اختلاف الأصول من أوروبيين وأفارقة، ولكنها زادت في الوقت نفسه من احترام المهاجرين البولنديين الكاثوليك الأوروبيين الطيبين كما يصفهم هانتنغتون، وبالمثل فقد اختلف رد فعل الأمريكيين تجاه الاستثمار الياباني فكان أكثر سلبية ورفضاً له من الاستثمارات القادمة من كندا والبلدان الأوروبية، لقد ولدت التفاعلات بين شعوب الحضارات وعياً بالحضارة لدى الناس، الأمر الذي عزز بدوره الاختلافات والعداوات التي تضرب أو يعتقد أنها تضرب جذورها في أعماق التاريخ، وفي الوجه المقابل وعلى صعيد الاختلافات التي أوجدتها العولمة داخل الحضارات نفسها فإن عملية التحديث الاقتصادي والتغيير الاجتماعي في كل أنحاء العالم عملت على فصل الشعوب عن الهويات المحلية القديمة والراسخة، وسعت لإضعاف الدولة الأمة كمصدر للهوية، وفي كثير من أنحاء العالم ترك الدين ليملأ الفجوة الحادثة، ووقد ظهر الناتج على شكل حركات توصف بأنها أصولية، وعلى صعيد تفاعل العولمة بقيمها مع الواقع الحضاري للأمم فقد يتعزز نمو الوعي بالحضارة نتيجة للدور المزدوج للغرب، حيث ولدت قوة الحضارة الغربية التي حملتها العولمة تحدياً للحضارات غير الغربية ودفعتها في اتجاه العودة إلى أصولها وجذورها الحضارية، فقد بات مألوفاً أن يسمع المرء على نحو متزايد إشارات عن اتجاهات نحو الانكفاء إلى الداخل "وإضفاء طابع آسيوي" في اليابان، ونهاية ميراث نهرو" إضفاء طابع هندوسي في الهند، وفشل الأفكار الغربية من اشتراكية وقومية ثمّ عودة الأسلمة في الشرق الأوسط،وأخيراً خلص هانتنغتون

[١] برنارد لويس، الإسلام وأزمة العصر: حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس، ص١٠٠
[٢] الإسلام وأزمة العصر، ص١٠١

إلى القول بأن غرباً في أوج قوته يواجه كيانات ليست غربية ترغب في تشكيل العالم بطرائق غير غربية، ولديها الإدارة والإمكانات للقيام بذلك[1] .

وقد أشار هانتنغتون في نظريته إلى دور العولمة في إحياء الانتماءات الأثنية والعرقية، والأثر الذي ولدته حركة الإحياء حيث قال:" ومع تحديد الناس هويتهم بمقاييس أثنية ودينية فإنه من المرجح أن يروا أن هناك علاقة بين "نحن" و"هم"تقوم بينهم وبين شعب من عرق إثني مختلف أو دين مختلف، إن زوال الدول المحددة على أساس أيديولوجي في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي السابق، يتيح الفرصة للكيانات والعداوات الإثنية التقليدية أن تتقدم إلى الصدارة، وتخلق الخلافات في الثقافة والدين خلافات حول قضايا سياسية تراوح من حقوق الإنسان إلى الهجرة والتجارة والتبادل والبيئة، ويثير التقارب الجغرافي الإدعاءات الإقليمية المتعارضة من البوسنة إلى مندوناو، والأكثر أهمية أن جهود الغرب لدعم قيمه المتعلقة بالديمقراطية والليبرالية كقيم عالمية ، والحفاظ على هيمنته العسكرية ودعم مصالحه الاقتصادية، تولد ردود فعل مضادة من قبل الحضارات الأخرى، وإذ تتناقص قدرة الحكومات والمجموعات على حشد الدعم وإقامة التحالفات على الأسس الأيديولوجية، فإنها ستحاول بصورة متزايدة حشد الدعم باستخدام دين مشترك وهوية حضارية مشتركة، وهكذا فإن صدام الحضارات يحدث على مستويين: فعلى المستوى الجزئي تتصارع المجموعات المتجاورة على امتداد خطوط التقسيم بين الحضارات بصورة عنيفة عادة على السيطرة على أراضي بعضها البعض، وعلى المستوى الكلي تتنافس دول من حضارات مختلفة على القوة العسكرية والاقتصادية النسبية، وتتصارع على السيطرة على المؤسسات الدولية والأطراف الثالثة وتتنافس على ترويج قيمها الدينية والسياسية الخاصة"[2] وأخيراً فإن هانتنغتون يحذر من الصلة بين الحضارة الكونفوشيوسية والإسلامية كلاهما لمواجهة الحضارة الغربية التي لم تجد هذه الحضارات في قيمها وأفكارها الليبرالية المتمثلة في المجتمع وحقوق الإنسان والمساواة والحرية والديمقراطية والأسواق الحرة وفصل الكنيسة عن الدولة أية جاذبية، حيث ستنتج جهود الغرب لنشر هذه الأفكار رد فعل معاد لامبريالية حقوق الإنسان بل ستعمل على تأكيد قيم المحلية والأصولية الدينية في هذه الحضارات فيما يرجّح[3]

ويستمر هانتنغتون في مقاله الثاني في وصف آلية الصراع الحضاري التي ستشعلها الاختلافات الأثنية والثقافية والدينية على خطوط امتداد الحضارات داخل الدولة الواحدة، ويحذر من أن يصل الحال أمريكا، حيث يقول: ولقد وصلت البلدان الممتدة عبر خطوط التقسيم الحضاري إلى التفكك، كما هي حال الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا، بينما اعتمدت وحدة الولايات المتحدة تاريخياً على دعامتين توأم تمثلتا في الثقافة الأوروبية والديمقراطية السياسية، ومن جوهر الديمقراطية

---

[1] هانتنغتون، صدام الحضارات، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص١٤-١٥

[2] هانتنغتون، صدام الحضارات، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص١٧-١٨

[3] هانتنغتون، ص٢٨-٢٩، ٣٣-٣٤

الأمريكية الم توزيع الحقوق بين الأفراد، وقد رفعت مجموعات المهاجرين والمنبوذين مبادئ هذه العقيدة ونفخوها في نضالهم من أجل المعاملة المتساوية في المجتمع الأمريكي،وانتقلت المطالبة بالمساواة في الحقوق إلى الحقوق الخاصة للسود والمجموعات الأخرى، ويرى هانتنغتون أن هذه المطالبة تتناقض بصورة راسخة مع المبادئ الراسخة التي شكلت أساس الوحدة السياسية الأمريكية، وفي حركة موازية بدأ المثقفون والسياسيون في الترويج لأيديولوجية التعددية الثقافية...ويشجع كل من المطالبة بحقوق لمجموعات خاصة وبالتعددية الثقافية صدام الحضارات داخل الولايات المتحدة، ويشجع ما سماه آرثر م شليزنجر" تفكيك وحدة أمريكا" ثمّ إن هانتنجتون يعرض وجهته من تحول أمريكا إلى مجتمع متعدد الثقافات، ويعرض رأيه في غياب الأيديولوجيا الغربية والديمقراطية فيقول:" وإن لم يفعلوا ذلك وأصبحت الولايات المتحدة متعددة الثقافات حقاً وسادتها الاصطدامات الداخلية بين الحضارات، فهل تستمر باعتبارها ديمقراطية ليبرالية؟، إن الهوية السياسية للولايات المتحدة راسخة بجذورها في المبادئ التي عبرت عنها وثائق تأسيسها، فهل يعني نزع الطابع الغربي عن الولايات المتحدة إن حدث نزع الطابع الأمريكي عنها أيضاً، ولو تحقق ذلك وكف الأمريكيون عن الالتزام بأيديولوجيتهم السياسية الديمقراطية ذات الجذور الاوروبية فإن الولايات المتحدة كما نعرفها تكف عن الوجود، وتتبع الدولة الأخرى العظمى التي كانت محددة أيديولوجياً،مخلفة حضارتها في كومة من رماد التاريخ[١].

وقد أكد مؤلفا فخ العولمة تجدد الصراعات داخل الدول لا بين الحضارات حسبما وصف هانتنغتون، كما أكدا أن سبب هذه الصراعات يرجع إلى دور النظام الجديد في هدم نظام التكافل الاجتماعي بسرعة تدعو للدهشة، متسبباً في خلق توترات سياسية ناتجة عن غياب اللحمة داخل المجتمعات الحديثة[٢].

وأخيراً فإن هانتنغتون يرفض الاعتراف بحضارة عالمية تجمع المجتمعات المختلفة وتشكل قاسماً للتداول ما بينها، أي إنه يرفض مفهوم العولمة باعتبارها توحيد للأنماط الثقافية والسياسية وغيرها فيقول:" إننا لا نعيش في عالم من البلدان التي تتسم ب"عزلة الدول" ولا صلات بينها، بل إن عالمنا هو عالم التجمعات المتداخلة من الدول التي يجمع بينها بدرجات متباينة التاريخ والثقافة واللغة والدين والموقع والمؤسسات، وعلى المستوى الأعرض فإن هذه التجمعات هي حضارات، وإنكار وجودها إنكار للحقائق الأساسية للوجود الإنساني، والبديل غير الواقعي هو نموذج العالم الواحد الذي يقول إن هناك حضارة عالمية شاملة قائمة الآن، أو من المرجح أن تقوم في السنوات القادمة، ومن البديهي أن الناس يتسمون الآن وقد اتسموا منذ آلاف السنين بسمات مشتركة تميز البشر عن الأنواع الأخرى، وكانت هذه السمات متسقة على الدوام مع وجود ثقافات مختلفة جداً، ومقولة إن ثقافة عالمية أو حضارة عالمية شاملة تبزغ الآن تأخذ أشكالاً مختلفة لا يصمد أي منها

[١] صاموئيل هانتنغتون، إن لم تكن حضارة فماذا تكون، في كتاب: الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص٧٨-٧٩
[٢] أنظر: فخ العولمة، ص٦٨

حتـى للتمحـيص العـابر.... ثانيـاً: هنـاك الافتـراض القائـل بـأن التفاعـل المتزايـد _ الاتصـالات والمواصلات على نطاق متنام ينتج ثقافة مشتركة، قد تكون الحال كذلك في بعض الظروف، لكن الحـروب تنشـب فـي غالـب الأحـوال بـين المجتمعـات التـي توجـد فيمـا بينهـا مسـتويات عاليـة مـن التفاعل،...ثالثاً: هناك الافتراض القائل بان التحديث والتنمية الاقتصادية لهما تأثير باعث على التجانس، وينتجان ثقافة حديثة مشتركة تشبه بصورة وثيقة تلك القائمة في الغرب في هذا القرن،... ونظـراً إلـى أن التحـديث لـيس مرادفـاً للتغريـب، فـإن اليابـان وسـنغافورة والسـعودية مجتمعـات حديثـة ومزدهرة، لكن من الواضـح أنهـا ليسـت غربيـة، والافتـراض الشـائع لـدى أهـل الغـرب بـأن الشـعوب الأخرى التي تأخذ بالتحديث لا بدّ لها أن تصبح مثلنا هو نـوع من الغرور الغربـي الذي يوضـح بنفسه صدام الحضارات،... إن حضارة عالمية شاملة لا يمكن أن تكون إلا نتاجاً لسلطة عالمية شاملة،... إن انهيار القوة الغربية سيتبعه انسحاب الثقافة الغربية وقد بدأ ذلك، وستؤدي زيادة القوة الاقتصادية سريعا في دول شرق آسيا إلى زيادة قوتها العسكرية ونفوذها السياسي وتأكيدها لهويتها الثقافيـة كمـا يقـول كيشـوري محبوبـاني،... لقـد ولـدت النجاحـات الاقتصـادية ثقـة أكبـر بـالنفس مـن الناحيـة الثقافيـة، وأيـاً كانـت خلافاتهـا الثقافيـة فـإن دول شـرق وجنـوب شـرق آسـيا يتزايـد وعيهـا بحضـاراتها الخاصـة بهـا، وتنـزع إلـى عـزو مصـادر نجاحهـا الاقتصـادي إلـى تقاليـدها ومؤسسـاتها المتميزة"[١].

وفـي مقالـه الأخيـر يؤكـد هـانتنغتون الفـرق بـين مـا يـروج لـه مـن صـراع الحضـارات وبـين منظـور مـن يـرى العولمـة حضـارة عالميـة فيقـول:"وكمـا لاحـظ مايكـل هـوارد إن" الافتـراض الغربـي الشائع عن أن تنوع الحضارات هو أمر غريب من الناحية التاريخية، وأنه يتآكل تآكلاً سريعاً بسبب نمـو حضـارة عالميـة مشـتركة ذات وجهـة غربيـة لغتهـا الانجليزيـة وتشـكل قيمنـا الأساسـية إنمـا هـو ببسـاطة افتـراض غيـر صـحيح" ومـع انتشـار العـودة إلـى الجـذور وذبـول الحضـارة الغربيـة تكـون المشكلة الرئيسية فـي العلاقـات بـين الغـرب وبقيـة العـالم هـي الفجـوة بـين جهـود الغـرب وخصوصـاً جهود أمريكا لتعزيز الحضارة الغربية بصفتها الحضارة الكلية العالمية، وتدهور مقدرتها على القيام بذلك، وقد أدى انهيار الشيوعية إلى تفاقم هذا التفاوت بدعم الفكرة الموجودة في الغرب والقائلة أن أيديولوجيته الليبرالية الديمقراطية قد انتصرت في العالم، وبذلك أصبحت صالحة على نطاق العالم كله، ويؤمن الغرب وبخاصـة الولايات المتحدة التـي كانت دائماً بلداً لـه تبشيرياً بـأن الشـعوب غيـر الغربيـة يجـب أن تلتـزم القـيم الغربيـة للديمقراطيـة والأسـواق الحـرة، والحكومـة المحـددة صـلاحياتها، وفصل الكنيسة عن الدولة وحقوق الإنسان والمذهب الفردي وحكم القانون، وبأنها يجب أن تجسد هذه القيم في مؤسساتها"[٢]، ويتابع هانتنغتون:" إن الإمبريالية هي النتيجة المنطقية الضرورية للنزعة العالمية، ولكن عدداً قليلاً من مروجي هذه النزعة يؤيدون النزعة العسكرية والإكراه الوحشي اللذين

---

[١] صاموئيل هانتنغتون، إن لم تكن حضارة فماذا تكون، في كتاب: الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص٧٨-٨٣

[٢] صاموئيل هانتنغتون، الغرب فريد وليس عالمياً، في كتاب: الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص١٦٨

يصبحان ضروريين لتحقيق هذا الهدف، وإضافة إلى هذا لم يعد لدى الغرب باعتباره حضارة ناضجة القوة الاقتصادية والسكانية الدافعة والمطلوبة لفرض إرادته على المجتمعات الأخرى، وأي جهد يبذل في هذا الصدد سوف يكون أيضاً مضاداً للقيم الغربية الداعية إلى تقرير المصير والديمقراطية، وفي شهر آذار مارس الماضي صرح مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا لرؤساء حكومات أوروبا المجتمعين بان" القيم الأوروبية قيم أوروبية والقيم الآسيوية قيم عالمية، وفي الوقت الذي تبدأ الحضارتان الآسيوية والإسلامية بتأكيد عالمية حضارتيهما، فإن الغربيين سيدركون أكثر فأكثر الارتباط بين النزعة العالمية والإمبريالية وسوف يرون فضائل عالم تعددي"[1]

ويرى جيدنز أن انتشار النزعة الامبريالية وقيمها، سوف يؤدي لزاماً إلى انتفاء ثقافة الصراع والحروب حيث يرى أن الأسواق في اقتصاد العولمة لا تربطها أي رابطة جوهرية بنظام الدولة الأمة التي تنتهك حدودها دائماً، وإذا كانت الأسواق تنكر الفوارق الاجتماعية والثقافية بين الأفراد، فإنها سوف تقلص أو تكاد تلغي الفوارق بين الأمم، ومن ثمّ فإن انتشار الرأسمالية متعددة القومية سوف تنتفي معه الحروب، كما ذهبت النظرية الليبرالية [2]

وقد سبق بروديل إلى توقع الحالة التي يمكن أن تؤول إليها الحضارات في ظل اقتصاد العولمة، وأورد ذلك في مقدمة كتابه " تاريخ وقواعد الحضارات" موجزاً في قوله " كل حضارات الدنيا سوف تصل في وقت قصر أم طال إلى نوع من التماثل في التطبيقات التقنية، وبالتالي تتماثل طرق المعيشة، وسرعان ما نجد رغم ذلك أننا إزاء عدة حضارات متمايزة جداً، وذلك بحكم اختلاف البشر وهو اختلاف طبيعي"[3]، ثمّ إنه يعترف بتأثير الحضارات الأوروبية في بعضها، وسعيها لاحقاً لأن تؤثر في حضارات العالم فيقول:" أما الحضارات المسماة بالغربية وهي في الوقت نفسه الحضارة الأمريكية للولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية كذلك روسيا وأوروبا بداهة، وهي نفسها سلسلة من حضارات بولندية وألمانية وإيطالية وإنجليزية وفرنسية... إلخ بغض النظر عن الواقع الذي يشير إلى تميز هذه الحضارات.... وكل منها تعطي وتأخذ من الثقافات ولم تكن الحدود بينها حائلاً دون التداخل والتزاوج أحياناً، واليوم فإن انتشار الثقافات قد أخذ طابع سرعة الانتقال من مجتمع إلى آخر، ولن يطول الوقت الذي تتأثر به كافة أركان الأرض بالحضارة الصناعية الأوروبية، وقد بدأنا نرى كم تأثرت شعوب وحضارات كثيرة، من الأفلام الأمريكية والأوروبية وهي تغزو مجتمعات بعيدة عنها، وأثرت في أذواق شعوبها بل وفي عاداتها وتقاليدها الموروثة"[4]

---

[1] المرجع السابق، ص١٦٩-١٧٠

[2] أنتوني جيدنز، بعيداً عن اليسار واليمين: مستقبل السياسات الراديكالية، (ترجمة: شوقي جلال)، عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، ٢٠٠٢، ص٦٩

[3] بروديل، تاريخ وقواعد الحضارات، ص٧

[4] بروديل، تاريخ وقواعد الحضارات، ص١٢

وبالنظر إلى الاعتبارات التي ساقها هانتنغتون فإنه يدعو الحضارة الغربية إلى التركيز على تعزيز قيمها وقوة حضارتها وتماسكها في عالم الحضارات، ويدعوها إلى ترك التدخل في منازعات الشعوب والذي لا يخدم مصالح الغرب، فالمسئولية الرئيسية لمنازعات الشعوب في كل منطقة يجب أن تتولاها الدول الرئيسية للحضارات السائدة في المنطقة ذاتها، فهو يرى أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تفرض على المنازعات المحلية حلولاً تدوم فترة طويلة، وتكون بعيدة عن حقائق القوى المحلية[1].

والذي يبدو من تتبع آراء هانتنغتون ومن خلال استقراء مقالاته حول الحضارة أنه يرجح أن يكون الصراع بديلاً في تفاعل الحضارات مع بعضها، ولذا ينصح أمريكا والدول الغربية بالكف عن عولمة ثقافتها ومحاولاتها المستمرة لفرض سيطرتها وتدخلها في الحضارات الأخرى من خلال توظيفها آليات العولمة، كما إنه يرى أن قيم الحداثة وما بعد الحداثة والتي باتت من المسلمات الثقافية لمرحلة العولمة قد لا تناسب الحضارة الأمريكية؛ لما يمكن أن تؤدي إليه فلسفة التعددية والاختلاف والتباين من تفكيك أمريكا كدولة أمة، وبهذا يحذر الدول الغربية وخاصة أمريكا مما يمكن أن تحمله قيم العولمة بعد الحداثية من جرائر تفكيكها وتحويلها إلى مجموعات من الدول الصغيرة المتناحرة المتصارعة لاختلافها الحضاري، كما هي الحال الذي صار إليه الاتحاد السوفياتي.

ولكن المصادرة التي وقع فيها هانتنغتون على مجريات الواقع ومستقبل الحضارات كانت في فرضيته التي حاول تعزيزها في صورة النظرية أو الحقيقة، والتي مفادها وقوع الصراع بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، وقد برع الباحثون في تفنيد نظرية هانتنغتون حول الصراع مع الإسلام، كما عملوا على تفنيد النظرية بتفكيك أصولها من الافتراضات والمسلمات التي بناها عليها وإضعافها، وليس هذا الموضع من البحث متخصصاً للرد على هانتنغتون أو لويس ولكن الغرض بيان أثر هذه النظرية في واقع الإمبريالية الجديدة التي تحملها العولمة.

كما إن هانتنغتون يرى أن الحضارة العالمية التي يجب أن يفكر الغرب في ريادتها هي حضارة المجتمعات الغربية:"ويتوقف مستقبل الغرب إلى حد كبير على وحدته، ويرى علماء الحضارات أنها تتطور (أي الحضارات) مروراً بعصور من الاضطراب وحقبة تتطاحن فيها الدول، تؤدي في النهاية إلى قيام دولة عالمية للحضارة، تكون بالنسبة للحضارة إما مصدراً للتجديد وإما تمهيداً للتدهور والانحلال، وقد تجاوزت الحضارة الغربية الطور الذي تتطاحن فيه الدول وهي تتجه إلى طور حضارتها العالمية...، والحضارات العالمية السابقة كانت امبراطوريات، ولما كانت الديمقراطية هي الشكل السياسي للحضارة الغربية، فإن الحالة العالمية الناشئة للحضارة الغربية ليست امبراطورية، ولكنها مركب من اتحادات واتحادات فدرالية وكونفدرالية ونظم دوليةٍ.... ويعني

[1] صاموئيل هانتنغتون، الغرب فريد وليس عالمياً، ص١٧٠

تعزيز تماسك الغرب الحفاظ على الحضارة الغربية في داخله وتعيين حدوده، ويقتضي الحفاظ على الحضارة الغربية أموراً عديدة، من بينها التحكم في الهجرة من المجتمعات غير الغربية،...، وضمان اندماج المهاجرين الذين يسمح بهم في الحضارة الغربية، كما يقتضي أيضاً الاعتراف بأن حلف شمال الأطلسي بعد الحرب الباردة هو المنظمة الأمنية للحضارة الغربية... وإذا جددت أمريكا الشمالية وأوروبا حياتهما المعنوية وشيدتا ثقافتهما المشتركة، وأنشأتا أشكالاً أقوى للتكامل الاقتصادي لإكمال تعاونهما الأمني في حلف الأطلسي، فإنهما تستطيعان توليد طور أوروبي أمريكي ثالث لرفاهية الغرب ولنفوذه السياسي، وسوف يوفر التكامل السياسي من بعض النواحي وسيلة لمواجهة التراجع النسبي في نصيب الغرب من سكان العالم وإنتاجه وقدراته العسكرية، ويحيي قوة الغرب في أعين زعماء الحضارات الأخرى، وليست المسئولية الرئيسية لزعماء الغرب محاولة إعادة تشكيل الحضارات الأخرى على صورة الغرب ومثاله، التي هي أمر يتجاوز قدرتهم بدرجة متزايدة، وإنما الحفاظ على الخصائص الفريدة للحضارة الغربية وتجديدها، وهذه المسئولية تقع بشكل كبير على عاتق أقوى بلد غربي "الولايات المتحدة الأمريكية"، فلا النزعة العالمية ولا النزعة الانعزالية، ولا تعددية الأطراف ولا الأحادية ستخدم المصالح الأمريكية بشكل أفضل، وسوف يكمن الدفاع الأكثر فاعلية عن مصالح الولايات المتحدة في تحاشي هذه المواقف المتطرفة، وأن تتبنى بدلاً منها سياسة أطلسية للتعاون الوثيق مع دول أوروبا الشريكة لها، سياسة تحمي وتعزز المصالح والقيم والثقافة للحضارة الفريدة والغالية التي تتشارك دول الغرب فيها "[١]

والذي يظهر من تحليل النتائج التي توصل إليها هانتنغتون أن غرضه من عرض مثل هذه النظرية قد يتمثل في شحذ همم الأمم الأوروبية بما في ذلك أمريكا نحو وحدتها، كما إنه يأمل منها أن تعزز مكانتها في النظام العالمي الجديد، من خلال توحيد دولها ضمن الإطار الكلي للحضارة التي تجمعها، حيث ظهر من روايته الأخيرة أنه يرى أن التطاحن مرحلة أولية مرت بها المجتمعات الغربية بدولها، ومن ثمّ فإنه لم يفترض أن تمر بهذه المرحلة تالياً رغم افتراضه تكرار ذلك النمط وكونه النمط السائد قديماً وحديثاً على مستوى الحضارة الإنسانية، فقد افترض أن التطاحن والتدافع مع الإسلام يستمد قوته من التاريخ العنيف الذي يجمع الحضارتين، وبرغم أن علماء الحضارات يفترضون التقارب بين الحضارات والتفاهم مرحلة تالية للنزاعات، فقد افترض هانتنغتون صحة ذلك على مستوى العلاقة بين الحضارة الغربية بمفرداتها " دولها"، ولم يفترضه في علاقتها مع الحضارات الإنسانية، فهو يرى أن المشتركات الثقافية والقواسم الحضارية بين الحضارات الغربي،ة ستدفعها إلى المرحلة اللاحقة التي نصّ عليها علماء الحضارة، وقد تظهر مرحلة التوحد هذه في كيان امبراطورية تجمع المجتمعات الدولية في حدود قواسم حضارتها المشتركة.

---

[١] صاموئيل هانتنغتون، الغرب فريد وليس عالمياً، ص١٧٠-١٧٣

تابع بريان بيدهام وسواه السير على خطى هانتنغتون ولكن بتحديث لطريقة عرض الرؤى، وذلك في مقاله الذي نشرته الصحيفة الأمريكية "الإيكونوميست" _ولكن بيدهام يختزل الحضارات المؤهلة لقيادة الصراع في القرن الحادي والعشرين والتي أوردها هانتنغتون في ثمان: الغربية، والكونفوشيوسية، واليابانية والإسلامية والهندية والسلافية الأرثوذكسية والأمريكية اللاتينية والأفريقية[١] _ فالحضارات الرائدة التي ستقع بينها الصدامات والتي ستكون طرفاً في معادلات قيادة الصراع على الكرة الأرضية ثلاث: الغرب في مواجهة العالم الإسلامي أو عالم الكونفوشيوسية، حضارة الغرب أو الثقافة الأوروبية الأمريكية التي نتجت عن النهضة العلمية وأفرزت الرأسمالية والديمقراطية، والحضارة الصفراء أو الثقافة الكونفوشيوسية التي تقوم على تقديس سلطة الحاكم وتبعية المحكوم، والحضارة الثالثة هي الحضارة التي جسدت الثقافة الإسلامية، ثمّ إنه يشير إلى الاعتقاد الجازم بأن الإسلام سيكون المنافس الوحيد باعتبار قيامه على اليقين بأن المبادئ والقيم التي جاء بها فوق الأسس التي وضعها البشر، وقد لخص بيدهام العلاقة التاريخية بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية بالاختراقين: الإسلامي إلى قلب أوروبا والهجومات المضادة غير المتكافئة" الحروب الصليبية"، إضافة إلى الامتصاص الفعلي للعالم الإسلامي برمته إلى بطون الامبراطوريات الأوروبية عبر الاستعمار، ويخلص من التاريخ إلى أن قصة العلاقة لا تنبئ عن معشر جيد مع الجوار ولكنها يجب ألا تكون زاداً لحرب جديدة بينهما، ثمّ إنّ بيدهام يحمل الغرب مسئولية تحقيق حسن الجوار مع الإسلام على اعتبار أن الغرب هو الأكثر تحضراً[٢].

ثمّ إن بيدهام أشار إلى أن مخاوف الغرب في هذا القرن والتي بلغت حداً تجاوز ما كان فيما مضى،" وهذه المخاوف كثيرة وفي مجالات كثيرة: منها خوف الغرب على مصالحه في الشرق والجنوب، إضافة إلى خوفه من تدفق المزيد من اللاجئين الذين أصبحوا يشكلون نسبة ملحوظة بالنسبة إلى عدد السكان، ومشكلة اللاجئين أنهم يشكلون بنية جديدة مغايرة للبنية الغربية، .. وهذه البنية لم تندمج تماماً في ثقافة الغرب بل بقيت متمايزة عنها،...ولكن الهاجس الأكبر الذي بدت ملامحه منذ حين هو مشكلة التنظيمات أو الحركات التي ترفض القيود الغربية، بل وتواجهها بعنف متبادل وهي في داخل البناء الاجتماعي الغربي، وهذا الهاجس يفضي بدوره إلى هاجس أكثر تعقيداً وهو الخوف التاريخي من الفتوحات الإسلامية"[٣]، وأخيراً فإن بيدهام يشير إلى تخلف العالم الإسلامي فيما يخص قضية المرأة وعدم ملاءمة تشريعاته التاريخية لها في العولمة وعصر الحداثة، كما إنه يشير إلى النظام الاقتصادي الإسلامي محاولا إظهار تفوق النظام الرأسمالي ويدعو العالم الإسلامي إلى أن يحذو حذو الغرب ويأخذ بتجربته في موقفه من الدين[٤].

---

[١] صاموئيل هانتنغتون،صدام الحضارات، في كتاب: الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص١٣

[٢] جودت سعيد وعبد الواحد علواني، الإسلام والغرب والديمقراطية: قراءات وتعليق على مقالتي صدام الحضارات لصاموئيل هانتنغتون والإسلام والغرب لبريان بيدهام، دار الفكر ودار الفكر المعاصر، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص٤٥، ٥٣-٥٧

[٣] الإسلام والغرب والديمقراطية، ص٦١-٦٢

[٤] الإسلام والغرب والديمقراطية، ص١٣٢

وليس هذا الموضع من البحث متخصصاً في بيان كفاءة أنظمة الإسلام وإعجاز أحكامه، ولكن الواضح من تتبع النظريات المعاصرة للصراع، والأحداث التي سبقتها وتلك التي تبعتها، أن فلسفة الصراع والتي باتت تتبناها الإمبريالية الجديدة فيما يشير إليه عدد من منظري العولمة، إنما جاءت من مخاوف الغرب من مواجهة الحضارات الأخرى، في عصر بدا فيه التفاعل بين الحضارات حقيقة لا بديل عنها، فبدلاً من أن تعزز هذه النظريات قيم قبول الاختلاف والتفاعل التي تدعيها العولمة، فقد عملت جاهدة من خلال نظريات الصراع أن تحمل الحضارة الإسلامية وزر ثقافة العنف المسيطرة في واقع عصر العولمة، مستندة في ذلك إلى تاريخ الحروب التي جرت بين الحضارتين، وإلى مفرزات واقع سياسي واقتصادي مضطهد ولّد العديد من الثورات في أنحاء العالم وألبسه بعض المسلمين لبوس الجهاد، ولكن الرؤى التي قدمتها هذه النظريات للعنف _كما يسمونه_ في الإسلام لم تكن رؤىً كاملة، حيث تجد منظريها يتفننون في وصف القرون التي جرت فيها سيادة العالم تحت راية الحضارة الإسلامية باعتبارها عصور عنف، ساعين إلى قياس زمان على زمان ووقائع على غيرها من مجريات التاريخ التي تختلف في معطياتها وأهدافها وفي كفاءة القائمين عليها، والناظر في ثقافة العولمة يجدها قد رفضت كل مكتسبات الماضي وأرادت محاكمة كل ما جاء من طريق الماضي وحتى النصوص الدينية بمعطيات العقل التجريبي، ولكنها ألقت ضوءاً باهراً على التاريخ دون أن تدرسه بمنهج النقد والتحليل أو بمنهج الشك، وأرادت سحب أحداثه إلى الواقع في نظرية الصراع.

والحقيقة أن فلسفة التعددية التي قدمتها العولمة كان لها دورها البارز وباعتراف منظريها في ظهور الفرق الإسلامية وظهور التطرف، فقد حدث داخل الحضارة الإسلامية ما حذر منه هانتنغتون الحضارة الأمريكية، حيث انقسمت المجتمعات الإسلامية بناءً على تباين الرؤى الأيديولوجية، والهويات العرقية والأثنية القديمة التي حكمت المنطقة قبل ظهور الإسلام، وقد كان لفكر التعددية دوره في ظهور الجماعات التي تدعى بالأصولية، فقد شجعت ديمقراطية العولمة على ظهور الفرق والأحزاب والاتجاهات، ثمّ إنها عمدت بعد ذلك إلى تحميل الإسلام وزر هذه التعددية التي لم يقرها الإسلام إلا في جانب العلم، حيث يقول تعالى:" وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون"[١]، فقد قرر برنارد لويس في بحثه "الهوية وتعدد الولاءات في الشرق الأوسط" أن تاريخ المسلمين يشهد انه كلما زاد عدد التكتلات التي ترجع إلى أصول عرقية أو أثنية أو دينية كان ذلك أسلم لحكم منطقة الشرق الأوسط، ومن ثمّ فإنه يدعو القوى المبادرة إلى السيطرة على الشرق الأوسط أن تسيره وفق رؤى التعددية والتفكك، ففي ذلك تحقيق للمصالح الاقتصادية المرجوة منه.

[١] سورة المؤمنون، الآية ٥٢

وإن الناظر في محتوى المقالات والبحوث التي ألفت عن الإسلام من غير المختصين أو العارفين فيه، يجدها تتبع منهج البحث من جانب تحليل المحتوى الغرضي، وفيه يتوجه الباحث إلى جزء محدد من محتوى مادة الاتصال أو موضوع البحث فيتناوله بالدراسة والتجزئة والتوضيح، ويكون غرض الباحث أن يربط بين الفئات التي اختارها ليحللها ثمّ يستخلص من ذلك الربط النتائج، دون أن يعير المضامين الأخرى من المادة أو المحتوى عناية أو اهتماماً[١]، وقد كان هذا المنهج بيّناً في دراسة عدد من المستشرقين للتاريخ الإسلامي، فقد أخذوا عينات غرضية من هذا التاريخ دون أن يولوا اعتباراً للعوامل التي ولدتها أو للظروف التي صاحبتها، ثمّ عملوا على تحليلها ودراستها ليصلوا من ذلك إلى تعميم النتائج حول الفروض البحثية التي أرادوها، وإن نظرة متفحصة في كتب برنارد لويس سوف تعضد هذا الفرض، فقد سبق بيان بعض الأمثلة التي ساقها برنارد لويس على احتقار الإسلام والمسلمين للآخر، وما بنى على ذلك من نتائج، ولكنه وفي كتابه هذا يعرض نماذج من سياسة الإسلام في التعامل مع الآخر، سواءً في السلم أو الحرب، حيث لم يستطع أن يغفلها لثبوتها في المصادر التاريخية المعتمدة، ولكنه يكتفي بسردها على استحياء دون أن يعطيها القدر من العناية والتحليل لمناقضتها فرضية بحثه[٢].

ثالثاً: الأيديولوجيا السياسية للعولمة

تتبعت هذه الدراسة الأيديولوجيا السياسية للعولمة من جانب دول المركز وكما وصفتها الدراسات الوصفية والناقدة، وقد وقفت على ما تردده العديد من الأوساط السياسية والأدبية والدينية من الرؤى الأيديولوجية لنظرية نهاية التاريخ، فقد صرح الرئيس الأمريكي جورج واشنطن في خطابه:" إنه موكل بمهمة عهدها الله إلى الشعب الأمريكي"، وقال توماس جيفرسون في خطابه الرئاسي:"الأمريكيون شعب الله المختار"، و ثيودور روزفلت صرح بأن:" أمركة العالم قدر ومصير أمتنا"، وأما مارجريت تاتشر فقد صرحت بأن: سياسات الليبرالية الجديدة تعتمد على الداروينية الاجتماعية والتي ترى الصراع محور ومبرر الوجود بين الأمم والمؤسسات والأفراد، وان المنافسة تفرق بين الذئاب والخراف وبين الرجال والأطفال، ... مهمتنا بلوغ المجد في سياق اللامساواة[٣]"، وقد صرح إيغلبرغر نائب وزير الخارجية الأمريكي السابق بأن زعامة أمريكا على العالم تفضل منها عليهم، لذلك طالب الآخرين بدفع التكاليف للولايات المتحدة من أجل الحفاظ على النظام[٤]، ولهذا تجد كثيرين من نقاد العولمة يعتبرون الأمركة وجهاً حقيقياً يصلح للتعبير عنها.

---

[١] أنظر: بني يونس، أسماء، دليل المبتدئ إلى المناهج العامة في البحث العلمي، ص ١٢٧

[٢] أنظر:_ما كتبه عن صلاح الدين في : الإسلام وأزمة العصر حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس، ص٨٦

_ ما كتبه عن حقوق المستضعفين في الدولة الإسلامية في: أين الخطأ التأثير الغربي واستجابة المسلمين، ص١٢٥

_ ما كتبه عن تسامح الدولة العثمانية مع رعاياها المسيحيين واليهود والذي لم تعرفه الدول الأوروبية في ذلك التاريخ كما يقول: أين الخطأ التأثير الغربي واستجابة المسلمين، ص٥٤

_ ما كتبه عن أحوال مسيحيي الدولة العثمانية مقارنة بمسلمي إسبانيا: أين الخطأ، ص٦٦

[٣] شوقي جلال، العولمة الهوية والمسار رؤسية عربية،ص١٠٣، ١٠٥، ١١٧

[٤] نعوم تشومسكي، ردع الديمقراطية، ص١٠

ومما نقل عن مقالة الرئيس بوش التي نشرها في صحيفة نيويورك تايمز في ذكرى أحداث أيلول سبتمبر وفي عرض حديثه عن الدور الأمريكي في العالم تجده يختم بقوله:" إن أمام الإنسانية اليوم فرصة ثمينة لانتصار الحرية على خصومها التقليديين، والولايات المتحدة على استعداد لأن تنهض بمسئوليتها القيادية في هذه المهمة"[١]، وعلى صعيد الكتابات الأدبية والرؤى الفلسفية تجد شارلز بيرس عالم المنطق يقول:" ولنجعل كل من ينبذون الاعتقاد الرسمي الأمريكي يلزمون جانب الصمت في هلع...، ولنجر تحريات وتحقيقات عن طريقة تفكير المشتبه فيهم، ..ولنوقع عليهم العقوبات أو لنبدأ مذبحة عامة لكل من لم يفكر على النحو الذي أرادته الدولة"، وأما الروائي الأمريكي هيرمان ملفيل فيصف حقبة الصعود بقوله:" نحن رواد العالم وطلائعه اختارنا الرب...بات لزاماً على أكثر الأمم أن تحتل المؤخرة،... نحن الطليعة ننتقل إلى البرية لنقدم ما لم يقدمه الأوائل"[٢]

وبعد انتشار كتاب مشروع القرن الأمريكي والذي صرح المحللون الغربيون بأنه أخفى صيغة الامبراطورية والهيمنة وراء ضبابية القرن[٣]، أعاد المنظرون للسياسة الأمريكية التأكيد على مبدأ وجوب التخلي عن التحالفات الثابتة كما في حلف الناتو، لأنها ستلزم دول المركز وتحديداً أمريكا بمواقف محددة وإنما يلزم لمشروع القرن إبرام التحالف لكل مرحلة أو حالة بما يتناسب مع طبيعتها، وبهذا لن تكون الولايات المتحدة ملزمة بآراء حلفائها بل ستكون الامبراطورية المستأسدة بقراراتها، ومن الوثائق التي أشار لها الكتاب والتي علق عليها آرمسترونج وثائق استراتيجية الدفاع لعامي ١٩٩١-١٩٩٢، وجاء تعليقه بعدها بقوله:" تقضي الخطة بأن تحكم الولايات المتحدة العالم أجمع، والفكرة الأساسية الواضحة في هذه الخطة هي الأحادية، لكنها في نهاية المطاف قصة هيمنة، وهي تدعو الولايات المتحدة إلى الاحتفاظ بتفوق عسكري ليس له مثيل، والحيلولة دون ظهور منافسين جدد على المسرح العالمي يتحدون هذه القوة، إنها تدعو لفرض السيطرة والسلطان على الأعداء والأصدقاء على حد السواء، وهي تقول ليس على الولايات المتحدة أن تكون أكثر قوة من غيرها أو الأكثر قوة فحسب، بل ينبغي أن تكون صاحبة القوة المطلقة"[٤]، وربما تكون العبارة التي أطلقها كولن باول في وصفه علاقة أمريكا مع العالم أبلغ في اختصار وإيجاز المطلوب حين قال: يجب أن تكون المستأسد الوحيد في الساحة، وعلى العالم أجمع أن يقبل بهذا الأمر عن طيب خاطر، لأن الولايات المتحدة أهل للثقة بأنها لن تسيء استخدام هذه القوة[٥].

وفي مقالات الغلاف لمجلة نيويورك تايمز تعددت المرات التي جاء فيها موضوع عولمة أمريكا السياسية ليحتل موقع الأولوية بين مقالات المجلة، من ذلك مقالات مايكل أكنابيف التي

---

[١] الامبريالية الجديدة، ص١٥
[٢] العولمة الهوية والمسار، ص٤٦، ص٥٢
[٣] أنظر: ديفيد هارفي، الإمبريالية الجديدة، ص١٩١
[٤] D. Armstrong." Dick Cheneys song of America: drafting aplan for global dominance". Harpers magazine. 305. (October 2002) 76-83، في: الامبريالية الجديدة، ص٨٦
[٥] الإمبريالية الجديدة، ص٨٧

نشرها (٢٠٠٢/٧/٢٧، ٥ يناير ٢٠٠٣) ففي مقالته الأخيرة والتي حملت عنوان: الامبراطورية الأمريكية تعودوا على هذا الاسم، أشار إلى ما كتبه مراراً من أن" حرب أمريكا على الإرهاب ليست سوى نوع من ممارسة الامبريالية أو سعي لتكوين الامبراطورية، قد يبدو هذا صدمة للأمريكيين الذين لا يرغبون لبلادهم في أن تكون امبراطورية، ولكن ماذا تسمي تلك الفيالق من العسكر والقوات الخاصة المنتشرة في كافة أصقاع العالم، ويقول أيضاً: لم تعد الولايات المتحدة تجسد امبراطورية ذات مذاق لطيف، أو تتوقع أن تقوم بذلك بثمن بخس، وهذا يعني أنها يجب أن تضطلع بدور أكثر ديمومة وأكثر أهمية وأن تكون مستعدة للبقاء فترة طويلة كي تحقق أهدافاً هامة في التغيير"[1]، وعلى صعيد آخر يرى بعض محللي حالة الحداثة التي تمر بها المجتمعات المعاصرة أن العولمة تعبر عن حالة الإمبراطورية التي ستقودها أمريكا ، ويجعلون من هذه الحالة مرحلة إيجابية للتحرر من الإمبريالية وليست شكلاً مستحدثاً من أشكالها، حيث يذهب هاردت ونيغري إلى القول:" لقد ظلت الجماهير الثائرة برغبتها في التحرر، وتجاربها في بناء البدائل ولحظات قوتها التأسيسية، تتطلع في أفضل أحوالها نحو تدويل العلاقات وعولمتها، عبر تجاوز الانقسامات المصاحبة لأشكال الحكم القومي، والكولونيالي والامبريالي، أما في عصرنا نحن فإن هذه الرغبة التي أطلقتها الجماهير جرى التعامل معها بطريقة غريبة ومعكوسة، ولكنها واقعية مع ذلك، عبر بناء صرح الإمبراطورية(العولمة الجديدة)، بل ويستطيع المرء أن يقول إن بناء الامبراطورية وشبكاتها العالمية لم يكن إلا استجابة لمختلف أشكال النضال ضد أدوات السلطة الحديثة، وبخاصة للصراع الطبقي المدفوع برغبة الجماهير في التحرر، ...، فهذه الامبراطورية على الرغم من احتمال أنها لعبت دوراً معيناً في وضع حد للكولونيالية والامبريالية، تعكف على بناء علاقات القوة الخاصة بها القائمة على الاستغلال، التي قد تكون أقسى وأكثر وحشية من تلك التي دمرتها من نواح عديدة، فلم يتمخض انتهاء ديالكتيك الحداثة عن انتهاء ديالكتيك الاستغلال، فالبشرية كلها تقريباً باتت اليوم مقحمة في أو خاضعة لشبكات الاستغلال الرأسمالي "[2]

وبناءً عليه فقد يصح وصف غارودي لعلاقة العالم الحديث مع العالم الثالث فيقول:" ظهر استغلال العالم الثالث على نحو جديد، بنشأة وتوسيع الشركات متعددة الجنسيات، إذ لم تبق علاقات الاستغلال ثنائية الجانب بين البلد المستعمر ومستعمراته، ذلك أن الشركات متعددة الجنسيات وهي غريبة عن حدود الدول سواءً في الغرب أو في سائر أنحاء العالم، تنظم نهب العالم الثالث لا على السلم القومي كما كان الأمر بل على السلم العالمي، سواءً بالاستناد إلى قوة عظمى أو باستخدام مؤسسات دولية"[3]، ومما يدل على المسار الاحتكاري الذي تبعته الليبرالية الجديدة المقال الذي نشرته الإكونومست عام ١٩٦٨ والذي تبنى فيه غارودي نبوءة حول مستقبل العالم مع

---

[1] الامبريالية الجديدة، ص١٣

[2] مايكل هاردت وأنطونيو نيغري، الإمبراطورية: امبراطورية العولمة الجديدة، (ترجمة: فاضل جتكر)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٢، ص٨٢-٨٣

[3] روجيه جارودي، حوار الحضارات، ضمن كتاب: الحضارات صدام أم حوار، ص٤٤-٤٥

السياسات الإمبريالية التي تحملها العولمة حيث ذهب إلى أن العالم سيخضع في غضون عشرين عام لسيطرة ثلاثمائة شركة متعددة الجنسية، وقد ذكر كينيدي هذه النبوءة عن المجلة نفسها عام ١٩٣٠ قبل ان تتوحد سوق الاقتصاد العالمية ويستقر النظام العالمي الجديد، وقد رصد كينيدي على أرض الواقع بعض الظواهر التي تشهد بتحقق نبوءة الإكونومست[١].

وعلى الصعيد الخاص للسياسة الأمريكية وكما يصف هارفي واقع الحال، استطاعت أمريكا بعد خروجها من الحرب الأهلية أن تطور لنفسها وصفة خاصة للسياسة الداخلية والخارجية " فقد خرجت من الحرب الأهلية مندفعة بقوة نحو تنمية رأس المال، وغدت خلال فترة قصيرة القوة التكنولوجية والاقتصادية المهيمنة في العالم، فقد كان شكل الحكم فيها يعكس مصالح الشركات والطبقة الصناعية، و أما السلطة السياسية الداخلية فقد كانت تكرس الفردية وتقف بقوة ضد أي تهديد يطال الحقوق الثابتة والمشروعة للملكية الخاصة، وطورت أمريكا ضمن ثقافتها الداخلية وفي الأيديولوجيا السياسية الخارجية لنفسها نظرية خاصة، عن قدرها في هذا العالم، كانت المحرك الرئيسي لشكل من أشكال العنصرية التوسعية والمثالية الدولية، انفردت بهما على حد تعبير هارفي وغيره من نقاد العولمة السياسية، فقد اعتادت الولايات المتحدة ابتداءً من أواخر القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا أن تخفي مكاسبها الإقليمية وراء قناع نشر قيمها في العالم دونما حدود للمكان، وغلفت تلك القيم بخطاب جميل كانت نهايته كما يقول نيل سميث"العولمة"[٢]، وعلى صعيد الشئون الخارجية وبالإفادة من حالة العولمة نصبت الولايات المتحدة نفسها المدافع الرئيسي عن الحريات، وعن حقوق الملكية الخاصة، وقد توجت هذه الحماية بتوليها سياسة الحماية العسكرية والاقتصادية لطبقة أصحاب الأملاك والنخب السياسية، اعتماداً على حق هؤلاء في الملكية الفردية والحرية الاقتصادية، وعند منظري العولمة نشأ تعريف سلبي للولايات المتحدة يصفها بأنها الامبراطورية الأمريكية التي تضم كل شيء لا يدور في فلك الاتحاد السوفياتي[٣]، وقد تتفق رؤى هؤلاء المنظرين في أن العولمة وجه رسمي لتمثيل الأمركة وإيصال رسالتها إلى العالم.

والناظر في معطيات الواقع يجد العولمة كظاهرة عالمية بدأت بتجاوز الوجه الأمريكي إلى غيره، فقد ظهرت في العقود الأخيرة بعض الكتل الاقتصادية في جنوب وشرق آسيا كما في اليابان، والتي باتت قوتها الاقتصادية داعماً لكيانها السياسي في المؤسسات الدولية كما في البنك الدولي وهيئة الأمم، مما دفع بعض نقاد العولمة باعتبارها امبراطورية الأمركة إلى التساؤل:هل بدأ انحسار التأثير الثقافي والأخلاقي عن سواحل الولايات المتحدة متجهاً إلى كتل إقليمية للقوة آخذة في الانتشار ومتمركزة في آسيا وأوروبا؟، هل نشهد الآن تفكك الهيمنة الأمريكية داخل النظام العالمي وظهور قوة جديدة في القوى السياسية والاقتصادية؟[٤]

---

[١] عفيف فراج، ثنائية شرق غرب في مرايا...، ص١١٦
[٢] الامبريالية الجديدةن ص٥٥-٥٦
[٣] الامبريالية الجديدة، ص٦٠
[٤] الامبريالية الجديدة، ص٣٨، ص٤١

يرى هارفي أن ميزان القوى الذي يحكم التناقضات والتطورات السياسية المعاصرة، والتي تحياها الدول في ظل حقبة العولمة، أوجزته السياسة الأمريكية عملياً في حقبة سيطرتها، ذلك أنه كلما ظهر صراع بين الديمقراطية والنظام والاستقرار الناتجين عن مصالح ذوي الأملاك كانت الولايات المتحدة تختار الوقوف إلى جانب المصالح، فانتقلت الولايات المتحدة من موقع راعي حركات التحرر الوطني، إلى موقع من يقمع كل حركة شعبية تسعى إلى تحسين وضعها الاقتصادي، حتى لو كان هذا التحسين ضمن مسار شبيه بالرأسمالي، فكانت الحركات الديمقراطية والشعبية الهادفة إلى إدخال شيء من التعديل على الرأسمالية تقمع بكل قسوة كما حدث في جمهورية الدومينيكان، وتشيلي والبرازيل" لتعارضها مع مصالح طبقات ملاك رؤوس الأموال. [١]

وأخيراً فقد كان من أوضح وأخطر ما خلفته أيديولوجيا العولمة الاقتصادية من آثار على سياسات الدول فقدان العديد من المجتمعات أمنها القومي،وانتشار الفوضى والجريمة والانحراف الذي يرى محللو الحقبة العولمية أن لمجتمع الخمس والأربعة أخماس دور فيه[٢]، وكما يقول مؤلفا فخ العولمة: ولما كان المجتمع يزيد من الناحية الاقتصادية تفككاً؛ فقد اتجهت العديد من الجماعات العرقية إلى البحث عن خلاصها ومصالحها من خلال الحركات السياسية الانفصالية ومن ثمّ فقد شهدنا في السنوات الأخيرة الماضية إضافة العشرات من الدول الجديدة إلى خارطة العالم، وهكذا فقد تحولت رحى الحرب إلى داخل الدول، وذلك خلافاً للحروب التقليدية التي نشبت في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ففي جنوب أفريقيا على سبيل المثال لقي بعد عام من انتهاء سياسة التمييز العنصري، سبعة عشر ألف أفريقي حتفهم على أثر الصراعات الداخلية، أي إن الخسائر في الأرواح فاقت ما كبدته حرب أهلية استمرت سبعة عشر عاماً[٣]، وقد لخص بطرس غالي الخطر الذي تواجهه المجتمعات المعاصرة بقوله: إننا نعيش في غمرة ثورة شملت المعمورة بأجمعها..إن كوكبنا يخضع لضغط تفرزه قوتان عظيمتان متضادتان إنهما العولمة والتفكك"[٤]، ويعلق جيدنز على تأثير العولمة على التقسيم السياسي للدول فيقول:" يصف عالم الاجتماع الأمريكي دانيال بيل هذه الظاهرة ببراعة فيقول: إن الدولة لا تكون من الصغر بحيث تفقد الكفاءة على حل المشكلات الكبرى، وإنما تكون أيضاً من الكبر بحيث تفقد القدرة على حل المشكلات الصغيرة... وفي إطار وصف دور العولمة في حركات التفكك يضيف جيدنز: تشكل العولمة سبباً لإحياء الهوية المحلية في كثير من أرجاء العالم، وإذا سألنا عن سبب مطالبة الأسكتلنديين بمزيد من الاستقلال عن المملكة المتحدة، أو عن سبب ظهور حركة انفصالية في

---

[١] الامبريالية الجديدة، ص٦٧

[٢] أنظر: الفجر الكاذب، ص١٦٠-١٦٦

[٣] فخ العولمة، ص٦٢-٦٣

[٤] فخ العولمة، ص٦٨

مقاطعة كيبيك الكندية فإننا لن نجد الجواب في تاريخهما الحضاري فقط، إن الحركات القومية المحلية تظهر استجابة للنزوع نحو العولمة إذ تتضاءل سيطرة الدولة"[1]

المبحث الثاني: أدوات العولمة وأوساط الثقافة المعولمة

المطلب الأول: أدوات العولمة التي عبرت بها حياة الشعوب وثقافاتها

وكما ذهب جمع غفير من منظري العولمة إلى وصف الأيديولوجيا التي حملتها بأنها كانت معبراً للأمركة، من خلال النظام العالمي الجديد وسياسة القطب الواحد، فقد اتفق كتاب من الشرق والغرب على أن مشروع الأمركة باشر في الحقب الأخيرة دوره من خلال المؤسسات الدولية، يشهد لذلك ما كتبه محللون من أمثال نعوم تشومسكي الذي قال في وصفه علاقة أمريكا بالعالم المحيط بها" كانت الأمم المتحدة خلال أكثر من نصف قرن، المنتدى الرئيس الذي كانت الولايات المتحدة تحاول من خلاله خلق عالم على صورتها، إذ كانت تناور مع حلفائها هناك من أجل وضع بعض المعاهدات الدولية الخاصة بحقوق الإنسان أو التجارب النووية أو البيئية مما تؤكد واشنطن أنه سيمثل قيمها"[2]

وفي مقال في مجلة النور ذهبت الكاتبة الشرقية وجهة مماثلة لما سبق أن تبناه نقاد العولمة السياسية حيث كتبت لقد "وظفت السياسة الأمريكية الحركة العولمية توظيفاً كاملاً ودقيقاً في تنفيذ هذه المهمات، ونشأ في هيئات القرار الأمريكي وكواليسه نوع جديد من الهيئات والمؤسسات،و التي ادعت العناية بالشئون الداخلية للمجتمعات والشعوب حول العالم، مثل هيئات الدفاع عن حقوق الإنسان ولجان حماية الأقليات الأثنية _ _ _ وعلى متن هذه الأدوات والمداخل الجديدة تجري عملية عولمة الثقافة الأمريكية بما هي طرائق تفكير وأنماط من السلوك والعادات على مستوى العالم ... وبالتالي تطبيقها وإعادة إنتاجها في مواقع وجودها في هيئة ثقافات محلية ناشئة وجديدة"[3]

وأيّاً كانت أبعاد العولمة من اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، فإنها تتفق في أن آليتها الفاعلة تتمثل أساساً في تكنولوجيا الاتصال بالأقمار الصناعية، وبالشبكات المعلوماتية المتعددة الخدمات، وفي ثورة المعلومات عموماً، ولا يخفى أن السيطرة على هذه الآليات التكنولوجية وتطويعها يعدّ مفتاح المشاركة في نظام العولمة أو مقاومتها [4] .

ومن أهم أدوات العولمة التي عملت من خلالها على اختراق ثقافات الأمم ما يلي:

---

[1] جيدنز، عالم جامح، ص٣٣

[2] تشومسكي وآخرون، مقالة تصدير القيم الأمريكية عبر منظمة التجارة العالمية الجديدة ، في كتاب العولمة والإرهاب حرب أمريكا على العالم، ترجمة حمزة المزيني، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٣،ص٢١

[3] صفاء شاهين،الغرب ومحاولة فرض العولمة، النورص٢٥٤،(٢٠١٠/٢/٢٣) (١٣/ ١٣) com/in dex٠ -nourwww.an

[4] مصطفى العبد الله الكفري، العولمة الهاجس الطاغي في المجتمعات المعاصرة،، جامعة دمشق، كلية الاقتصاد، www.ahewar.org/debat(٢٠١٠/٢/٢٣)

١. وسائل الإعلام والاتصال، ومن أبرز محدثاتها المحطات الفضائية عبر شاشات التلفاز، والتي تبث القيم والمفاهيم الغربية والشرقية وتشارك في عولمة هذه القيم الإعلام العربية، حيث تبين من دراسات معتمدة أن ٥٠% من ساعات البث المقررة في عدد من محطات الإعلام العربية تشغلها أعمال إنتاجية غربية أو شرقية من ثقافات مباينة للثقافة العربية والإسلامية[١]، ناهيك عن الإنتاج الإعلامي العربي المقلد والمدبلج والذي ينقل قيم التحلل والإباحية عبر قنوات كثيرة، ويعد الحاسوب والشبكة المعلوماتية من أخطر وسائل الاتصال والإعلام الحديثة، فقد أفادت دراسة نشرتها مجلة (ويب ماغازين)(web magazine)أن الجنس يبقى طليعة الاهتمامات الأكثر رواجاً وانتشاراً في شبكة الانترنت[٢].

وقد فسر مايكل إيزنر رئيس مجلس إدارة شركة والت ديزني سلطة الإعلام الأمريكي على الشبكة العالمية وعلى المحطات الفضائية عبر الأفلام والدعايات حيث يقول: تتميز وسائل التسلية الأمريكية بالتنوع وهي بهذا تتلاءم مع الإمكانات والخيارات وطرق التعبير المختلفة، وهذا ما يرغب به الأفراد في كل مكان، ويضيف: وكنتيجة للحرية الواسعة المتاحة أمام كل من يريد الابتكار تتصف صناعة التسلية الأمريكية بأصالة لا مثيل لها في العالم أبداً" وقد اختلف بنيامين باربير مع مايكل إيزنر في تفسيره لجماهيرية الإعلام الأمريكي حيث يرى أن سبب نجاح استعمار ظاهرة والت ديزني، يرجع إلى ظاهرة قديمة تتمثل في المنافسة بين الشاق والسهل بين السريع والبطيء وبين المعقد والبسيط، فكل أول من هذه الأزواج يرتبط بنتاج ثقافي يدعو إلى الإعجاب والإكبار، أما كل ثان من هذه الأزواج فإنه يتلاءم مع لهونا وتعبنا وخمولنا، إن ديزني وماكدونالدز و(mtv) تروج لما هو سريع وبسيط، وسواء أكان المحق باربر أم إيزنر فإن حصيلة نجاح هوليود واضحة .. فقد وصف محللو الواقع السياسي لإعلام العولمة الإعلام الأمريكي بقولهم: الشمس لا تغيب عن إمبراطوريات شركات الإعلام العظيمة، وتقدم هوليود بصفتها المركز العالمي أهم مادة أولية لمادية العصر المتأخرة،... وأما المنطقة الواقعة بين الخليج العربي وكوريا فالإنتاج الإعلامي صاحب الكلمة والسيطرة فيها للاسترالي روبرت موردوخ، فمحطة إرساله الموجودة في هونغكونغ والتي تبث بواسطة الأقمار الصناعية تغطي من حيث التوقيت الزمني أربع مناطق مختلفة يسكنها نصف سكان المعمورة، ويسعى موردوخ للحصول على موطئ قدم واسع له في الصين الشعبة، وذلك من خلال المشاركة المالية في قنوات البث الالكتروني عبر الكابلات،... إلا أن القائمين على شئون الحكم في بكين حددوا الصيغة التي يمكن أن يقبلوه بها باشتراطهم: لا جنس ولا عنف ولا أخبار[٣]

---

[١] ناجي، فضيله إبراهيم، هوية الفتاة المسلمة في ظل العولمة ، ضمن أبحاث ندوة: الفتاة المسلمة في ظل عولمة الثقافة والعلم، ملتقى الشارقة الثقافي الأول للفتيات المسلمات، الشارقة، دار المسار، ٢٠٠٠، ص٣٦،٣٤

[٢] فضيلة إبراهيم، المرجع السابق، ص٣٥

[٣] فخ العولمة، ص٤٩-٥١

وكما تفوقت أمريكا في توظيفها تكنولوجيا العولمة ومؤسساتها لبث الرسالة الأمريكية وتحقيق أهدافها، فقد تفوقت في صناعة الإعلام على سواها، من ذلك أن الإنتاج الأمريكي ينفق حوالي ٥٩ مليون دولار في الفيلم الواحد، وهذا ما يفوق احتمال المنتجين الهنود وسواهم، وأما برامج الدعاية الأمريكية فقد تصل المشاهد بصور من وطن الأحلام، ومن ذلك قصص رعاة البقر في الولايات المتحدة التي جعلتها بعض الشركات الدعائية مادة لما يزيد على نصف الإعلانات التي تبثها، وكما يزعم نقاد الأمركة المعولمة فإن ثمة جهود خارقة تبذل كي يتخذ العالم صورة واحدة، ولا ريب أن المحصلة النهائية لمثل هذا التطور ستكون في المجال الثقافي، وستكون بسيادة الصريخ والزعيق الأمريكي في العالم أجمع، فمنذ سنوات ظهرت على مدار العالم طليعة شبابية تقتفي أثر الزعيق الأمريكي[١]، ولقد ازداد الطلب على سيل السلع التي يجري الإعلان والدعاية لها على المستوى الدولي، بحيث بدا كما لو كان يجوب المعمورة كلها محراث يقلب أسواقها رأساً على عقب، وكما يقول الناقد الاجتماعي إيفان إيلتش" صار العطش يرتبط على نحو مباشر بالحاجة إلى الكوكاكولا، وينقد كينيدي الإعلام الأمريكي الذي تتبناه العولمة باتهامه بممارسة عملية تسخيف الثقافة الأمريكية، وذلك بتركيزه على الإشباع الاستهلاكي والموسيقى الصاخبة، والضجيج والصور المتحركة واللون والتسلية على حساب التأمل الجدي[٢]

وسيراً على طريقة العولمة في التوجيه والسيطرة فقد قامت على غرار مؤسسات النقد الدولية العديد من المؤسسات الإعلامية الدولية، والتي جعلت قاعدتها في بلد بعينه وانطلقت إلى بقية بلدان العالم لتؤثر في إعلامها، ومن أبرز مجموعات الإعلام العالمية التي أثرت في العالم بمضامينها بشكل مباشر أو من خلال تأثيرها في الإعلام القومي والمحلي لكل بلد تخترقه، مؤسسة تايم ورنر، والتي تفوق مبيعاتها ودخلها السنوي ٢٥ بليون دولار، ومؤسسة مجموعة برتلزمان والتي تتميز بتحالفاتها الإعلامية مع العديد من المجموعات الإعلامية الدولية، ومؤسسة ديزني، ونيوزكوربريشن ، ومجموعة (tct) ومجموعة سوني وجنرال الكترك وغيرها[٣].

وقد حذر بعض المتخصصين في الإعلام والاقتصاد من توظيف وسائل التكنولوجيا وثورة المعلومات لتحقيق أغراض العولمة فقال:" إن ثورة المعلومات تستخدم لا شعورياً وأحياناً عمداً في قهر ثقافات الأمم الأخرى، ذلك أنه من الخطأ في اعتقادي النظر إلى المعلومات على أنها شيء محايد، لأن عملية اختيار المعلومة وطريقة صياغتها وبثها يكون فيها نوع من التحيز دائماً، فالمسألة في ذهني أشبه بالمادة الكيماوية التي من أجل أن تعطيها للجسم يلزم أن تخلطها بأشياء أخرى، كذلك المعلومة من أجل أن تنتقل من ثقافة إلى ثقافة أخرى يلزم أن تختلط بالثقافة التي

---

[١] أنظر: فخ العولمة، ص٤٩
[٢] عفيف فراج، ثنائية شرق غرب في مرايا...، ص١١٧
[٣] العولمة وآثارها في الوطن العربي، ص١١٣-١١٨

تصدرها، فإذا كانت الثقافة المصدرة لها غرض خداعي فإنها ستبث سموماً معينة مختلطة بتلك المعلومات"[١]

وقد أصبح معلوماً أن ليس كل ما يبثه ويتناوله الفضاء الالكتروني معزز لقيم الديمقراطية، ذلك أن وسائل إعلام العولمة عرضة للتلاعب إما من جانب السلطات السياسية، وإما من جانب القوى الاقتصادية للشركات التي تشكل الموارد الأساسية للعديد من المحطات والمواقع الإعلامية، ولا يستغرب الناظر أن تكون وسائل الإعلام في بعض الدول المتأخرة خادمة للسلطة السياسية وتوجهاتها، ولكن المستغرب أن يكون الحال كذلك في الدول الديمقراطية، فقد وصلت وسائل الإعلام في الدول الديمقراطية إلى مستوى من الخصخصة والملكية بحيث صارت تابعة في سياستها وبرامجها لتوجهات المؤسسين والداعمين من القوى الرأسمالية، من ذلك مثلاً انتشار مؤسسات روبرت مردوخ في المملكة المتحدة واقتحامها الفضاء الإعلامي وفقاً لتوجهات الممول المالك، وقد وصلت نسبة سيطرتها إلى ٣٧% من الصحف الوطنية، وأما إيطاليا ففيها امتلك رئيس الوزراء الملياردير سيلفوبيرلسكوني القنوات التلفزيونية التجارية الثلاث التي تحتل موقع القمة في الإعلام الإيطالي، وفي الإمكان توقع الآثار الناجمة عن تبعية الإعلام للمشروعات الاقتصادية، فلا بدّ أن رسالته وتوجهاته لا بدّ أن تصير أكثر تركزاً في أيدي المؤسسات العولمية الضخمة التي توجه الرسالة الإعلامية بما يدعم مشاريعها ويحقق مصالحها[٢].

٢. الصناعات الرأسمالية، والتي تسعى إلى إعادة صياغة الإنسان في ضوء معايير المنفعة، والتي ركزت على المرأة باعتبارها من أعظم أبواب الربح السريع والمستمر لتلك الصناعات، وأول هذه الصناعات صناعة السينما والتمثيل والإعلان التي أخرجت المرأة من خصوصيّتها الثقافية، لتجعلها أداة لترويج منتجاتها [٣].

وثاني هذه الصناعات صناعة الأزياء وتقاليع الموضة، والتي جعلت المرأة المسلمة تتحلل من شروط اللباس الشرعي بشكل تدريجي، تبعاً لضرورة الموديلات[٤]، بينما تفننت في إبراز الجانب الشهواني عند المرأة، بحيث صارت العديد من الفتيات تعتمد على الجمال وتسعى لتحصيله باستمرار، مما روّج للصناعة الثالثة المتمثلة في صناعة مستحضرات التجميل، وقد انتشرت هذه الصناعات وروّجت لها وسائل الإعلام الدعائية، بشكل يجعل المرأة سوقاً متجددة لتلك الصناعات[٥].

---

[١] محمد إبراهيم مبروك، العولمة في الشرق والغرب: ضمن كتاب الإسلام والعولمة، ص٣٠

[٢] العسكري، سليمان إبراهيم، إعلام العولمة، ضمن كتاب: الإسلام والغرب صراع في زمن العولمة، ص٥٣-٥٤

[٣] عبد الكريم، عمرو، الأبعاد الاجتماعية للعولمة : إنها الهيمنة التي تدمرنا، جريدة الحياة ،العدد ١٣٥٢، ٢٠٠٠/٣/١٨

[٤] فضيلة إبراهيم، هويّة الفتاة المسلمة في ظل العولمة، ص٣٨

[٥] عمرو عبد الكريم ، الأبعاد الاجتماعية للعولمة، ص٥٠

ومن صناعات العولمة التي أثرت في تغيير نمط غذاء الأسرة ، الصناعات الاستهلاكية والوجبات السريعة والمشروبات الغازية مثل الكولا والبرغر ونحوها[١].

٣. المنظمات والمواثيق الدوليّة ومنها منظمة تحرير المرأة، وقد عقدت الأمم المتحدة وغيرها من مراكز القرار العالميّة،جملة من المؤتمرات والمواثيق الدولية المتخصصة في حقوق المرأة من أمثال مؤتمر كوبنهاغن(١٩٨٠) ومؤتمر نيروبي (١٩٨٥) ومؤتمر بكين (١٩٨٥) ووثيقة القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة (CEDAW) عام (١٩٧٩) ومؤتمر الصحة الإنجابية(١٩٩٩) وغيرها[٢]، وقد سعت هذه المؤتمرات في مجموعها إلى عولمة المرأة، باعتبارها إنساناً عالميّاً ينبغي أن تكون له حقوق واحدة في مختلف بقاع العالم[٣]، متجاوزة بذلك خصوصيات الثقافات واختلافاتها تحت ذريعة المطالبة بحقوق المرأة ومساواتها مع الرجل، حتى باتت هذه المنظمات من أشد الخصوم الذين يهاجمون نمط المرأة المستمسكة بالخصوصيات الثقافية والمنضوية في إطارها، لتصفها بالرجعية، غير معتبرة في ذلك ثقافة التعددية التي زعمت العولمة بمؤسساتها المختلفة تبنيها لها، وإن الناظر في المنظومة القيمية لظاهرة ما بعد الحداثة _على ما يسجل عليها من مآخذ أيديولوجية عظيمة لتنافرها مع غالب القيم التي جاءت بها الأديان السماوية عامة_ يجد بين قيمها اعتراف بالاختلافات الخصوصيات والتباينات التي يسببها العرق أوالجنس، وبالتالي فإن الأكثر اتفاقاً مع هذه المنظومة التي تعتبرها العولمة من مرجعياتها احترام الاختلاف في الجنس بكل ما يترتب عليه من اختلاف في الدور واختلاف في البناء الفسيولوجي يترتب عليه اختلافات في المسئوليات وفي الحقوق[٤] كما تقرها العديد من الثقافات الشرقية ناهيك عن الإسلامية.

والملاحظ على سياسة هذه المؤتمرات والمواثيق سعيها إلى دعم تحرير المرأة، بترويج تحرير المرأة من أدوارها التقليدية وأهمها الأمومة، وهي أدوار تنتقصها الحركات النسوية التي توجهها المواثيق، كوثيقة بكين التي زعمت بأن عمل المرأة زوجة وأماً يعدّ عملاً غير مربح[٥] وقد تدعم الجهات المنظمة والمسئولة عن هذه المؤتمرات الجمعيات النسائية في بقاع مختلفة، وقد تكون غايتها من هذا الدعم سوى توجيه القيادات النسائية في تلك الجمعيات صوب تحقيق أهدافها من عولمة المرأة.

وعلى الصعيد الاقتصادي تتربع الاتفاقيات التجارية مثل اتفاقية النافتا، والتي استطاعت من خلالها الولايات المتحدة أن تدخل دول أمريكا اللاتينة وأبرزها المكسيك في مواثيق العولمة

---

[١] علواني، عبد الواحد، أطفالنا في ظل العولمة ،مجلة الطفولة والتنمية، المجلد١ ،العدد٢ ،ص١٧٢
فضيلة إبراهيم ناجي، هوية الفتاة المسلمة في ظل العولمة، ص٥٠

[٢] الدلال، سامي محمد صالح، الإسلام والعولمة: المنازلة العالمية الإسلامية والعولمة البشرية بين السنن الربانية والتدافع الإنساني،الرياض ، مجلة البيان، ط١،٢٠٠٤م، ص٥٣-٥٤

[٣] حبيب كمال، عولمة المرأة، مجلة التوحيد، عدد ٤، ١٤٢١هـ ،ص٤٨

[٤] أنظر: بني يونس، أسماء، دليل المرأة المسلمة من مذاهب الأئمة، إربد، ٢٠١٤، ص١٠-١١

[٥] عمرو عبد الكريم، الأبعاد الاجتماعية للعولمة، مرجع سابق

الاقتصادية، وقد عملت النافتا على إحكام السيطرة على الانفتاح الاقتصادي المكسيكي بما يحول ويضمن عدم إمكانية عودة هذا الاقتصاد إلى طرق الحماية التي كان يتبعها سابقا والذي قامت عليها التنمية[١].

ومن الاتفاقيات الاقتصادية اتفاقية الجات التي عملت على تنظيم التجارة الدولية بما يضمن تحريرها من القيود، فقد كان هدفها البين تحرير التجارة من قيود الدولة وتركها لعوامل السوق العالمية، بحيث تقوم الدولة بوظيفة حفظ النظام وحماية الملكية الفردية ولا تتدخل في الحياة الاقتصادية سوى المجالات التي يحجم القطاع الخاص عن الدخول إليها، وبالتالي جاءت قوانينها لخدمة التجار والشركات العالمية، حيث تطورت منظمة الجات لترثها في منتصف التسعينيات منظمة التجارة العالمية، والتي جاءت بنودها بشروط أكثر شدة وضراوة على اقتصاديات الدول النامية مما كان عليه الحال في منظمة الجات، بحيث لم تعد للدول حرية الخيار بالتحفظ على البنود الاقتصادية التي لا تناسبها، بل صارت الدول ملزمة بصورة واضحة ومن خلال البنود القانونية بجميع الفقرات التي تقرها هذه المنظمة في حال اختيار الدول الانسياق ضمن قطار العولمة الاقتصادية[٢].

٤. الصورة التي نقلت ثقافة العصر من ثقافة الكتابة إلى ثقافة ما بعد المكتوب، من خلال النظام السمعي البصري الذي تقدمه وسائل الإعلام في نقلها القيم والعلوم والمعرفة، ومن مخاطر هذه الوسيلة أنها تغزو إدراك الملتقى وتسيطر على وعيه حيث تحشد وسائل الإثارة المختلفة في سبيل توجيه الخيال وتنميط الذوق وقولبة السلوك[٣].

٥. ومن أهم وسائل العولمة المنظمات العالمية، مثل منظمة التجارة العالمية والبنك الدولي والأمم المتحدة، ومنها أيضاً الشركات المتعددة الجنسيات[٤] وغالباً ما تعمل هذه المنظمات مع بعضها ومن أدلة ذلك ما ورد في البند (٣٤٣) و(٣٤٤) من وثيقة مؤتمر بكين الذي يخاطب المؤسسات التمويلية العالمية، كصندوق النقد الدولي ومجموعة البنك الدولي وصندوق التنمية الزراعية، لضمان تطبيق هذه الوثيقة، فقد أغريت الدول الإسلامية بالتوقيع عليها مقابل إعفائها من بعض ديونها، أو تقديم بعض القروض والمساعدات الدولية في سبيل إقرار المواثيق التي تقرها إحدى هذه المنظمات[٥].

[١] تشومسكي، نعوم، التظام العالمي القديم والجديد، (ترجمة: عاطف محمد عبد الحميد)، نهضة مصر للنشر، ٢٠١٠، ص٢٤٠-٢٤١

[٢] حمدان، فتحي إبراهيم، العولمة صراع حضارات وليست اقتصاد عابر للقارات، دار الفاروق للنشر،عمان، ط١، ٢٠٠٨، ص١٨٢-١٨٧

[٣]فضيلة إبراهيم، هوية الفتاة المسلمة في ظل العولمة ،ص٣٨

[٤]حسن محمد واخرون، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، ص١٢٣

[٥]جيدل، عمار، واخرون، العولمة من منظور شرعي ، عمان ،دار الحامد، ط١ ، ٢٠٠٢م، ص٩٢

المطعني، عبد العظيم، حقوق المرأة والطفل بين الإسلام والوثائق الدولية نقد لوثيقة بكين، القاهرة، دار الفاروق، ط١، ٢٠٠٥،ص٥٣.

وعوداً إلى فاعلية الولايات المتحدة في توظيف واقع العولمة ومؤسساتها فقد سعت إلى تأسيس نظام دولي مفتوح في التجارة والتنمية الاقتصادية والتراكم السريع لرأس المال، وقد استتبع هذا النظام تفكيك امبراطوريات وامبرياليات قامت على نظام الدولة الأمة، وقد صاغت الولايات المتحدة علاقاتها مع الدول المتفككة عن الامبرياليات القديمة وفق خبرتها في التعامل مع الدول التي استقلت وانفصلت في أمريكا اللاتينية، من ذلك جدارتها في وضع إطار دولي ينظم التجارة والتنمية الاقتصادية بينها وبين عدد من الدول، من ذلك وضعها لاتفاقية بريتون وودز والتي عملت من خلالها على استمرار استقرار النظام المالي العالمي، تبع ذلك إحداث العديد من المؤسسات الدولية التي تؤطر التجارة والتعاملات الاقتصادية تبعاً للنظام الرأسمالي الذي تديره الولايات المتحدة، وكان ابرز هذه المؤسسات: البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وتشكلت المنظمات والاتفاقيات الدولية للتجارة والتي كانت أبرزها اتفاقية الجات وهي الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة، وقد مرت في مراحل تاريخها على ثمان جولات حتى عام ١٩٩٣، حيث وطدت لإعلان قيام منظمة التجارة العالمية(wto) في مراكش، ومع قيام هذه المنظمة اختفت الجات، وقد تفوقت هذه المنظمة على الجات في دعمها للاقتصاد الأمريكي والأوروبي مع شروط مجحفة في حق البلدان النامية، حتى وصفها المحللون الاقتصاديون بانها منتدى الأغنياء مما ادى إلى انسحاب العديد من البلدان النامية وعدم مشاركتها في المراحل الأولى من تاريخ منظمة التجارة العالمية [١]

وتكمن سمة الهيمنة الأمريكية في مرحلة العولمة في أنها لا تتّبع طرائق السيطرة المباشرة من سلطة عسكرية ونحوها، فالهمينة المعاصرة للولايات المتحدة كما يصفها بريجنسكي هيمنة توافقية، " ذلك أن مجموع المنظومة الدولية المتمثلة في منظمات الأمن الجماعي مثل منظمة حلف شمال الأطلسي، والمنظمات العالمية مثل منظمة الأمم المتحدة، والوكالات المتخصصة التابعة لها، وهيئات التعاون الاقتصادي مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي جميعها تستوحي من المبادئ الأمريكية إلى حد كبير، وكما كتب بريجنسكي فإن سلطة أمريكا تمارس بالجوار، والتفاوض الدائم والبحث عن توافق شكلي، رغم أن القرار بالتحليل الأخير ينبع من مصدر واحد واشنطن العاصمة[٢]"

ومن أبرز ما سجله المحللون الاقتصاديون من ملاحظات على هذه المجموعات المالية الدولية الكبرى، أن الواضح من تتبع الاستراتيجيات والمعاملات التي أجريت في هذه المؤسسات أن مهمتها جاءت لتنفيذ استراتيجية الدول السبع الكبار وهي الدول الرأسمالية العظمى، كما تبين أن لدى كل من المؤسستين الكبريين وصفات جاهزة للتعامل مع اقتصاد الدول التي تتعامل معهما سواءً أكانت الدولة المعنية غنية أم فقيرة، والبين من تتبع طبيعة هذه الوصفات أنها

---

[١] أنظر: الإمبريالية الجديدة، ص٦٢-٦٣، فتحي حمدان، العولمة صراع حضارات وليست اقتصاد عابر للقارات، ص١٥٥-١٨٩

[٢] العجة، ناهد طلاس، تحدي العولمة: إعادة تنظيم منظومة المبادلات الدولية أم تبدل حضاري،(ترجمة: محمد عرب صاصيلا)دار طلاس، دمشق، ٢٠٠٨، ص٨٧-٨٨

جاءت لخدمة الدول الغنية والدول الكبرى أكثر من غيرها، والذي يبدو للعيان أن سياسات البنك والصندوق جاءت متناغمة لتطبيق النظام الرأسمالي وعولمته، فكل نمن المصرفين يفرض وفي كل مناسبة على الدول المقترضة أن تعمل على تنفيذ شروط تكفل حيوية النظام الرأسمالي وحرية التجارة، حيث تطالب هذه الدول بخصصة الممتلكات العامة، وتحجيم وتقزيم سلطة الدولة على رأس المال، وفتح الأسواق المحلية على الاقتصاد العالمي المتمركز في الولايات المتحدة وأوروبا واليابان، وتحرير رؤوس الأموال وإلغاء التعرفة الجمركية وضمان حرية التجارة [1]

وعند النظر في الدور الذي لعبته المؤسسات العالمية في مواجهة الأخطار التي ولّدتها العولمة الاقتصادية، يتبيّن من استقراء الواقع في الدول الآسيوية كمثال أنها واجهت العديد من الأخطار المستعصية في ظل نظام العولمة بحسب إحصائيات رصدتها المؤسسات الإنسانية والاجتماعية العالمية، وكان من أبرزها مشكلات: سحابة الضباب بعد احتراق الغابات، وانتشار فيروس النيبا، والقرصنة المستمرة في بحر الصين، يضاف إلى ذلك كله مشاكل المخدرات في المثلث الذهبي، والكوارث البيئية في الصين والفلبين وفيتنام واليابان، وقد أثبتت العديد من الدراسات المسحية عجز المؤسسات العالمية عن التعاطي الجدير مع هذه الأزمات، فقد فشل صندوق النقد الولي في حل الأزمة الاقتصادية التي مرت فيها آسيا في أواخر التسعينيات، كما عجز صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وبنك الإنماء الآسيوي والمؤسسات العالمية الأخرى في وقف تأثير لعبة الدومينو على أزمات الأسواق الناشئة، وها هي منظمة الإنتربول" البوليس الدولي" لم تفعل إلا القليل للقضاء على جرائم الكسب المتعاظمة من المخدرات وغسيل الأموال والقرصنة وسرقات الملكية الفكرية والاعتداء الجنسي على الأطفال والفساد وغيرها من جرائم العصر، وبقي حلف الناتو متردداً لعدة سنوات حيال الجرائم البشعة التي أقترفت في يوغسلافيا، وبإثر تراجع الدور الذي تلعبه هذه المؤسسات العالمية فقد أعاد القائمون عليها دراسة مهماتها وتقييمها، من ذلك ظهور الارتباك والاختلاف حول طريقة التنمية التي يقوم عليها البنك الدولي، كما إن الأمم المتحدة بيّنت أن ضعف فاعليتها الذي وصل إلى وكالاتها الرئيسية إنما يرجع إلى ضعف تمويلها وإمكاناتها والتي أشار إليها كوفي أنان صراحة بقوله:" مطلوب منا أن نفعل الكثير بما لدينا من القليل"[2]

وعلى الرغم من التقصير الذي ظهر من تقارير المتابعة الدولية للمؤسسات العولمية العالمية التي أعدت لتقييم هذه المؤسسات، فإن واقع الحال يثبت أن لهذه المؤسسات دوراً بالغ الأهمية في سياسات الدولة القومية، بحيث إن المنظمات الدولية كما في منظمة الأمم المتحدة، وصندوق النقد ومنظمة التجارة العالمية ومحكمة العدل الدولية تولت جميعها أدوار رئيسية في

[1] أنظر: العولمة صراع حضارات، ص١٧٥-١٧٦، ص١٨٠-١٨١، والفتلاوي، سهيل أحمد، العولمة وآثارها في الوطن العربي، دار الثقافة، عمان، ط١، ٢٠٠٩، ص٨٩-٩١، ١٠٧

[2] أنظر: مارك دانيال، عالم محفوف بالمخاطر، ص٢٨٧-٢٨٨

الشئون الدولية بحيث اصبحت هذه المؤسسات تمثل على نخو متزايد مواقع بديلة لممارسة السلطة قامت فيها مقام الحكومات القومية، وقد طورت بعض الأقاليم منظمات إقليمية لتحد من التدخل الدولي العالمي في شئونها الداخلية، وكان أبرز هذه المنظمات الاتحاد الأوروبي، والآسيان" اتحاد دول جنوب شرق آسيا"، وسادك" اتحاد تنمية جنوب أفريقيا"، بحيث عبرت هذه المنظمات الإقليمية والأخرى الدولية عن ضعف السيادة القومية للدولة[١]

وأما عن علاقة هذه المؤسسات بالغرب ودورها في تحديد علاقته مع العالم فقد لخصها هانتنغتون بقوله:" والقوة العسكرية للغرب بلا منافس، وفيما عدا اليابان فإن الغرب لا يواجه أي تحد اقتصادي، وهو يهيمن على المؤسسات السياسية والأمنية الدولية، ويهيمن مع اليابان على المؤسسات الاقتصادية الدولية، وتتم تسوية القضايا السياسية والأمنية الدولية بطريقة فاعلة، بواسطة مجلس إدارة مكون من الولايات المتحدة وألمانيا واليابان، ... إن القرارات التي يتخذها مجلس الأمن أو صندوق النقد الدولي والتي تعكس مصالح الغرب تقدم للعالم باعتبارها قرارات تعكس رغبات المجتمع العالمي، بل إن تعبير المجتمع العالمي نفسه صار اسما ملطفاً يحل محل العالم الحر لإضفاء مشروعية كونية على الأعمال التي تعكس مصالح الولايات المتحدة،...ويدعم الغرب من خلال صندوق النقد الدولي والمؤسسات المالية الدولية الأخرى مصالحه الاقتصادية، ويفرض على الأمم الأخرى سياسات اقتصادية يرى أنها مناسبة[٢]"

فإذا كان لويس ومن قبله هانتنغتون يعترف بهذه السلطة العالمية للحضارة الأمريكية والغربية، ففيم الإشارة المستمرة إلى فلسفة الصراع الذي لا تستطيع أن تدير دفته في هذه الحقبة من السلم الأمريكي كما يسميها باحثو العولمة سوى دول المركز متمثلة في أمريكا، وأما الواقع فقد استشهد منه كايشوري محبوباني على فلسفة الصراع التي روج لها هانتنغتون بقوله:" يناقش هانتنغتون التحدي الذي تطرحه الحضارتان الإسلامية والكونفوشيوسية، فمنذ تفجير مركز التجارة العالمي بدا الأمريكيون يمثلون البارانويا الأوروبية في شأن الإسلام، الذي يتصورونه قوة للظلام تحوم حول الحضارة المسيحية، ومن السخرية أن الغرب يتزايد خوفه من الإسلام في حين يتم تذكير المسلمين يومياً بأوجه ضعفهم، يقول هانتنغتون إن للإسلام حدوداً دامية، ولكن في كل المنازعات بين المسلمين والقوى الموالية للغرب يخسر المسلمون ويخسرون كثيراً سواءً أكانوا أذريين أو فلسطينيين أو عراقيين أو من مسلمي البوسنة"[٣]

---

[١] بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ص١٥٨-١٥٩
[٢] صدام الحضارات: ضمن كتاب الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص٢٧-٢٨
[٣] أخطار التفسخ، ضمن كتاب: الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص٥٤

المطلب الثاني: المجالات الواقعية لحياة الشعوب والتي قوي فيها تأثير العولمة

أولاً: العولمة الثقافية

طرح توماس فريدمان التحدي الذي تفرضه حقبة العولمة في صورته الصحيحة، حيث قال:" إن التحدي في حقبة العولمة هذه بالنسبة للدول والأفراد يتمثل في تحقيق توازن صحي بين الحفاظ على الإحساس بالهوية والوطن والمجتمع، وبين القيام بكل ما من شأنه تحقيق البقاء داخل نظام العولمة"[١]

ولقد بدا تأثير العولمة في النسيج الاجتماعي والعلاقات الثقافية التي تتشكل منها المجتمعات الغربية، بصورة توازي تأثيرها في المجتمعات الشرقية، بل إن عملية تفكيك النسيج الاجتماعي وإعادة حبكه في ضوء قيم العولمة بدأت من الدول الغربية، فقد أدى تفكيك الامبرياليات الأوروبية إلى سياسة التخلي عن العنصرية بصورة رسمية، ومن هنا جاء الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة، وغيره من الدراسات التي قامت بها منظمة اليونسكو لإيقاف سياسة العنصرية ولتأسيس شكل من العالمية في الملكية الخاصة وفي حقوق الفرد، بما يتناسب مع المرحلة التالية، وكان لا بدّ للولايات المتحدة أن تبدأ بتبني هذه السياسة باعتبارها ذروة الحضارة والرقي، والقلعة المنيعة للحفاظ على حقوق الفرد، وقد بدأ من هذه السياسة الثقافية القائمة على حقوق الإنسان والتعددية الغزو الثقافي الكبير ضد القيم الأوروبية، والترويج لتفوق الثقافة الأمريكية، واستخدمت قوة المال للسيطرة على الإنتاج الثقافي والتأثير على القيم الثقافية في الدول الغربية لضمان تبعيتها، وأصبحت الامبريالية السلاح الأهم في الصراع المحتدم من أجل ترسيخ الهيمنة الكلية، واستخدمت هوليود والموسيقى وكافة الأشكال الثقافية ...وحتى الحركات السياسية التي نادت بالحقوق المدنية استخدمت جميعاً لتغذية الرغبة في تقليد النمط الأمريكي ومحاكاته.... وجاء الحديث الصريح عن الامبراطورية كخيار سياسي يخفي في ثناياه انتزاع الجزية من باقي دول العالم تحت ذريعة تقديم السلام والحرية للجميع[٢]، إذن فقد أزيحت المرحلة عن هدفها الأصلي الذي عبرت عنه بالقيم الديمقراطية وحقوق الإنسان والتعددية، إلى هدف آخر أرجع صورة الليبرالية المتسلطة على المجتمعات والشعوب بقالبها الجديد، تحت مظلة أو غطاء قيم المرحلة من ديمقراطية وحقوق للإنسان، فباتت المجتمعات ترزح تحت سيطرة ونفوذ امبراطوري كما يسميه منظرو العولمة، تحت ذريعة القيم الأصلية التي أحدثتها المجتمعات لحقبة العولمة.

---

[١] توماس فريدمان،السيارة ليكساس وشجرة الزيتون: محاولة لفهم العولمة، ترجمة: ليلى زيدان، القاهرة، الدار الدجوليّة للنشر والتوزيع، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص٧٣

[٢] الامبريالية الجديدة، ص٦٣-٦٤، ص٨٤

وقد بدا للباحثين من تتبع الواقع الثقافي لمجتمعات العالم الثالث تأثير العولمة جلياً في مختلف عناصر الثقافة، فعلى مستوى المواطنة والهوية برزت ظاهرة التعددية الثقافية سواء من طريق الهجرة، أو من طريق ثقافة ما بعد الحداثة التي حملتها العولمة، فضلاً عن تعرض دعائم الدولة القومية للاهتزاز بسبب تنامي حدة النزاعات العرقية، وظهور التكتلات السياسية الإقليميّة الكبيرة، والجماعات والتكتلات المسلحة ونحوها، وقد أتاح ذلك كله فرصاً للانتماء إلى كيانات وجماعات سياسية متعددة، ورافق ظهور هذه النزعات واهتزاز الدولة القومية النمو المتسارع للمجتمع المدني العالمي بتجلياته المختلفة، والذي أخذ يعيد للأذهان فكرة المواطنة العالمية من جديد.

وأما في مستوى طرائق الحياة المعبرة عن الثقافات فتعمل تقنيات العولمة على نقل محتوى الثقافة الغربية بعناصرها المختلفة، من عادات سلوكية وقيم أخلاقية وقوانين ونظم ولغة وفكر إلى كافة بقاع القرية الكونية، والتي تعمل العولمة على زيادة التشابه بين سكانها إلى حد التوحد فيما يسمى بالمشترك الإنساني، والذي ساهم في اتساعه تزايد الاحتكاك والتفاعل والاتصال الإنساني على المستوى العالمي، مما نبّأ بقرب التوصل إلى ثقافة موحدة للعالم في هيئة قد تلغي ذاتية الشعوب والقبائل والأمم وخصوصيّتها الحضاريّة[1].

وقد تخطت العولمة في تقنياتها الحديثة حاجز اللغة الذي كان يشكل درعاً أمام الثقافات الوافدة، من خلال تركيزها على ثقافة الصورة، فقد أصبحت الصورة مفتاحاً سحرياً لنظام إنتاج وعي إنساني بالعالم، فالصورة هي المادة الثقافية بمحتواها الذي يعمل على سلب الوعي والإدراك من خلال نظام التقنيات السمعية البصرية وما فيه من جاذبية الألوان والتصميم والأصوات الموسيقية المعبرة عن المضمون أو المحتوى[2]

والخطورة في تغيير نمط حياة الشعوب والحكم عليها بالعيش طبقاً للقالب المعولم، تتمثل في مخاطر ثقافية عديدة منها "تهميش الثقافات وتهديد الخصوصيات الحضارية وهيمنة الثقافة الاستهلاكية والطابع الأمريكي لتضخم الاستهلاك"[3]، وقد أشار عدد من المتخصصين إلى دور وسائل العولمة في تحقيق مشروع ما بعد الحداثة، من ذلك الدور الكبير الذي قامت به أداة الاتصال العالمي(الإنترنت)، فقد أدى اطلاعها بدور التثقيف المباشر وتزويد الجمهور بمصادر الفكر المتنوعة، وعن طريق الاتصال بالبريد الالكتروني، والاشتراك في جماعات النقاش العالمية القائمة على المنهج الديمقراطي في الفكر، حيث يصف السيد يس أثر هذا الواقع على الأفراد في عصر العولمة فيقول:" في هذا السياق ستزداد قدرة _الفرد _على أن يختار رؤيته للعالم في ضوء استبصار دقيق بأفكار الآخر، وستسقط الأنماط الجامدة، والصور المتحجرة عن الشعوب والثقافات

---

[1] (دياب، www.cihrs.org

[2] ممدوح محمود منصور، العولمة دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد ،ص٨٥-٨٦

[3] حسن محمد حسان، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، ص١٢٣، والهزايمة، محمد يوسف، العولمة الثقافية واللغة العربية التحديات والآثار،الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمانن ط١، ٢٠١٢، ص٤٢

الأخرى، وربما كان ذلك بداية حوار الحضارات الكوني الذي سيسقط الحدود الجغرافية[1]" ويقول في موقع آخر:" سينتهي العهد الذي كانت فيه الهوية تصاغ بشكل شمولي قاهر أو بصورة سلطوية قامعة، إننا نشهد في الواقع ما بشرت به حركة ما بعد الحداثة من سقوط الأنساق الفكرية المغلقة، لم تعد هناك إمكانية لصياغة نسق فلسفي وسياسي واقتصادي وثقافي مغلق على غرار الماركسية الرسمية المقننة،... لقد سبق للبشر في القرن العشرين أن تمردوا على الصيغ الشمولية الجامدة للأديان، التي حاولت أن تصوغ عقولهم وتشكل وجداناتهم،... غير أنه مع ثورة الاتصال الكوني سيحدث تغيير جوهري في مجال صياغة الهوية، ذلك أن هناك تنبؤات رصينة تقرر أن الإنسان في عصر الإنترنت، حيث يستطيع الاطلاع بنفسه على منتجات العقل الإنساني، وتجليات الروح البشرية، سيقوم فردياً بإنتاج هويته الخاصة، بدون الخضوع للتأثير الطاغي لرجال الدين التقليديين أو وسائل الإعلام الجماهيرية، بعبارة أخرى ستزيد رقعة الحرية الإنسانية إلى غير ما حدود، وستزدهر إمكانيات الإبداع إلى غير ما نهاية، وستتعاظم حرية الاختيار"[2]، وفيم ينظر السيد يس وعدد من العرب إلى جانب مشرق يراه في عولمة قيم ما بعد الحداثة _رغم ما نقله من جرأتها وتطاولها على كافة الأديان وعدم اعتبارها للقيم الدينية وتجاوزها للأحكام_ يؤكد جيدنز وغيره من النقاد خطورة الحالة التي توصل إليها حالة ما بعد الحداثة فقد جاء عن جيدنز في وصفه اختراق الأنساق وتساؤله عن حاجة الإنسان المعاصر إلى العادات أو التقليد أو نحوها ليجد مرجعية يستطيع من خلالها محاكمة الأمور وفهمها حيث قال:" وبحسب وجهة نظري من المعقول تماماً إدراك أن المجتمع بحاجة إلى التقاليد، فنحن لا نقبل بمفهوم عصر التنوير الذي مؤداه أن على العالم أن يتحرر من التقليد برمته، فالتقاليد تشكل حاجة وهي سوف تستمر لأنها تمنح الحياة الاستمرارية والشكل، فلنضرب مثلاً بالحياة الأكاديمية إن كل شخص في العالم الأكاديمي يعمل ضمن التقاليد، وحتى الفروع الدراسية الأكاديمية إجمالاً كالاقتصاد وعلم الاجتماع والفلسفة لها تقاليدها، والسبب في ذلك أنه لا يمكن للمرء العمل بشكل انتقائي كلياً، ومن دون التقاليد الفكرية لن يكون للأفكار بؤرة أو اتجاه، ....، كما يتقلص تأثير التقليد والعادة على مستوى واسع من العالم، يتغير المبدأ الأساسي لهويتنا الذاتية، أي يتغير إحساسنا بالذات، وفي العديد من المواقف التقليدية يتعزز الإحساس بالذات إلى حد كبير من خلال ثبات المواقف الاجتماعية للأفراد في المجتمع، وعندما يزول التقليد ويسود اختيار أسلوب الحياة فلن تستثنى الذات من هذا الأمر، ويجب على الهوية الذاتية أن تخلق ويعاد خلقها على أساس أكثر فاعلية من ذي قبل، وهذا يوضح سبب شيوع الطب النفسي والعمل الاستشاري من جميع الأنواع في البلدان الغربية"[3].

---

[1] السيد يس، العالمية والعولمة، ص٩٤

[2] العالمية والعولمة، ص٩٢-٩٣

[3] عالم جامح، ص٧٣، ٧٦

وطبقاً لفلسفة ما بعد الحداثة لن يكون من الممكن للإنسان المعاصر بكل ما توصل إليه من العلم والإنجازات الحضارية أن يصل إلى حقائق، وكما لخص المسيري وصفه لما بعد الحداثة بأنها ضد الضد[١]، " وذلك لأن الشيء الأساسي الذي تحمله هو قناعتها بعدم إمكانية المعرفة، فإذا كان الحقيقي هو العقلاني المادي في عصر التحديث"التنوير"، وهو المادي المتغير في عصر الحداثة، ففي عصر ما بعد الحداثة لا يوجد أي أساس للتمييز بين الحقيقي والزائف، وبالتالي فلا حقيقي ولا زائف"[٢]

وعلى مستوى قيم الثقافة السياسية اتجهت ثقافة العولمة إلى نشر وتعميم ثقافة المفاهيم الديمقراطية الليبرالية، وإنهاء ورفض السلطوية والشمولية في الحكم، وتبني التعددية السياسية والالتزام بحقوق الإنسان وحماية الأقليات والتدخل الدولي الإنساني، واتباع الديمقراطية كمنهج سياسي بكل ما يتبعه من مستلزمات الحرية والخصوصية الفردية، التي تتجاوز ضوابط الأديان والمعايير الاجتماعية بل تعتبرها قيوداً مرفوضة على حرية الإنسان، وغيرها من قضايا التعددية والمساواة ضد أشكال العنصرية، حيث حذر بعض المنظرين أمريكا مما يمكن أن توصل إليه هذه المنظومة من التفكك الاجتماعي والسياسي[٣]، وفيم يهلل عدد من مفكري العرب بثقافة ما بعد الحداثة وحالة التحرر والتعددية التي تخلقها، نجد أن مفكري الغرب يرسمون هذه الحالة في إطارها الصحيح الذي يعبر عن الفوضى والاضطراب والتغيير المستمر الذي تحمله، ويستمرون في تحليلها للتوصل إلى علاقتها بثقافة العولمة الاقتصادية والشركات العالمية، ومن ذلك" ومن ناحية أخرى فإن نمط تفكير ما بعد الحداثة _بتأكيده لمفاهيم معينة مثل الاختلاف والتعددية، بتهليله للهوس والصور الزائفة، بانبهاره المتواصل بما هو جديد ودارج (على الموضة)_ يشكل وصفاً ممتازاً لمخططات البضاعة والاستهلاك الرأسمالية المثالية، ويوفر بالتالي فرصة لإيصال استراتيجيات التسويق والترويج إلى مستوى الكمال،...، إن المنظمات الحديثة الكبرى والمعقدة بحدودها الجامدة ووحداتها المتجانسة، غير ملائمة لممارسة النشاطات التجارية والأعمال في عالم ما بعد الحداثة، يقول أحد المنظرين: إن" لتنظيم ما بعد الحداثة سمات مميزة معينة، ولا سيما تأكيداً لما هو صغير إلى متوسط من حيث الحجم والتعقيد، وتبنياً لبنى ونماذج مرنة للتعاون فيما بين المؤسسات بما يلبي متطلبات الشروط التنظيمية والبيئية المضطربة، وهكذا فإن تنظيمات ما بعد الحداثة يتم تصورها إما واقعة على التخوم الفاصلة بين نظم وثقافات مختلفة، أو مهجنة داخلياً، فالجوهري بالنسبة لإدارة ما بعد الحداثة هو أن تكون المنظمات متحركة ومرنة وقادرة على التعامل مع الاختلاف"[٤] .

---

[١] أنظر كتاب: ديفيد هارفي، حالة ما بعد الحداثة بحث في أصول التغيير الثقافي
[٢] عبد الوهاب المسيري، العلمانية الشاملة، في مبروك، الإسلام والعولمة، ص١٠٨
[٣] العولمة الثقافية واللغة العربيةن ص٤٣
[٤] هاردت ونيغري، الإمبراطورية إمبراطورية العولمة الجديدة، ص٢٣٢-٢٣٣

ثمّ إن ثقافة العولمة أفادت من هذه الفلسفة في تقريرها للمغامرة والغرر في المشروعات الاقتصادية وهذا ما يتناقض مباشرة مع الأصول الشرعية في الإسلام كما هو معلوم، حيث يقول جيدنز في وصفها: " يعد التمسك الإيجابي بالمغامرة المصدر الأساسي لتكوين الثروة في أي اقتصاد حديث، ويعود أثر جانبي المخاطرة كليهما السلبي والإيجابي إلى الأيام الأولى للمجتمع الصناعي الحديث، فالمغامرة هي المحرك المنشط لمجتمع بني على التغيير، وصمّم على أن يقرر مستقبله بدلاً من أن يتركه للدين أو التقاليد أو الطبيعة، لأن الرأسمالية الحديثة تختلف عن جميع الأنظمة التي سبقتها في مواقفها تجاه المستقبل"[١]

وقد استفاض جون جراي وغيره كثيرون في وصف الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي خلفته العولمة حيث قال:" إن أمريكا اليوم ليست هي النظام المتسم بالتساوي الديمقراطي الذي وصفه "دي توكفيل" وأشاد به، كما إنها ليست مجتمع الفرص المتزايدة الذي جسدته سياسة النيوديل لفترة ما بعد الحرب، وإنما هي بلد زاخر بالنزاعات الطبقية، والحركات الأصولية، والحروب العرقية التي لم تصل بعد إلى حد الانفجار، والحلول السياسية لهذه الآفات تفترض مسبقاً إصلاح السوق الحرة، ومن المشكوك فيه أن يكون هذا الإصلاح ممكناً من الناحية السياسية في أمريكا اليوم"[٢]

وفي جانب القيم الاجتماعية فقد سعت ثقافة العولمة إلى التعديل في نمط العلاقات الاجتماعية والأدوار، وذلك من خلال تركيزها على عولمة قيم الثقافة الغربية الخاصة بالمرأة والأخرى المرتبطة بالأسرة، وسعت جاهدة من خلال توظيفها المنظمات والجمعيات الدولية؛ من هيئة الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي ولجنة مركز المرأة التابعة لهيئة الأمم المتحدة، وصندوق الأمم المتحدة للسكان وصندوق الأمم المتحدة لإنماء المرأة، والمعهد الدولي للتدريب من اجل المرأة وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ومنظمة الأمم المتحدة للطفولة وغيرها، ومن خلال المؤتمرات التي عقدتها الهيئات الدولية السابقة وباستغلالها الإعلام بأشكاله وصوره إلى عولمة القيم الثقافية الاجتماعية التالية

- الدعوة إلى المساواة بين الجنسين واستبدال الجندر للدلالة على النوع الإنساني عوضاً عن الجنس الذي يدل على التفرقة العنصرية كما تدعي الثقافة المعولمة
- الدعوة إلى تحديد النسل وتقديم خدمات الجنس الآمن
- إشراك الأب في أعباء ومسئوليات التربية وتكليفه بالوالدية كما هي الحال بالنسبة للمرأة

---

[١] أنطوني جيدنز، عالم جامح: كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا، (عباس خضير كاظم، وحسن ناظم: مترجمان)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص٤٧

[٢] الفجر الكاذب، ص١٥٣، ١٨٠

- الدعوة إلى التثقيف الجنسي والإقرار بالعلاقة الجنسية خارج الإطار الشرعي والقانوني
- إنهاء تبعية المرأة وسلب القوامة من الرجل

وقد جاءت أبرز النتائج البينة لهذه الدعوات متمثلة في الترويج للنمط الغربي من أساليب العيش وأنماط السلوك، وتعميق التفاوت الاجتماعي بفضل قيم العولمة الاقتصادية، والعمل على تكوين هيئات عليا للنظر في شئون المرأة وقضاياها وتفعيل دور وزارات الشئون الاجتماعية لممارسة دورها في ذلك[1]، كما إن وسائل العولمة الحديثة أحدثت تبدلاً واضحاً في نمط الحياة الاجتماعية وشبكة العلاقات التي تسودها، فقد أوصلنا التلفزيون ووسائل الاتصال الشبكية إلى العزلة المادية عن محيطنا الاجتماعي، في الوقت الذي قوي فيه التواصل الفكري على مستوى أوسع من المحيط الاجتماعي الطبيعي، فقد وفر عصر الكمبيوتر الألعاب الالكترونية التي أغنت عن الرياضة والألعاب الحقيقية، كما أحدثت التعامل المنزلي مع البنوك والتسوق الالكتروني والعديد من الخدمات التي ألغت حواجز الزمان والمكان، في الوقت الذي زادت فيه الحواجز المادية للتواصل الاجتماعي، حيث اختفت جلسات الأصدقاء أو كادت، وضعفت حياة المقاهي والعديد من أنماط الحياة الاجتماعية للمجتمعات التقليدية[2].

لقد أثرت العولمة بجوانبها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية على حياة الأسرة في المجتمعات المعاصرة كما يصفها جراي، إذ " إن حتميات المرونة والقابلية للتنقل التي تفرضها أسواق العمل المتحررة من الضوابط، تضع ضغوطاً خاصة على الأساليب التقليدية لحياة الأسرة، إذ كيف لأفراد الأسرة أن يجتمعوا معاً لتناول الطعام إذا كان الأب يعمل في نوبة مختلفة عن النوبة التي تعمل فيها الأم[3]، وأما جيدنز في وصفه طبيعة العلاقات الاجتماعية والثقافية التي أثرت فيها العولمة، فهو يقر بالأثر الذي خلفته العولمة فيقول:" وما نزال نتكلم عن الدولة والعائلة والعمل والتراث والطبيعة وكأن هذه الأمور لم تتغير، ورغم أن القشور الخارجية لم تتغير فقد تغير الداخل، وهذا الأمر لا يقتصر على الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بل يتعداها إلى كل مكان تقريباً، إنها مؤسسات قشرية أصبحت غير مؤهلة لأداء المهام التي وجدت من أجلها، وكلما تفاقمت التغيرات التي تحدثت عنها... أدت إلى تشكيل مجتمع عالمي لم يكن موجوداً من قبل، ونحن أول جيل يعيش في هذا المجتمع الذي لا نكاد نرى ملامحه الآن، إنه يزعزع أنماط حياتنا أينما كنا، والآن في الأقل لا يعد هذا نظاماً عالمياً تمليه إرادة بشرية جماعية، وإنما هو فوضى ناجمة عن مزيج من التأثيرات"[4]، وأما أبرز قيم ثقافة الأسرة التي أثرت العولمة في تحويلها وتنميطها بصورة لا تتفق

---

[1] أنظر: العولمة الثقافية واللغة العربية، صص٦٦،٤٥، عبد الحافظ، عبد الرشيد، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥، ص٥٦-٥٧، بني يونس، عولمة الأسرة في المجتمعات المسلمة، مجلة جامعة الشارقة، العدد(٣)، المجلد(٩)، ٩١-١١٠، ٢٠١٢

[2] العسكري، إعلام العولمة، ص٥٦-٥٧

[3] الفجر الكاذب، ص١٠٢

[4] عالم جامح، ص٣٩

مع قيم المجتمعات الشرقية والمجتمعات المسلمة ما وصفه جيدنز حين قال" إن ما أصفه بنشوء ديمقراطية العواطف، يعيش صراعاً بين النزعة الكوزموبوليتانية والنزعة الأصولية، اللتين وصفتهما من قبل، وإن المساواة بين الجنسين والحرية الجنسية للمرأة اللتين تتعارضان مع العائلة التقليدية، _ ممنوعتان لدى الجماعات الأصولية وبالعكس فهما يشكلان سمة محددة للنزعة الكوزموبوليتانية عبر العالم_...إن استمرار العائلة التقليدية أو مظاهرها في أصقاع عديدة من العالم هو أمر أكثر إقلاقاً من تدهورها، فلأية أسباب تشجع القوى المهمة الديمقراطية والتطور الاقتصادي في البلدان الأكثر فقراً، إنها بدقة لغرض مساواة المرأة وتعليمها، فما الذي يجب أن يتغير ليصبح هذا الأمر ممكناً، إنها العائلة التقليدية"[1]

يقول برنارد لويس عند وصفه واقع الثقافة التي تحياها مجتمعات الشرق الأوسط والتي استمرت خلفاً بعد الاستعمار العسكري:"لكن المشكلة التي لا حلّ لها وتبدو صعبة جداً في هذا الحال، هي استمرار طغيان ثقافة غربية وازدياد سيطرة اجتماعية واقتصادية متفوقة، لدول احتلت مكانة رفيعة ولزمن طويل في المنطقة، على الرغم من انتهاء سيطرتها السياسية والعسكرية...، صحيح أن التدخل والتورط العسكري والسياسي إلى حد كبير قد انتهى، لكن التأثير العلمي التكنولوجي والثقافي والمؤسساتي الكبير ما زال مستمراً بل متنامياً، وكما في سائر أنحاء العالم غير الغربي(العالم الثالث) كان هذا التأثير هائلاً وسيستمر كذلك"[2]، ويصف لويس الثقافة الأمريكية التي جاءت وسائل العولمة وآلياتها محملة بها فيقول:" إن الثقافة الأمريكية تختلف عن غيرها من الثقافات السابقة من ناحيتين هامتين: الأولى أنها مستقلة عن السيطرة السياسية، ومنتشرة في مناطق أوسع من مناطق النفوذ السياسي الأمريكي، كما هو الحال بالنسبة لأفكار إيران الإسلامية وأفكار الصين الشيوعية، والثانية أنها ثقافة ذات شعبية واسعة، بينما الثقافات الأخرى محصورة في نطاق النخب الفكرية والسياسية، فالثقافة الأمريكية تغري كل شرائح المجتمع وخصوصاً الشباب، كما تحمل في طياتها رسالة خاصة للناس المحرومين أو الخارجين عن التراتبية الاجتماعية وخصوصاً النساء، كذلك ليس من المستغرب أن تشكل تهديداً للمدافعين عن القيم التقليدية والعقائد الأيديولوجية من أصوليين وغيرهم" ويضيف:" كان تحدي الثقافة الغربية عنواناً رئيسياً من عناوين المجادلات في الشرق الأوسط لحوالي قرنين من الزمن، وتقدم الثقافة الشعبية الأمريكية هذا التحدي في أكثر أنماطه حداثة وانتشاراً في الوقت نفسه، وقد قدم الحكام والزعماء في الشرق الأوسط _ وسوف يستمرون دون شك في تقديم_ ردود مختلفة على هذا التحدي: المحاكاة والتبني والتأقلم والتشرب، أو الشكوى والاستنكار والرفض"[3]

[1] عالم جامح، ص٩٩
[2] لويس، برنارد، مستقبل الشرق الأوسط، ترجمة ونشر: شركة رياض الريس، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ص٢٠-٢١
[3] مستقبل الشرق الأوسط، ص٢٣-٢٥

وفي طريق سعي العولمة إلى تحقيق ذاتها في واقع ثقافات الشعوب، فإنها توجه تركيزها على أهم وسائط البناء الثقافي في المجتمعات ، حيث تعمل على عولمة التربية والتعليم، ومن الخطوات العملية لتحقيق مكاسب العولمة من خلال التعليم والتربية، القانون الصادر في بريطانيا ١٩٨٨ بخصوص العولمة في المجال التربوي، والذي يجعل مما يقتضيه الواجب في واقع الإنسان المعاصر أن تعطى الحرية للمدارس لتختار المناهج التي تدرسها، والمحتويات وطرق التعليم التي تطبقها، شريطة أن تكون المحصلة النهائية لعمل المدارس داعمة لمتطلبات سوق العولمة، وموفرة الكفاءات البشرية التي تزود السوق بالمعلومات والمهارات والاتجاهات المطلوبة فيه[١]،ومن نتائج هذا التوجه ظهور الدعوات إلى تنمية علاقات أوثق بين مؤسسات التعليم وأرباب العمل بدعوتهم إلى المشاركة في قضايا شديدة التعقيد منها اختيار أنواع التدريب المطلوب داخل مؤسسات التعليم، واختيار محتويات المناهج وأنشطتها، وبإزاء هذا التركيز الواضح على دور مؤسسات التعليم في رفد سوق العمل بالكفاءات، نجد تراجعاً بيناً في وظيفة التعليم في البناء النفسي والقيمي والديني للإنسان المعاصر.

ومن وسائط البناء الثقافي التي أحسنت العولمة التفاعل معها الإعلام بتقنياته المختلفة، فقد تطور إعلام العولمة وفق ما تنبئ به دراسات ميدانية وبحوث أكاديمية، ليحتل الإنسان المعاصر بعقله وحواسه وانفعالاته، في الوقت الذي يقف فيه إعلام المجتمعات القومية والمحلية عند مستوى الإعلام الرسمي، مما أفسح المجال للآخر لاقتحام البيوت[٢]، والدخول في العلاقة الأسرية بين الزوج والزوجة، والواقع يثبت تأثير المسلسلات المدبلجة في أزمة العلاقات بين الكثير من الأزواج، ورصد حالات عديدة من الطلاق، وكذلك تؤثر برامج الإعلام في قبول قيم وأخلاق الآخر، بما في ذلك من الخير والسوء على حد السواء، ومما يزيد من خطورة تقنيات العولمة العاملة في مجال الإعلام، أن التلفزيون بفضائياته ومحطاته، والشبكة العنكبوتية، بات لهما من التأثير والسحر في وعي الناشئين أكثر مما للأسرة والمدرسة[٣] ، فالناشئة يكثر تلقيهم للقيم والسلوكيات والأفعال بطريق الإيحاء والمحاكاة المقترنة بتعطيل الوعي، وتكون السيطرة على الحواس أثناء المتابعة محققة لهذا الغرض، وقد عم بحسب وصف مؤلفا فخ العولمة تأثير الصور المتحركة التي وردتها ثقافة العولمة أكثر مجتمعات العالم خصوصية وتحفظاً على موروثها وعاداتها، واختارا مثلاً لذلك الانتشار تأثر أفراد قبيلة يانومامي الهندية الحمراء بنمط اللباس الأمريكي وبالأفلام الأمريكية التي أعيد طباعتها وتسويقها من الهند أكثر البلدان تحفظاً على ثقافتها وموروثها، وقد أضافا بأن جاذبية هذه الثقافة تؤهلها لئن تنسخ الأحلام والأماني عن الحلم

---

[١] الكيلاني، ماجد عرسان، التربية والعولمة، دمشق، مركز الناقد ، ٢٠٠٨،ص٤١

[٢] مراد ، بركات محمد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية ، كتاب الأمة، قطر ،وزارة الأوقاف ،العدد ٨٦ ،١٤٢٢هـ، السنة ٢١: ص٣٧-٣٨

[٣] الوالي، عبد الجليل كاظم، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، المستقبل العربي ص٦٤، ٢٠٠٨/٨/١٨ SEARCHLIP .YU.EDU.JO/LIB

الأمريكي وعن الثقافة المصدرة لتصل بها إلى ضفاف الآمور واليانغ تسه والأمازون والنيل والغانغ، فقد استطاعت هذه الصور التي تصدرها الأقمار الصناعية أن تقتلع ملايين البشر من حياتهم القروية رامية بهم في خضم أبعاد فلكية على حد تعبير برتراند شنايدر الأمين العام لنادي روما[١] .

ومن مشكلات ثقافة العولمة التي يقوم على تصديرها كل من الإنترنت والفضائيات أنها ثقافة هشة؛ فهي ثقافة تعتمد على الإغراء والتأثير، معتمدة في ذلك على جاذبية الصورة التي تشكل لغة التخاطب، والتي تستخدمها للتواصل في كثير من الأحيان، وباعتبار جمهورها العام من الشباب فإنها ثقافة شعبية تتضمن قدراً من الموضوعات والمعارف غير الدقيقة، كما إنها ثقافة استهلاكية كما مر، ولذا فإن للمادة الإعلانية حيز ضخم بين محتواها، وفي حال احتوائها على المواد العلمية الأكاديمية فقد تكون في بعض الحالات من المعارف المزيفة التي يستهدف نشرها تحقيق غايات الناشر[٢]

وقد اختلف بنيامين باربير مع مايكل إيزنر في تفسيره لجماهيرية الإعلام الأمريكي حيث يرى أن سبب نجاح استعمار ظاهرة والت ديزني، يرجع إلى ظاهرة قديمة تتمثل في المنافسة بين الشاق والسهل بين السريع والبطيء وبين المعقد والبسيط، فكل أول من هذه الأزواج يرتبط بنتاج ثقافي يدعو إلى الإعجاب والإكبار، أما كل ثان من هذه الأزواج فإنه يتلاءم مع لهونا وتعبنا وخمولنا، إن ديزني وماكدونالدز و(mtv) تروج لما هو سريع وبسيط، وسواء أكان المحق باربر أم إيزنر فإن حصيلة نجاح هوليود واضحة[٣].

وبعد كل ما سبق فإن المفارقة الصارخة لعولمة الثقافة والمعارف كما يعبر عنها جيدنز تظهر في قوله:" والمفارقة الصارخة أنه في عصر فيض المعلومات وأدوات المعرفة تتفاقم أزمة السيولة الفكرية وتتفاقم حالة افتقاد النسق المعرفي" ثمّ يصف التحولات التي حدثت من جراء ثقافة العولمة:" إن هذه التحولات لا تتضمن فقد تحولات في هياكل العالم بل وأيضاً تحولات في وعينا الباطن وفي هويتنا"[٤]، وإنما ترجع الحالة التي أودت إليها العولمة إلى ثقافة ما بعد الحداثة التي ضيعت الأسس المعرفية، فأدت في النهاية إلى الشك في إمكانية الحقيقة، حيث لا ثوابت وكل ما هو معلوم قابل للنسف وللتبديد، وبهذا أوصلت إلى حالة الشك غير المنهجي والشك في الشك، فنقضت نفسها.

وإزاء الاعتراف بخطورة المجال الثقافي والتربوي من مجالات العولمة، يعترف باحثون في الحضارة الغربية أمثال (بول فندلي) في كتابه (who dearts speach) الذي ترجم إلى العربية (من يجرؤ على الكلام) بأن اليهود يسيطرون على دور النشر بأمريكا سيطرة كاملة، وكما قويت سيطرتهم على أسواق العملات والأسهم والبنوك وكبريات الشركات والإعلام والجامعات، وحتى

[١] فخ العولمة، ص٤٣-٤٤، والعجة، تحدي العولمة: إدة تنظيم منظومة المبادلات الدولية أم تبدل حضاري، ص٢٥٥-٢٥٦
[٢] أنظر: العولمة الثقافية واللغة العربية، ص٦٢-٦٣
[٣] فخ العولمة، ص٤٦-٤٧
[٤] جيدنز، بعيداً عن اليسار واليمين،ص٣٧، ٤٤

وصلت إلى صناعة الأفلام في هوليود ولم تقتصر سيطرتهم على الولايات المتحدة بل تعدت إلى فرنسا وبريطانيا وألمانيا[1]

ولقد أثرت العولمة الثقافية في استقرار الأسرة من خلال تأثيرها في إضعاف أو تغييب مكانة الأسرة كمرجعية قيمية أخلاقيّة للناشئة، بتقديمها بديلاً للقيم مما يقدمه الإعلام المرئي، ومن ذلك دعوته إلى الفردية والأنانيّة والحرية المطلقة، مما تسبب في ضعف الروابط والعلاقات الأسريّة ، كما أدت قيم العولمة إلى إضعاف حس المسئولية وزيادة حدة الاستهلاك غير العقلاني في إطار الأسرة، بالإضافة إلى خلقها لوعي اجتماعي وثقافي زائف لدى المرأة حول الحرية والتقدم والتحرر، مما أثر بشكل مباشر في استقرار الأسر واستمرار الحياة الزوجيّة [2]، وقد أيد المنظرون الأوائل لليبرالية العولمة اقتضاءها مثل هذه النتائج في جانب القيم الأسرية وعدوا ذلك من تناقضات العولمة، حيث يقول جيدنز: " إن كتاب اليمين الجديد مغرمون بإرجاع مظاهر التفكك المفترض للأسرة وللمؤسسات الأخلاقية الأخرى إلى الإباحية التي انتشرت على أيدي المفكرين اليساريين، بيد أن هذه نظرة حمقاء لتفسير تفسخ الأسرة؛ إن التغيرات الهيكلية التي أثرت في الأسرة وفي غيرها من مجالات الحياة الاجتماعية خارج نطاق العمل المأجور، إنما حفزت إليها ذات المؤثرات التي يروج لها ويدعمها اليمين الجديد في صورة الليبرالية الجديدة، إن من يدعو إلى الفردية والمبادرة الفردية في نطاق الاقتصاد سيكون طبيعياً له أن يوسع نطاق دعوته إلى مجالات أخرى من بينها الأسرة، لذلك نرى أن الفكر الليبرالي الجديد ينطوي في جوهره على تناقض مدمر، أولاً لأن الفلسفة السياسية الليبرالية الجديدة تشجع حرية قوى السوق في الحركة والعمل، وهو ما من شأنه أن يطلق العنان لكل أسباب نقض التقليد إلى أبعد مدى، وثانياً يقال أن هذه الرموز التقليدية ذاتها التي تسهم في تحللها هذه العوامل والأسباب إنما هي ضرورة جوهرية للتضامن الاجتماعي، ومن ثمّ فلا غرابة أن تمزج مبادئ اليمين الجديد بين الحريات الليبرالية والنزعة التسلطية، حتى النزعة الأصولية في صورة قلقة غير مستقرة، وتؤكد ليتوين أن لا شيء من الترتيبات البشرية يعدّ حتمياً لا فكاك منه، وأن ما يبدو لنا اليوم لا رجوع عنه يمكن أن ينقلب وينعكس غداً، وهذا تعبير واضح يتجلى فيه المبدأ القائل بأن كل ما يبدو صلباً إنما يتبخر في الهواء، ويمثل هذا التأكيد تعارضاً صريحاً مع الاعتراف بالولاء للأشكال الاجتماعية التقليدية"[3]

وقد يظهر واقع المجتمعات العديد من الآثار السلبية للعولمة الثقافية ، من أمثلتها تفوق اللغات الأجنبية على اللغات المحلية للشعوب باعتبار الأولى لغة الثقافة والعلم التي جاءت بها العولمة، ومما يجعل العولمة الثقافية شديدة التأثير على المجتمعات المسلمة تغريب اتجاه التعليم المدرسي، مما أدى إلى تقزيم الاهتمام بالعلوم الدينيّة واعتبارها ثقافة، وقد لا يجتذب كثير من

---

[1] صفاء شاهين، الغرب ومحاولة فرض العولمة، ٢٠١٠/٢/٢٣، www.an-nour.com/index

[2] رامي الغف، العولمة واستغلالها لكينونة المرأة ٢٠١٠/٢/٢٣ www.annabaa.org/nbanews

[3] جيدنز، بعيداً عن اليسار واليمين، ص٦٩-٧٠

الطلاب صوب مقررات لا تحتسب في مجموعهم وتحصيلهم، يقابل ذلك شيوع ثقافة الانترنت باعتباره من أهم تقنيات التعليم الحديث في المدارس، وقصور ما تؤديه الجامعات والمدارس من توعية ثقافية إزاء الموضوعات الثقافية التي تحملها وسائل العولمة، ثم إن المدارس والجامعات لا تحسن تدريب طلابها على تقويم المعرفة والثقافة التي يتلقونها من وسائل الانترنت وغيرها، ومن ثم تجد كثيراً من الطلاب غير قادرين على نقد هذه المضامين الثقافية والانتقاء من بينها بشكل نافع لهم، مما أدى إلى شيوع ظاهرة وضعت موضع الدراسة في الآونة الأخيرة تدعى ظاهرة الفراغ الفكري، وإدمان الإنترنت.

وباختصار فإن الواقع الثقافي للعديد من المجتمعات أصبح أكثر مسامية منه في أي وقت مضى، حيث يجتاح هذه الثقافات يومياً موجات من المهاجرين ومن الأفكار والصور والأصوات التي تحملها سريعاً تقنيات العولمة[1].

ثانيا :المجال الاقتصادي والسياسي :

أثرت العولمة الاقتصادية في واقع المجتمعات من وجوه عديدة، فالعمل على إلغاء الحدود القومية أمام البضائع ورؤوس الأموال والعمالة البشرية، والعمل على توحيد قوانين الاقتصاد من خلال اتفاقيات التجارة العالمية وغيرها، و تفاقمت سلطات الشركات عابرة القارات والتي ليست لها جنسية قومية ، أثر ذلك كله وبشكل كبير في زلزلة الكيان السياسي للدولة،حتى بات هذا المفهوم (الدولة)مهددا بالسقوط ،ففي دراسة بعنوان((يا عولمي العالم اتحدوا))يتناول ((دانيال ديزنر)) بالعرض والتقديم خمسة كتب تخصصت في دراسة ظاهرة العولمة: الجهاد ضد السوق الكونية لبنيامين باربر ،ونهاية التاريخ والإنسان الأخير لفرانسيس فوكوياما، وصدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي لصموئيل هنتنجنتون، ونهاية الأرض رحلة إلى بداية القرن الحادي والعشرين لروبرت كابلان ، ونهاية الدولة القومية لكنشي أوماي، وحيث انتهى في دراسته التي ترجمها عبد السلام رضوان إلى خلاصة لهذه الكتب توضح مستقبل العالم في ظل العولمة مفادها أن هناك اتفاق بين الكتب الخمسة على قضايا أربع: الأولى أن الدولة القومية تفقد نفوذها وتأثيرها في عالم السياسة، والثانية أن هذا الضعف تسببه بصورة مباشرة قوى السوق الكونية، والثالثة أن هذه التأثيرات كونية الطابع غير أنها غير محصورة في العالم المتقدم أو العالم النامي، والرابعة أن العلم الاجتماعي التقليدي لا يمكنه تفسير هذه التغيرات[2]

لقد بدأت ثمار العولمة السياسية والاقتصادية تلوح في أفق الدول عامة والنامية منها بشكل خاص،حيث تتزايد في واقع هذه المجتمعات النامية سيطرة الشركات متعددة الجنسيات على حركة التجارة والاستثمار ،مما أدى إلى إضعاف إنتاجية الدول النامية لعدم قدرتها على المنافسة،

[1] بول هوبر، ص١٦٣

[2] نقلاً عن شيحه ، محمود طه ،مأزق أمريكا أن قوتها الثقافية أقل بكثير من هيمنتها السياسية ، جريدة السياسة الكويتية ،العدد ١٠٦٩٠ ،تاريخ ١٩٩٨/٨/٢٨

كما أثر ذلك في زيادة البطالة بشكل واضح وفي الرفع من قيمة تداول العملات الأجنبية، وتقليص دور الحكومات، وتنظيم الإعلام لصالح الشركات الاقتصادية [1]

وإن ظهور التكتلات المالية العالمية من أمثال صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي وتوظيف الاتفاقيات الاقتصادية، كان محققا لمصلحة الدول الكبرى والشركات العابرة القارات بالدرجة الأولى، وقد استغلت الدول العظمى هذه التكتلات لزيادة المديونية الخارجية للدول الفقيرة،وضمان تبعيتها الاقتصادية والسياسية لاتجاهات تلك الدول[2]، وقد ظهر التفاوت بين أزمات الدول الغنية والفقيرة في عصر العولمة، فالمجتمعات الغنية باتت تعاني أزمات روحية وفكرية، تمثلت في الانحلال الأخلاقي وتهميش الإنسان وضياع فاعليته بإزاء الآلة التي أفقدته نشاطه وحيويته، فيما تعاني المجتمعات الفقيرة من أزمات اقتصادية وسياسية، أبرزها التبعية والبطالة والفقر، وتحولت المجتمعات الفقيرة والغنية إلى مجتمعات طبقية عبر إدوارد لوتويك عنها بقوه" تطحن الناس وتهدم التماسك الاجتماعي[3]"

وأما عن حقيقة ارتباط العولمة الاقتصادية بالنظم السياسية داخل الدول المتقدمة، فقد فصلها مؤلفا فخ العولمة وبيناها من تشريح حالة السويد فقد" كان هذا البلد قد نال الإعجاب بسبب سياسته الاجتماعية النموذجية، وصار علامة لإمكانية تطبيق نظام رأسمالي تسوده العدالة الاجتماعية، إلا أنه لم يعد فيه أثر من هذا كله الآن، فالمؤسسات الصناعية الكبرى وأصحاب المال أخذوا منذ الثمانينات ينقلون إنتاجهم ورؤوس أموالهم المدخرة إلى الخارج، ولمواجهة هذا التطور خفضت الحكومة الضرائب على الدخول العالية، على الرغم من أن انتقال المصانع ورؤوس الأموال كان قد خفض إيرادات الحكومة من الضرائب، وكانت المحصلة لهذا ارتفاع العجز في الموازنة الحكومية على نحو درامي، وإجبار الحكومة على التخلي عن العديد من برامج الإصلاح الاجتماعي، ... وحتى حكومة الولايات المتحدة نفسها أخذت تطيع الآن تقويم موجهي تدفق رؤوس الأموال، فحينما انتقل كلينتون "١٩٩٢" إلى البيت الأبيض كان قد وعد ناخبيه بإجراء إصلاحات واسعة النطاق ترمي من ناحية إلى تحديث المدارس الحكومية الخربة،.. ومن ناحية أخرى إلى أن يكون لدى كل مواطن أمريكي تأمين ضد المرض، والمشكلة تكمن في أن أياً من هذه الإصلاحات لا يمكن تحقيقه إلا بإنفاق حكومي متزايد، ولذا وبعد فوزه بالانتخابات أخذت أسعار سندات الدين الحكومي الأمريكي بالانخفاض... فقد عارض مصرفيو صناديق الاستثمار

---

[1] عمار جيدل وعبد المجيد صلاحين وعبد الكريم وريكات ، العولمة من منظور شرعي دار مكتبة الحامد الأردن ، ١٤٤٢٢هـ، ص٥٠-٥٣

[2] مصطفى العبد الله الكفري، العولمة الهاجس الطاغي في المجتمعات المعاصرة،، جامعة دمشق، كلية الاقتصاد، www.ahewar.org/debat(٢٠١٠/٢/٢٣)

[3] الكتاني، محمد، أزمة القيم في سياق التحولات الحضارية المعاصرة، دورة: أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، الرياض، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف، الدورة الربيعية٢٠٠١، ص٩٢
حميش، بنسالم، الحداثة المعولمة وإشكالية القيم الاجتماعية، دورة: أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر ،ص٢٨٥-٢٨٦

هذه الإصلاحات علانية، ولذا وبعد أشهر وجيزة من تسلمه الحكم... كانت هذه الإصلاحات في خبر كان"[1]

ويصف جون جراي مجتمع أمريكا وموقعها السياسي في ظل مرحلة ما بعد الحداثة والمرحلة العولمية فيقول:" ذلك أن أمريكا لم تعد مجتمعا برجوازياً، بل أصبحت مجتمعاً منقسماً على نفسه، توجد فيه أغلبية قلقة واقعة بين طبقة دنيا لا أمل لها، وطبقة عليا تنكر أن عليها أي التزامات مدنية، وفي الولايات المتحدة اليوم حدث تباعد بين الاقتصاد السياسي للسوق الحرة والاقتصاد الأخلاقي للحضارة البرجوازية والأرجح أن يكون هذا التباعد دائماً" ويضيف في موقع آخر:" إن أمريكا اليوم ليست هي النظام المتسم بالتساوي الديمقراطي الذي وصفه دي توكفيل وأشاد به، كما إنها ليست مجتمع الفرص المتزايدة الذي جسدته سياسة النيوديل لفترة ما بعد الحرب، وإنما هي بلد زاخر بالنزاعات الطبقية، والحركات الأصولية، والحروب العرقية التي لم تصل بعد إلى حد الانفجار، والحلول السياسية لهذه الآفات تفترض مسبقاً إصلاح السوق الحرة، ومن المشكوك فيه أن يكون هذا الإصلاح ممكناً من الناحية السياسية في أمريكا اليوم"[2]

وقد سبق بيان العديد من جوانب الواقع الاقتصادي والسياسي لحقبة العولمة، في معرض الحديث عن أيديولوجيا العولمة الاقتصادية والسياسية، وتأثيرها في واقع الدول والشعوب، في المبحث الأول من هذه الدراسة.

المبحث الثالث: الثقافات العالمية في مواجهة تحدي العولمة

المطلب الأول: استراتيجيات التعاطي مع ثقافة العولمة

لخص المنظرون علاقة الحضارات في انجذابها وافتراقها وفي حوارها وصراعها في ثلاثة أنماط من نماذج العلاقات التي عرفها تاريخ البشرية: أولها علاقة الانعزال والتقوقع والتنافر، وقد عرفت الحضارات القديمة هذا النموذج النمطي على مدى عصور من تاريخ البشرية، كما في حضارات الرافدين والحضارة الفرعونية والفارسية والتي أغلقت على نفسها ورفضت التعامل الخارجي، والنمط الثاني علاقة التزاوج والإخصاب وقد عرفت الحضارة الإسلامية هذه العلاقة على مدى قرون من تاريخها الطويل من ذلك تزاوج محتواها الثقافي مع أبواب من المعرفة اليونانية والخبرة الفارسية، والنمط الثالث علاقة الاستمرارية أي الاستقبال دون إخصاب ودون القدرة على التشييد كما في علاقة الحضارة الغربية مع القانون الروماني في عصر ما قبل الثورة الصناعية، والنمط الأخير علاقة التسميم[3]، وقد طبق هانتنغتون هذه الخيارات على استراتيجيات الحضارات المعاصرة في تعاطيها مع الحضارة الغربية، فذكر أن من بين الحضارات المعاصرة من اختار أسلوب العزلة وعدم المشاركة في المجتمع العالمي الذي يسيطر عليه الغرب، وذكر مثالاً على ذلك إيران، ومن

---

[1] فخ العولمة، ص١٣٣/ ١٣٦

[2] الفجر الكاذب، ص١٥٣، ١٨٠

[3] العامري، الثقافة والديمقراطية في مواجهة العولمة، ضمن كتاب الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص٢١١-٢١٢

بين الحضارات من اختار الانضمام إلى ركب العولمة وقبول قيم الغرب ومؤسساته، ودعا هذا الخيار بالأسلوب الكمالي، نسبة إلى كمال أتاتورك الذي بذل جهوداً واسعة في علمنة تركيا وصهرها في بوتقة الغرب، وقد أدى مثل هذا الفعل إلى إنتاج بلد ممزق غير واثق بهويته القومية كما يصفه هانتنغتون، والخيار الأخير تمثل في أسلوب التحديث دون التغريب، وذلك بتطوير القوة الاقتصادية والعسكرية مع الحفاظ على القيم والمؤسسات المحلية[1]، وقد أشار إلى أن العديد من زعماء المجتمعات غير الغربية قد سعوا إلى التحديث بينما رفضوا الطابع الغربي، في استراتيجيات لخصتها مقولات تي يونغ " التعليم الصيني من أجل المبادئ الجوهرية والتعليم الغربي لغاية عملية، ومقولات يوسي ووكين:" الروح اليابانية والأساليب التقنية الغربية"[2]وقد أكد في مقاله الثاني أن التحديث والتنمية الاقتصادية لا يتطلبان التغريب الحضاري، " إذ إنهما يعززان نهضة الثقافات الأهلية ويجددان الالتزام بها، وعلى المستوى الفردي توليد مشاعر الاغتراب والتشكيك وإيجاد أزمات هوية كثيراً ما يقدم لها الدين حلاً، وعلى مستوى المجتمع يعزز التحديث الثروة الاقتصادية والقوة العسكرية للبلد بأسره،... ونتيجة لذلك شهدت مجتمعات غير غربية كثيرة عودة إلى الحضارة الوطنية، وهي تتخذ في أحوال كثيرة الشكل الديني إذ إن إحياء الدين في العالم نتيجة مباشرة للتحديث"[3]

وفي مجمل القول فإن مواقف الحضارات من التعاطي مع العولمة تلخصت في ثلاثة نماذج:

_ نموذج الرافض للتعاطي الذي قد يتحول وفق ما يرى هانتنغتون إلى أصولي متعصب

_ ونموذج الكمالي: نسبة إلى سياسة كمال أتاتورك في التحديث والذي يرى أن الثقافة المحلية والموروث الثقافي يعدان أكبر العقبات التي يلاقيها التحديث في البلدان الساعية إليه، ففي تركيا أقام كمال أتاتورك أكثر نظم القرن الحالي تغريباً، وفقاً للمبدأ الذي ارتآه للتحديث القائل بأن التحول إلى دولة عصرية يتطلب انفصالاً حازماً عن التراث الأصلي للبلد، وحتى نهاية الحرب الباردة كان التغريب والتحديث يعدان مترادفين في كل مكان تقريباً، وكان الاستثناء من ذلك نموذج اليابان[4]

_ نموذج الإصلاحي الذي يحاول الجمع بين التحديث والمحافظة على القيم الأساسية للموروث الثقافي، كالمثال الذي ضربه هانتنغتون للجمع بين الروح اليابانية والتكنيك الغربي.

---

[1] هانتنغتون، صدام الحضارات، ضمن كتاب الغرب وبقية العالم، ص٢٩-٣٠، الغرب فريد وليس عالمياً، ص١٦٢-١٦٣

[2] الغرب فريد وليس عالمياً، ص١٦٣-١٦٤

[3] الغرب فريد وليس عالمياً، ص١٦٥

[4] أنظر: الفجر الكاذب، ص٢٣٦، والثقافة الجماهيرية، الحضارات صدام أم حوار،مقالة صدام الحضارات لصاموئيل هانتنغتون(تقديم فايز هشام البرازي)، دار حوران، دمشق، ط٢، ٢٠٠٤، ص١٧

المطلب الثاني: ثقافة التكيف وأصولها النظرية

صـاغ جـون جـراي فلسـفة التكيـف التـي تحـاول السـوق العالميـة أن تفرضـها علـى اقتصاديات الدول بقوله: إن الرأسمالية الروسية ليس باستطاعتها التكيف مع الإطار البروكروستيزي للسوق الحرة العالمية، وعرف المترجم الإطار البروكروستيزي بأنه تشبيه بلاغي للتكيف الضاغط في سبيل الدخول في القالب المطلوب، نسبة إلى بروكروستيزي وهو لص إغريقي خرافي، يمد أرجل ضحاياه أو يقطعها ليجعل طولهم مناسباً لطول فراشه، والمعنى المقصود هو الميل إلى إحداث التناسب أو التجانس بوسائل عنيفة أو اعتباطية[1].

وعند دراسة الأيديولوجيا الاقتصادية للعولمة، سبق بيان ما أفرزه التفاوت بين الطبقات الاجتماعية في مجتمع الخمس والأربعة أخماس من مشكلات اجتماعية واقتصادية، دفعت البعض أمثال برجنيسكي إلى القول بتمرير ثقافة المتعة إلى الطبقات الاجتماعية متدنية الدخول، وعند البحث في الأطر النظرية لثقافة التخدير ومجتمع القطيع الذي روج له برجنسكي، نجدها جميعاً بدأت من توظيف فلسفة سكينر وهندسة السلوك الإنساني لخدمة أغراض العولمة.

لقد قدم سكينر صورة نموذجية لمجتمع القطيع الذي بات مطلوباً تحقيقه في شعوب حضارة العولمة وذلك في كتابه " والدن ٢" حيث أبدع في نظرية هندسة وتكنولوجيا السلوك الإنساني لصناعة أشخاص ضمن القوالب المرغوبة، بحيث تفعل هذه الشعوب والشخوص ما يراد لها أن تفعله راضية بفعلها لظنها بأنها المختارة لذلك الفعل، فالذوات يمكن أن تكون كما خطط سكينر مبرمجة في جوانب سلوكها المختلفة، ففي ضوء سياسة الترغيب وسياسة الترهيب والتخويف تغدو الحرية في خلاص الإنسان من القيود والهرب من العقاب، لهذا يتقرر أن حرية العبد ستكون بالعمل والطاعة هرباً من العقاب، فالعقاب مثير بغيض بالنسبة للأفراد، فهو مؤلم وضار، ويتم تفعيل فلسفة العقاب من خلال عملية التعزيز السلبي، وهي عملية يتم من خلالها تعزيز رجحان استجابة ما عندما يتبعها إنهاء أو اختزال أو غياب مثير بغيض، ومن خلال عملية التعزيز السلبي نوصل الفرد إلى سلوك الهروب والتفادي، فالعمل والطاعة يحقق للعبد التخلص من العقاب، واتباع القانون ومتابعة السلطة تحقق للمحكوم تفادي سخط الحكومات، وأما التعزيز الإيجابي فيتم من خلاله استغلال المتغيرات المتتالية للسلوك إلى أن يتم اكتساب سلوك جديد من خلال عملية تعزيز التقريب المتوالي، فمثلاً كلما أبدى الموظف أنماطاً أعلى من الولاء للسلطة ترتفع درجته أو يعطى مزيداً من الحوافز، وبهذا يتطور سلوك الولاء والانقياد والاستسلام للسلطة ليصير بذاته معززاً لأنماط السلوك الأخرى، وبهذا يتشكل الإنسان بالصورة أو النمط المطلوب[2].

---

[1] الفجر الكاذب، ص٢٣٢

[2] ألان، بيم ب، نظريات الشخصية الارتقاء النمو التنوع، (ترجمة علاء الدين الكفافي ومايسة النيال وسهير سالم)، دار الفكر، عمان، ط١، ٢٠١٠، صص٥٧٨-٥٨٠

وفي كتابه ما وراء الحرية والكرامة يطرح سكينر سؤالاً، يفسر في إجابته عملية السيطرة والهندسة للسلوك الإنساني حيث يقول: لماذا لا نقرر نحن مسار التحكم البيئي في سلوكياتنا؟، فالبديل هو أن نترك التحكم في السلوك للحظ والمصادفة أو أن نتركه لمن يتحكمون فينا من أجل مصالحهم الخاصة، إن الاعتقاد بأننا قادرون على التحكم في سلوكنا من خلال التحكم بالبيئة الخاصة بنا لزيادة رجحان العواقب المفيدة ، يوضح لنا أبعاد علم السلوك، ذلك أننا لا نتمتع بالاستقلال الذاتي، إلا أننا قادرون على اكتساب قدر من هذا الاستقلال من خلال تغيير بعض أوجه البيئات الخاصة بنا والتي ترتبط بالعواقب المرغوبة، وعندما نطالب بالحرية فإنما نقصد بالحرية هو التحرر من العواقب السلبية أو الكريهة أو الوصول إلى العواقب الإيجابية، ولا يمكننا الوصول إلى هذه الحرية إلا من خلال ترتيب العواقب الإيجابية في البيئة، أي إنه يمكننا ترتيب البيئة الخاصة بنا بحيث تصبح العواقب التي نرغب فيها محتملة، إلا أننا بهذا أيضاً نصبح تحت سيطرة ما خلقناه، وتقبل هذا يعني أنه ينبغي التخلي عن تقدير الذات والاعتزاز بما حققناه أي التخلي عن الكرامة، وفي مقابل ذلك فإنه يؤكد أن علينا أن نمنح التقدير للبيئة بدلاً من أنفسنا، وسوف تكون نتيجة هذا تكنولوجيا سلوكية تضمن الفعل المطلوب بحيث يصبح ظاهرة متكررة، وتستبعد الفعل غير المطلوب بحيث يتضاءل ليصبح ظاهرة نادرة الحدوث[١].

وقد وظف منظرو العولمة هذه الفلسفة في تطوير رؤية الشعوب للحرية، بحيث تصير الحرية لديهم كامنة في النجاة من عقاب القوة الأعظم والسلطة، وقد عالجت فلسفة سكينر رغبة البعض أفراداً أو شعوباً في التمرد والخروج على السلطة،_ إذ يقرر وفق ما يروى عنه وإن كان من غير المتفق عليه_ أنه في إمكان الجهة المربية أن تحول دون لجوء من تربيهم إلى الردة والنفور بجعل الحياة أكثر إمتاعاً، بتوفير الغذاء ووسائل الترويح وتشجيع وسائل الرفاهية المخدرة والمسكنة، بحيث تكون آثار ذلك كله أن يصير الناس بين يدي السلطة وغير بعيدين عن عقابها في الوقت الذي تراه مناسباً، وباختصار ففي إمكان المروض أن يدجن شعبه كما يدجن المروض الأسود[٢]، وفي الولايات المتحدة أفردت الصفوة في الأحزاب الحاكمة من مظاهر التقدم العلمي والتقني ما يحقق مثل هذه الغاية، بحيث عملت على إشاعة ثقافة المتعة وذلك بتخصيص جانب كبير من اقتصادها إلى الجانب الخدمي،بحيث تسيطر ثقافة الوجبات السريعة والحفلات والأغاني[٣]ملاذاً لمن يشعرون بالإحباط أو بالنفور من الواقع.

لقد أفرزت فلسفة العولمة ونظامها الكلي، العديد من المشكلات والتحديات التي بدأت تلوح آثارها في المجتمعات الغربية والشرقية على حد سواء[٤]، فهي واضحة للعيان في العالم

---

[١] آلان، نظريات الشخصية الارتقاء النمو التنوع، ٥٧٢-٥٧٤

[٢] العولمة الهوية والمسار، ص١٠٦-١٠٧

[٣] أنظر: العولمة الهوية والمسار، ص١٠٨

[٤] أنظر: أنطوني جيدنز، فل: تناقضات دولة الرفاه في: بعيداً عن اليسار واليمين، (ترجمة شوقي جلال)، عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، ٢٠٠٢، ص١٧١-١٨٨، نعوم تشومسكي، النظام العالمي القديم والنظام العالمي الجديد، و.................................

المتقدم بقدر ثقلها وخطورتها في العالم الثالث، وبناءً عليه ففي الوقت الذي تفتش فيه مجتمعات العالم الثالث والدول الشرقية عن منهجية تمكنها من التعاطي مع واقع العالم الاقتصادي والسياسي الذي ظهر في حقبة العولمة، باتت المجتمعات والدول المتقدمة تبحث في إيجاد مشاريع بديلة ومناهج جديدة، تستطيع بتفعيلها تجاوز العقبات والمشكلات الاقتصادية والسياسية المعاصرة، وقد أطلق البعض على هذه الرؤية الجديدة التي ينبغي أن يسير العالم المتقدم باتجاهها" الطريق الثالث"، ويوضح جيدنز نقده للرأسمالية والليبرالية الجديدة فيقول:" لا أزال أعتقد أن الرأسمالية حياتها محدودة متناهية، هذا على الرغم من أنه ليس بوسع أحد أن يرى بديلاً عن الرأسمالية أو عن مجتمع السوق الآن، لا أحد في حدود علمي لديه بديل متماسك، هذه ليست ذروة التاريخ، ولا يمكن أن تكون نهاية التاريخ أن نعيش في عالم يهيمن عليه التقلب الاقتصادي وبورصة سوق الأوراق المالية، لا يمكن في رأيي أن يكون النهاية المرغوبة للحياة، لا بدّ أن هناك سبلاً ممكنة لكي نعيش حياة تنأى بنفسها عن هذا، ويجيب على سؤال حول طبيعة الطريق الثالث مشروعه الفكري لما بعد العولمة فيقول: تعترف سياسة الطريق الثالث بأن نطاق القضايا التي تتجاوز حدود التقسيم بين يمين ويسار في السياسة أكبر مما كان في السابق، إنها تعمل في عالم أصبحت فيه آراء اليسار القديم بالية وآراء اليمين الجديد قاصرة ومتناقضة،.. وقاعدة الوسط لم تعد ساحة للتوفيق بينهما وإنما ساحة لقوة سياسية جديدة... توصف بالوسط النشط الراديكالي"[1]

المطلب الثالث: خيارات التفاعل

- نموذج الحوار الحضاري:

وقد يتحقق في هذا النموذج الرد العملي على نظرية الصراع بين الحضارات الإنسانية، وقد أشار إليه عدد من الباحثين من الغرب والشرق كان من أبرزهم روجيه غارودي، وقد ينتقد البعض هذا النموذج باعتباره أسلوباً للدفاع عن النفس في واقع محاصر بالهيمنة الأوروبية سواءً في وسائل الإعلام والاتصال، أو في قوة المعلومة ومجتمع المعرفة أو في غيرهما، وقد يتطلب الحوار الذي تستلزمه مسئولية تبليغ الأمانة وتوصيل الحضارة إلى كافة المجتمعات الإنسانية " فهم الآخرين: تاريخهم وواقعهم وحقائقهم وإمكاناتهم، ثمّ السعي للتدريب والتأهيل والتفاعل معهم، وتأسيس أرضية ثابتة وراسخة من الفهم المتبادل والحقيقي لطبيعة كثير من الموضوعات المطروحة، .. ومحاولة الالتقاء حول نقاط مشتركة في الحقوق والواجبات....وهي محاولة في آن لمحو كثير من الإشكاليات والتناقضات التاريخية بين الإسلام والمسيحية واليهودية"[2]، سيراً على النهج الذي أمر به الله تعالى رسوله حين أمره أن يخاطب أهل الكتاب بقوله: (قل يا أهل الكتاب

---

[1] بعيداً عن اليسار واليمين، ص٤٧

[2] الترابي، حسن، أطروحات الحركة الإسلامية في مجال الحوار مع الغرب، من كتاب الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص١٢٦-١٢٧

تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله)[١]

وحتى يتحقق معنى الحوار الذي يفترضه البعض خياراً أمثل للتعاطي مع العولمة فلا بدّ أن تتهيأ فيه الشروط التالية:

- أن ينطلق الحوار من استعداد كل حضارة لفهم غيرها من الحضارات وترك المصادرات على النتائج بافتراض أحكام مسبقة، والاستعداد للتعامل مع الآخر برؤية جديدة ورغبة مشتركة في بلورة فهم ينطبق على واقع الحضارات، ومما يساعد على ذلك المجتمع الشبكي الذي أوجدته وسائل الاتصال الحديثة التي تقوم عليها العولمة.
- وقف عمليات الاستيعاب والاستلحاق بين الحضارات وعقلنة عملية الخلاف التي تنشأ أثناء الاتصال والتعارف، وهذا يتطلب من الحضارة الغربية أن تعترف بالتعددية وتقر الاختلافات والفروق الثقافية، فهي تلزم العالم الثالث والحضارات الأخرى بالتعددية ولكنها تسعى بشكل بيّن إلى تمييز حضاراتها وتصديرها وفرض نمطها، وإن فرض مرجعية العولمة الاقتصادية والسوق الحرة وقيم الفردانية والمنافسة وغيرها قد تكون مما يخالف المرجعية الفكرية للحضارات التي تنفعل مع العولمة، وأن تعترف كذلك بدور الحضارات غير الغربية والعقل غير الغربي في واقع الحضارة الغربية، مما يوجب عليها احترام غيرها من الحضارات والتعامل معها بمنطق التفاعل والتعاطي لا بمنطق الريادة والسيادة والسلطة.
- التبادل الحقيقي بين الحضارات لإنجازات العقل البشري مما يعني عدم احتكار المعرفة المفيدة، والتوقف عن تصدير المعارف المشكوك في آثارها أو تجريبها على الحضارات الأضعف، بل لا بدّ أن تتضمن الحدود المفتوحة تصدير المعارف المفيدة وليس فقط تصدير الفنون والآداب والاستثمارات الأجنبية والقوانين الاقتصادية والعمالة[٢].
- أن يقوم هذا التحاور على التأثير الانعكاسي للتدفقات الثقافية بحيث يصير اتجاهها من المحلي إلى الكوني، فقد صار معلوما أن العولمة قد أدت إلى الانخلاع الثقافي عن الإقليم، ويتمثل ذلك في انخلاع جماعات الهجرة عن أقاليمها وأوطانها، وبالتالي صارت أدوات العولمة طريقة لتعبر بها هذه

---

[١] الآية......ـ السورة

[٢] يوسف الحسن، حوار الحضارات لماذا، ضمن كتاب: الإسلام والغرب صراع في زمن العولمة، ص١٢٦-١٢٧، أحمد طالب الإبراهيمي، حوار الحضارات، كتا: الإسلام والغرب صراع في زمن العولمة، ص١١٧-١١٩

الجماعات عن ثقافتها الأصلية، مما سيحقق لها التواصل مع أقاليمها المحلية، كما إنه سيحقق لثقافتها الانتشار عبر الثقافة العالمية مما سيحقق لها الوجود والمشاركة، وقد صارت قضية التأقلم الثقافي وإعادة التأقلم واقعاً في عصر العولمة، فالمهاجرون الصينيون مثلاً قاموا بإنشاء مناطق لهم شبيهة بالأحياء الصينية معمارياً مما حقق لثقافتهم المحلية انتشاراً عالمياً، وقد باتت قضية القومية العابرة للحدود ضماناً لجماعات الهجرة عن الاستيعاب الثقافي لها، وقد ردت بعض الدول الكبرى على قضية القومية العابرة للحدود بالتطهير العرقي كما فعل الاتحاد السوفيتي، بينما تعاملت دول أخرى بفلسفة التعدد وقبلت هذه القوميات على حالها وأعطتها الجنسية وجميع الحقوق كما في عدد من الدول الأوروبية[1].

وقد ينظر بعض المسلمين إلى الحوار التفاعلي مع الواقع الذي أوجدته العولمة _بتوظيف وسائل الإعلام وغيرها_، باعتباره دفاعاً عن النفس في واقع محاصر بالهيمنة الاوروبية والأمريكية، ولكن حقيقة هذا الحوار التفاعلي تجعله واجباً، تبعاً للتكيف الشرعي لرسالة الإسلام العالمية، فقد جاء النص على عالمية هذه الرسالة في مصادرها الأصلية[2]، وجاء منهج بلوغ هذه العالمية بأساليب مختلفة منها الحكمة والموعظة والحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، ومن ثمّ كان الأصل في هذه الأمة أن تتولى مهمة الخطاب والتبليغ بتوظيف كافة السبل والأساليب والوسائل المتاحة.

وقد باتت ظاهرة العولمة بكل معطياتها وآلياتها وظروفها من الحالات المناسبة للتبليغ بالحوار والتفاعل، ففي حين قامت ثقافة العولمة على كمّ من المحتوى الثقافي لما بعد الحداثة، والذي يزخر بقيم التشتت والفوضى وعدم الاستقرار وغياب المرجعية، والتعددية والانقسام والتفصيل وفقدان الثوابت كما مرّ بيانه، تفجرت ضمن هذا الواقع دعوات للعديد من المفكرين والباحثين بضرورة إيجاد نسق من الثوابت؛ لأهمية المرجعية التي لا بدّ أن تستند إليها الحياة الفكرية للأجيال، وقد صرّح ماسلو في بحثه "الثورة غير المرئية" عن حاجة الأجيال الناشئة التي يسميها القطيع الداجن إلى ثقافة فيها ثوابت، وصرّح بأن تردد القيم ونسبيتها والتغير المستمر فيها قد أوصل الأجيال إلى حالة من التشتت والضياع وصلت إلى داخل المؤسسات التربوية، ومما قاله في ذلك: أنه سيتردد في إرسال أبنائه إلى الجامعات التي توصف بأنها ممتازة كتردده بإرسالهم إلي بيت دعارة، ثمّ أضاف:" إن الناشئة يتطلعون إلى حقائق مؤكدة كتلك التي تقدمها الأديان والتقاليد الراسخة، ولكن أثر الأديان والتقاليد الآن تداعى، فليس الإله وحده هو الذي مات في ضمائر

---

[1] أنظر: بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ص٦٩-٨٠
[2] أنظر: الترابي، أطروحات الحركة الإسلامية في مجال الحوار مع الغرب، ضمن كتاب: الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص١٢٧

الناشئة، وإنما مات أيضاً ماركس ومات فرويد ومات داروين، وكل شخص أصبح في ضمائرهم ميتاً وليس لديهم مصدر للقيم يتبعونه"[1]

ومن علماء النفس الذين تبنوا وجهة ماسلو في تفسير الحاجات النفسية الاجتماعية للإنسان المعاصر: إريك فروم، حيث ذهب في نظريته النفسية الاجتماعية لدراسة الشخصية، إلى أن أول الحاجات الوجودية الأساسية التي لا تستقيم حياة الإنسان حال غيابها: الحاجة إلى إطار للتوجه وموضوع للتكريس، فقد ذهب فروم إلى أن كلاً من الإنسان والمجتمعات المعاصرة يلزمه إطاراً أو خريطة إدراكية لتنظيم عوالمه الطبيعية والاجتماعية، بحيث يتمكنون جميعاً من إدارة الأمور المحيرة في عوالمهم وفهمها، وهذه الخريطة تشكل في الوقت نفسه مرجعية للتعامل ما بين المجتمعات في المجال العقلاني، فإطار التوجه عامل أساسي لتنظيم حياة الإنسان، ففي حال وجود إطارات التوجه ذات الأيديولوجية الخاطئة وغير العقلانية فإنها سوف تيسر على الإنسان التعامل مع عالمه بصورة أكثر جدارة من حالات التعري من أطر التوجه التي تنظم الحياة، وكلما كانت الأيديولوجيات التي تحملها أطر التوجه تقدم إجابات شافية عن كافة أسئلة الإنسان كلما كانت أكثر جدارة وزادت جاذبيتها، وبالإضافة إلى إطار التوجه يحتاج الإنسان المعاصر ليحيا حياة نفسية سوية واجتماعية صالحة، يحتاج إلى هدف يكرس له حياته ويجعله غايته من أنشطة حياته اليومية، وهذا الهدف يمنح وجوده وموقعه في العالم مغزىً، وهذه الاهتمامات الجوهرية تجعل حياة الإنسان ذات قيمة وتحفظه من المشاعر السلبية[2]، والذي سبق أن سماه فروم إطاراً يقابل في رسالة الإسلام شريعته المحكمة التي نظمت حياة الإنسان بالصورة التي تحقق له جلب المصالح ودرء المفاسد كما يعبر عنها علماء الأصول، وأما الهدف والمرجعية الأيديولوجية التي تجيب أسئلته حول الوجود وتبني على الإجابات أهدافه اللازمة ليسير إلى الأمام، فهي ما جاءت به عقيدة الإسلام التي منحت الإنسان تصوراً واضحاً عن موقعه في الكون وأهدافه وعلاقاته، ومن ثمّ فإن المجتمعات الغربية والمعاصرة في حاجة ماسة إلى رسالة تحمل لها كل ما تحتاجه وما افتقرت إليه على مدى عصور من تاريخها، فقد أوصلها فقرها الروحي إلى التوجه إلى الديانات الآسيوية من بوذية ونحوها مما حملته أشكال العولمة المضادة التي غزت المجتمعات الصناعية.

*نموذج التجمعات الإقليمية لمواجهة التكتلات الدولية، فالولايات المتحدة مثلاً حريصة على إعطاء الأولوية في تعاملها إلى فضائها الجغرافي الأقرب، وكذلك حال دول أوروبا وروسيا، وكذلك سارت الحال في دول شرق وجنوب شرق آسيا، فقد نشأت تجمعات دلتا نهر بيرل (pearl) في الصين، كما نشأت تجمعات اقتصادية لدول متناغمة سياسياً كما في سنغافورة وتايون وغيرها من

[1] Abraham H Maslow." The unnoticed Society".ed by Dorothy wesby. Gibson. 1972. pp60-64 revolution in educational in adynamic في: الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، دار القلم، دبي، ط١، ٢٠٠٨، ص٥٨

[2] Fromm. E. the anatomy of human destructiveness. Newyork: holt Rinehart & Winston. Pp231-232 في: بيم ب ألان، نظريات الشخصية الارتقاء النمو التنوع، (ترجمة: علاء الدين كفافي، ومايسة النيال، وسهير سالم)، دار الفكر، عمان، ط١، ٢٠١٠، ص٣١٨-٣١٩

التجمعات التي أثبتت قدرتها على التكيف مع الضغوط الاقتصادية لنظام العولمة، وأثبتت قدرتها على تكوين قوة معارضة[1]، والمطلوب من دول العالم الثالث والدول العربية تعزيز قدرة الاقتصاديات العربية وغيرها من اقتصاديات الدول الإسلامية على التأقلم الإيجابي مع زيادة التنافسية في ظل عولمة الاقتصاد، ولا بدّ من تدارك الضعف البين في تفاعل اقتصاديات كل دولة على حدة، من خلال إيجاد تكتلات اقتصادية إقليمية لإحراز تأثير فاعل على التطورات الاقتصادية على الخريطة الاقتصادية لاقتصاد العولمة[2]

* التفاعل المبني على الاختراق المتبادل والانتشار العكسي بين الكوني والمحلي، فقد أكد رونالد روبرتسون أحد الكتاب البارزين في علم اجتماع العولمة أهمية المواجهة بين الكوني والمحلي، على اعتبار دور هذه العملية في تنمية عالم الثقافة التي تحملها العولمة، وقد يتم التفاعل من خلال التدفقات الثقافية أو من خلال تبادل التأثر والتأثير بين عناصر المجتمع المتلقية لثقافة العولمة: بدءاً بالذوات، فالمجتمعات القومية، فالنظام العالمي للمجتمعات، فالجنس البشري، حيث تتفاعل هذه العناصر جميعا بشكل مستمر ومتكرر، وقد يؤدي التفاعل الذي تحمله العولمة وفق ما يرى روبرتسون إلى تقارب أشكال الحياة، بحيث يتبادل كل من الكوني والمحلي التغلغل والاختراق لبعضهما إلى الدرجة التي يصبح فيها المفهوم الأكثر تعبيراً عن وصف حالة العولمة(glocalization) بدلاً من (globalization)، حيث تدلّ على إضفاء الطابع الكوني على ما هو محلي، وهذا التغلغل بين الكوني والمحلي يدلنا على صعوبة الفصل بين عناصر الثقافة الكونية والأخرى المحلية، ففي عصر العولمة تتكون الثقافة من مزيج من كليهما، فغالب المجتمعات المتلقية للكوني تفهمه وتعيد إنتاجه ضمن السياق المحلي لثقافتها، ولا تؤثر الثقافة الكونية أو العالمية في إعادة قولبة ثقافات الأفراد وحسب، بل إنها قد تؤثر في صياغة المؤسسات والمجتمعات القومية بأكملها، وكذلك قد تؤثر في إيجاد وجهات نظر كونية عامة، وخطابات معولمة، (وفي الإمكان الإفادة من هذه الميزة لثقافة الكوني والعالمي في تبليغ الرسالة الإسلامية التي تقوم على عالمية الخطاب ومراعاة خصوصيات الزمان والمكان)، وفي مجتمعات شرق آسيا تطورت الثقافة القومية والمجتمع القومي في إطار أيديولوجيا العولمة، كما في تطوير أساليب العمل والإنتاج اليابانية وتعميمها إلى الدول والثقافات الأخرى، وكما يشهد لذلك انتشار ثقافة العمل التجاري الآسيوية وأشكال تنظيم العمل وإدارة الشركات، وانتشار المنتجات والممارسات الثقافية الآسيوية كالطب الشعبي والعلاجات التقليدية والأطعمة وفنون القتال وبرامج التخسيس وبرامج الكمبيوتر والألعاب والفلسفات البوذية، الأمر الذي أثار منظري العولمة الغرب بالشكل الذي عبر عنه جواناثان فريدمان:" يشكل صعود الشرق من خلال العولمة تحدياً رئيسياً للهوية الثقافية

---

[1] الامبريالية الجديدة، ص٧٦

[2] عبد الباقي الهرماسي، العولمة والهوية الوطنية، كتاب: الإسلام والغرب صراع في زمن العولمة، ص٩٠، طه عبد العليم، في زمن العولمة هل يملك العرب رؤية استراتيجية، كتاب الإسلام والغرب صراع في زمن العولمة، ص٨٤

الغربية"، وقد رأى روبرتسون أن العلاقة بين الكوني والمحلي أو القومي في نظام العولمة تمضي في اتجاهين: اختراق العام للخاص، وتخصيص العام، ففي المثال السابق الذي يصف انتشار أساليب العمل والإنتاج اليابانية والآسيوية، حيث تمّ سبك وإنتاج ثقافة العمل التجاري وأشكال تنظيم العمل وإدارة الشركات، وأساليب العمل والإنتاج الآسيوية ضمن ما تلقته اليابان من مؤثرات عالمية خارجية، بمعنى أنه قد تمّ تخصيص العام قبل تعميم الخاص، وقد يعبر عن حالة اليابان وشرق آسيا بأن الرؤى الكونية تمّ تعديلها بحيث تتكيف حسب الظروف المحلية ومع الثقافات القومية[١] ، وقد عبر جيدنز عن ظاهرة التفاعل العكسي بين الثقافات القومية وثقافة العولمة بأنها ظاهرة استعمار مضاد، ظهرت مؤخراً في تأثير الدول غير الغربية على التطورات التي تحدث في الغرب، وأورد لذلك أمثلة منها: اكتساب مدينة لوس أنجلوس الطبيعة اللاتينية، وظهور قطاع تقني عالمي النزعة في الهند، وبيع برامج التلفزيون البرازيلية في البرتغال، وأشار إلى انه لا ينبغي لكل من الدول الغنية والدول الفقيرة على حد سواء أن تتخذ سياسة العزلة الاقتصادية لمواجهة التأثير المتزايد للعولمة الاقتصادية والثقافية، بل إنه يعد ذلك خطوة في الاتجاه المعاكس السلبي[٢].

ومن مظاهر تأثير الثقافات في واقع العولمة انصياع الشركات العالمية أمام تحدي الرأي العام الداعم للثقافة، وقد يصل الأمر إلى أن بعض هذه الشركات تتقاذفها تحولات الثقافة في الدول التي تعمل فيها، ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك أن (شل) التي تعدّ من شركات النفط الضخمة قد تنحت عن استخدام منصة بحرية مقابلة للساحل في برنت سبار، نتيجة الحملة التي نظمها أنصار البيئة بتغطية إعلامية هيجت الرأي العام، مما أثبت أن شل معرضة لضغوط العمل السياسي بقدر تعرض الدول الديمقراطية الضعيفة[٣]

وقد عبر جراي عن انفعال الثقافات القومية بتيار العولمة الثقافية وعبر عن رأيه في ذلك الانفعال والتأثر بأنه " بقدر ما تصبح الثقافات الوطنية في الأساس تعبيراً عن تفضيلات المستهلكين، فإن ثقافة الشركات تتخذ طابعاً كوزموبوليتانياً يزداد باستمرار "[٤]، وقد عبر كينتشي أوميا عن الأثر الذي قد يخلفه التقارب بين الثقافات على الدول، حيث يتوقع أن التقارب بين الثقافات والذي تدفع إليه السوق يسلم مؤسسة الدولة إلى الهامشية وفقدان السلطة في الحياة الاقتصادية، فيم أكّد جون نيسبت أن العولمة الاقتصادية وتضخم اقتصاد السوق العالمي سيؤديان حتماً إلى تفتت الدول القومية إلى أجزاء صغيرة، وعبر عن ذلك بقوله: نحن نتحرك إلى عالم مكون من ألف بلد، فالدولة القومية تتلاشى، ليس لأن الدول القومية يجري إدماجها في دول عظمى، ولكن لأنها تتفتت إلى أجزاء أصغر أكثر كفاءة شأن ما يحدث في الشركات الكبيرة"[٥]

---

[١] أنظر: بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ص١٣١-١٤١
[٢] أنظر: جيدنز، عالم جامح، ص٣٧-٣٨
[٣] الفجر الكاذب، ص١٠٦
[٤] الفجر الكاذب، ص٩٦
[٥] الفجر الكاذب، ص٩٧-٩٨

* تعزيز الدول موقعها وسلطتها في مقابل سلطة الشركات العابرة للقارات، والتي تمثل المعلم الأكثر قوة من معالم العولمة، فالذي يظهر من متابعة دور الشركات في السلطة والإدارة في ظل اقتصاد العولمة أنه مرتبط بشكل مباشر بارتباطاتها ببلد المنشأ، فغالبية الشركات متعددة الجنسية تحتفظ بجذور قوية لها في بلدان خاصة، وثقافات أعمال خاصة، فالشركات اليابانية مثلاً تعزف عن إقامة مواقع أو وظائف رئيسية كالبحث والتطوير، أو أجزاء الإنتاج ذات القيمة المضافة العالية (التي تطورت على مراحل) خارج حدود اليابان، وأما الشركات القليلة في العالم التي تتعامل على أنها شركات عالمية، فإنما يرجع ذلك إلى ثقافتها الأمريكية التي تطغى فيها الأرباح على التكاليف الاجتماعية والولاءات الوطنية[1]، وتعتمد الكثير من الشركات المتعددة الجنسية على سلطة الدول ذات السيادة لتحقيق وحفظ مصالحها، وقد تمارس الشركات متعددة الجنسية نفوذ الاقتصاد والمال للتأثير في سياسات الدول صاحبة السيادة والسلطة، من ذلك ظهور نفوذ الأثرياء والشركات في الديمقراطية الأمريكية، فقد خلص الكاتب غريغ بالاست في كتابه"أفضل ديمقراطية يستطيع المال شراؤها" إلى أن سلطة الشركات والممولين بدت بالغة التأثير في قرارات البيت الأبيض، كما بدا أثرها من خلال قيام الحملات الانتخابية لمرشحي الرئاسة على تمويل الشركات والأثرياء من أصحاب المصالح، من ذلك مثلاً أن الرئيس كلنتون وقبل نهاية فترته الرئاسية أصدر قراراً بإيقاف المضاربة في سوق كهرباء كاليفورنيا مما أضر بمصالح خمسة من الشركات المسيطرة، وقد بادرت هذه الشركات إلى تمويل الحملة الدعائية الانتخابية لجورج بوش الابن فدفعت ٤.١مليون دولار، وبعد ثلاثة أيام من تولى بوش الرئاسة ألغى القرار وأعاد الحال إلى ما كان عليه لمصلحة تلك الشركات[2]، وقد وصف جراي هذه العلاقة بين السياسة والاقتصاد بقوله:" وتظل الدول ذات السيادة هي الساحة الرئيسية للشركات الساعية إلى النفوذ، وتمارس الشركات متعددة الجنسية هذا النفوذ على سياسات تلك الدول، كما تستخدم براعتها في التخلص من تشريعاتها، وذلك هو التفاعل المعتاد بين الدول ذات السيادة ودوائر الأعمال في القرن العشرين" ثمّ إن جراي يخلص من استقرائه هذا الواقع إلى نتيجة يلخصها بقوله:" وبما أن الشركات متعددة الجنسية تنفق موارد كبيرة للتأثير في سياسات الحكومات فإن ذلك يؤيد وجهة النظر القائلة بأن الدولة ذات السيادة لم تصبح مؤسسة لا لزوم لها، ففي غالبية أرجاء العالم تعد مؤسسات الدولة منطقة حاسمة استراتيجياً تجري حولها مزاولة المنافسة بين الشركات"[3]، ثمّ إنه يتابع في موقع آخر وصف الدور الذي تزاوله الدولة فيقول:"وللدول ذات السيادة فضلاً عن ذلك وظيفة أخرى وهي السيطرة على الموارد الطبيعية

---

[1] الفجر الكاذب، ص٩٨

[2] أنظر: غريق بالاست، أفضل ديمقراطية يمكن للمال شراؤها،(ترجمة مركز التعريب والبرمجة)،الدار العربية للعلوم، بيروت، ص٩٤-٩٧

[3] الفجر الكاذب، ص١٠٠

اللازمة للنمو الاقتصادي، ففي وسط آسيا وشرقها ما زال الصراع للسيطرة على النفط اليوم مصدراً للتنافسات الدبلوماسية بقدر ما كان في القرن التاسع عشر"[1]

* توظيف تبادل المعرفة وامتلاك قوة المعلومة في التفاعل مع العولمة، فقد شهد النمو المذهل لاقتصاديات عدد من دول شرق وجنوب شرق آسيا (كما في الصين والهند المرشحتين لأن تكونا القوى الاقتصادية العظمى في القرن الحادي والعشرين، وكما في بعض دول أمريكا اللاتينية التي بدأت بتوظيف واستغلال تكنولوجيا العولمة للتفاعل مع العولمة والرد على الأمركة التي تحملها)، استطاعة هذه الدول أن تستوعب تكنولوجيات جديدة وتختصر عدد من المراحل التي مرت بها دول الشمال(بريطانيا وأمريكا وأوروبا الغربية) في طريقها إلى النمو الاقتصادي والسيطرة، لذلك فبينما استغرقت بريطانيا ما لا يقل عن مائة عام لتصل إلى تحقيق نهضتها الصناعية، اختصرت عدد من الأنظمة الآسيوية هذا المدى الزمني إلى عشرين أو ثلاثين سنة، وأما الأثر الذي تحدثه النهضة الاقتصادية في الثقافة فهو بيّن شهد به هانتنغتون حين قال :"إن انهيار القوة الغربية سيتبعه انسحاب الثقافة الغربية، وقد بدأ ذلك، وستؤدي زيادة القوة الاقتصادية سريعاً في دول شرق آسيا إلى زيادة قوتها العسكرية ونفوذها السياسي، وتأكيدها لهويتها الثقافية كما يقول كيشوري محبوباني،...، لقد ولدت النجاحات الاقتصادية ثقة أكبر بالنفس من الناحية الثقافية، وأياً كانت خلافاتها الثقافية فإن دول شرق وجنوب شرق آسيا يتزايد وعيها بحضاراتها الخاصة بها، وتنزع إلى عزو مصادر نجاحها الاقتصادي إلى مؤسساتها وتقاليدها المتميزة"[2] ، ويؤكد جون جراي خطورة قوة المعلومة في عصر العولمة، وأهميتها في تحقيق القدرة على المنافسة التي يتطلبها واقع العولمة فيقول:" وكما لا يكف أصحاب نظريات الإدارة أبداً عن تذكيرنا، فإن الدول القومية والشركات متعددة الجنسية لا تستطيع اليوم أن تعيش وتزدهر إلا عن طريق استخدام تكنولوجيا جديدة لتحقيق ميزة لها على منافسيها، وما يعجز غالبيتهم عن ملاحظته هو أن الميزة التنافسية تتلاشى سريعاً وبصورة حتمية في البيئة الفوضوية للرأسمالية العالمية المضطربة، ففي أواخر القرن العشرين لا يوجد ملاذ للشركات أو الحكومات من الإعصار العالمي للتدمير الإبداعي، ذلك أن الميزة الحاسمة التي تحققها شركة متعددة الجنسية على منافسيها، إنما تأتي في نهاية الأمر من قدرتها على توليد تكنولوجيات جديدة وعلى نشر هذه التكنولوجيات بطريقة فعالة ومريحة، وهذا بدوره يعتمد بدرجة كبيرة على الطرق التي تتمكن بها هذه الشركات من حفظ المعرفة وتوليدها"[3]

* التدخل لضبط مؤثرات العولمة والحد من فاعليتها، بحيث يجري ذلك التدخل لصالح الثقافات القومية والمحلية، وقد بدأت الدول الأوروبية حملتها لمواجهة ثقافة العولمة الأمريكية في مرحلة مبكرة منذ أواخر القرن العشرين، من ذلك الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الفرنسية والحكومة

---

[1] الفجر الكاذب، ص١٠٨

[2] أنظر: بول هوبر، نحو فهم للعولمة الثقافية، ص١٣٦، هانتنغتون، إن لم تكن حضارة فماذا تكون، ضمن كتاب: الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص٨٣

[3] الفجر الكاذب، ص١٠٧

الكندية في مواجهة المضامين الثقافة التي حملتها السينما والإعلام الأمريكي، فقد حددت كل منهما حصة الثقافة الأمريكية في الميديا المحلية، كما عمدت الحكومات المتوالية في سنغافورة إلى اتخاذ إجراءات سلطوية لحماية ما تعتبره قيمها وثقافتها القومية[1]، وأما السلطات الإيرانية فقد أعلنت قلقها حيال التدفقات الثقافية التي ترسلها الأقليات الإيرانية التي تعيش في الخارج،إذ إنها لا تملك على مثل هذه الجماعات سلطة سياسية أو إقليمية، وقد عملت على معالجة الحالة أو الحد منها باتخاذها إجراء بتقييد سرعات الإنترنت عام ٢٠٠٦، وتخفيضها إلى الحد الذي يصعب معه تحميل البرامج الأجنبية[2]، وقد صرح جيدنز بدور المؤثرات الثقافية الغربية في سقوط الاتحاد السوفياتي في الوقت الذي لم تتمكن فيه السلطات من السيطرة أومنع مواطنيها من استقبال البث الإعلامي والإذاعي الغربيين،" فلعب التلفزيون دوراً مباشراً في ثورات ١٩٨٩ التي وصفت بحق بأنها ثورات التلفاز، كانت المظاهرات تحدث في أحد البلدان وتشاهد في البلدان الأخرى، فيخرج المشاهدون إلى الشارع في ثورة عارمة"[3]

المطلب الرابع: نماذج لثقافات معاصرة تفاعلت مع العولمة

إن الرفض المطلق وسيلة الثقافات الضعيفة والهشة والمحدودة الانتشار، وقد لا يعدّ مجدياً إلا في الحال الذي يستمر معه وجود الحدود القوميّة، ولا قيمه له بعد سقوط الأسوار، ومن ثمّ فإن الانكفاء بات لا يعني النجاة ولا يعني تحقيق المناعة والحماية[4] ،ذلك أن ظاهرة العولمة قد حققت في واقعها الحالي ثلاثاً من إنجازاتها، يتعلق أولها بانتشار المعلومات وصيرورتها مشاعاً عند عامة المجتمعات، وثانيها تحقق من خلال تذويب الحدود بين الدول، وفي ثالثها ازدادت معدلات التشابه بين الجماعات الإنسانيّة والمجتمعات والمؤسسات [5]

وبالنظر إلى ما يمكن أن تتعامل به المجتمعات مع ثقافة العولمة نجدها إزاء ثلاثة خيارات ، أولها الرفض والمواجهة وقد تبيّن مما سبق أن هذا ليس حلّاً مثاليّاً للتفاعل مع ظاهرة هذه إمكاناتها ، والثاني الخضوع والتلقي السلبي وهذا خيار ضعيف يؤدي بالأمم إلى الاستلاب الحضاري، حيث تجد الثقافات المحلية نفسها بإزاء اجتياح ثقافي يهدد خصوصيّتها وهويّتها، وأما الاحتمال الأخير المتمثل في إمكانيّة المشاركة حيث تخرج المجتمعات من قوقعتها الذاتيّة لتشارك في عملية التطور اليوميّة المتسارعة ، وحتى تكون مشاركتها جديرة بالاعتبار فلا بدّ أن يكون لدى تلك المجتمعات ما تورده وتبثه إلى غيرها.

---

[1] أنظر: نحو فهم للعولمة الثقافية، ص١٦٦، ص١٧٢

[2] أنظر: نحو فهم للعولمة الثقافية، ص١٩٨

[3] عالم جامح، ص٣٤

[4] بركات مراد ، ظاهرة العولمة: رؤية نقدية، ص٤٩

[5] حسن محمد حسان، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، ص١٢٠-١٢١ حسن محمد حسان، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، ص١٢٠-١٢١

تبين مما سبق أن ثمة اتجاهات معاكسة بدأت تظهر لعبور الثقافات فيما يصفه حيدنز بالاستعمار المضاد، ممتطية للعبور وسائل العولمة وتقنياتها، فبدأت الكثير من معالم الثقافة الشرقيّة ترتاد البلدان والشعوب الغربية ، ومن ذلك كما تبين شيوع نمط المطبخ الصيني والهندي والمكسيكي وأشكال المطابخ الآسيويّة في دول الشمال الأوروبية، وعناصر أخرى من الثقافة الشرقيّة مثل الموسيقى والألعاب والتقاليد الدينيّة الشرقيّة التي نفذت إلى العالم الغربي، وقد وصلت هذه الموجة المضادة إلى غزو الفضاء الاقتصادي لدول الشمال ، من خلال ظهور مفهوم الشركة اليابانيّة وشعبيّتها الواسعة في أمريكا الشماليّة وأوروبا الغربية، حتى صار منافساً للنمط الغربي من الشركات، وبهذا لا يخفى أن هناك فرصاً حقيقيّة للتأثير العكسي أو المتبادل ، فقد أصبحت قطاعات متزايدة الاتساع في المجتمعات الغربيّة تقبل على تذوّق الثقافات غير الغربيّة وتحترم حقها في التعبير الحر عن نفسها[1].

وقد ظهر التأثير الثقافي المتبادل بين الكوني والمحلي على مستوى الأفراد والمؤسسات وعلى مستوى المدن، فمنذ مارس ١٩٩٦ صارت العاصمة الماليزية كوالالمبور هي المدينة التي تتربع على كتفيها أعلى ناطحة سحاب في العالم، كما لم تعد الآن برلين المدينة التي يعلو سطوحها أكبر عدد من الآلات الرافعة إنما هي بكين، وشنغهاي، فهناك بين الباكستان واليابان اثناعشر منطقة من المناطق المتنامية الازدهار، تتحرك بإلحاح لتكون القوى الجديدة على مسرح المنافسة العالمي، ... فبانكوك تريد أن تحل محل ديترويت كمدينة لصناعة السيارات، والشركات اليابانية لإنتاج السيارات تيوتا وهونداي وميتسوبيشي قد صارت تنتج سياراتها منذ أمد طويل في تايلاند، ... وتنتج بومباي بدورها ما يقرب من ٨٠٠ فيلم سنوياً، أي إنها تنتج أربعة أضعاف ما تنتجه هوليود"[2]

وعند النظر في إستراتيجية عدد من الدول الشرقيّة والغربيّة في تفاعلها مع الثقافات الوافدة يساعدنا اعتراف (دايفد دوشكوييف) في دراسته في مديح الإمبرياليّة الثقافيّة ، والتي ترجمها أحمد خضر والذي كان نصه أن فرنسا وكندا أصدرت كل منها قوانين تحظر نشر ونقل المواد الأمريكية ، وأعلنت مثل هذا الحظر كل من إيران والصين وسنغافورة .

ومن أمثلة الثقافات التي أثبتت مناعتها في إزاء العولمة، الثقافة الصينيّة التي عملت على إيجاد درع مضاد من خلال تربيتها، حيث عملت عولمة التربية فيها على اقتحام ميادين العلم والتكنولوجيا على مستوى العالم، ففي عام ٢٠٠٠ عقدت الجمعيّة الصينيّة للعلوم والتكنولوجيا مؤتمراً في شهر سبتمبر حضره أربعة آلاف عالم صيني قررت فيه دخول الصين ميادين العلوم

---

[1] سعيد، محمد السيد، العرب والعولمة: تقليص المخاطر وتعظيم الفرص، جريدة الأهرام العدد ٤١٥٤٠ تاريخ ٣٠/٨/٢٠٠٠ سعيد، محمد السيد، العرب والعولمة: تقليص المخاطر وتعظيم الفرص، جريدة الأهرام العدد ٤١٥٤٠ تاريخ ٣٠/٨/٢٠٠٠

[2] فخ العولمة، ص٥٥-٥٦

والتكنولوجيا، في جميع ميادين التكنولوجيا، معلنة أن هدفها دخول أسواق العالم وتغطية حاجات الجنس البشري من الكثير من الصناعات [1]

ووفقاً لاعتراف هانتنغتون فقد قبلت قيادات المجتمعات الآسيوية التحديث مع رفضها الطابع الغربي الذي حملته الحداثة، وقد لخص هذا المبدأ (تي يونغ) في الصين بقوله:" التعلم الصيني من أجل المبادئ الجوهرية، والتعلم الغربي لغاية عملية"، وعبر (يوسي ووكين) عن استراتيجية اليابان في التفاعل بقوله: الروح اليابانية والأساليب التقنية الغربية"[2]

وأما المظهر الثاني الذي تفاعلت من خلاله الصين فتمثل في تأكيدها دور الجامعات في مواجهة تأثير العولمة في أصالة التراث والثقافة الصينيّة، ومن إجراءات تحقيق ذلك دعوة البروفسور (zuhu bing) زوهو بنج في مجلس الأمة الصيني إلى إصدار تشريعات لحماية التراث الصيني، كذلك تعمل الصين على تشجيع دور الجامعات لتصبح مراكز لتدريب وإخراج الملايين اللازمة من العلماء، وأما المظهر الثالث الذي واجهت به الصين العولمة فتمثل في تكثيف بعوث الدارسين إلى الخارج والعمل على توظيفهم، ضمن سياستها لتشجيع الدارسين في الخارج على خدمة الوطن الأم[3] ، ففي دراسة أجرتها اليونسكو عام ٢٠٠٠ تبيّن أن هناك ٣٨٠ ألف طالب صيني يدرسون في مائة وثلاثين من أقطار العالم، ويشكلون ١٠% من الطلاب الأجانب في الولايات المتحدة، وأنهم إضافة إلى دراستهم يقومون بدراسة ثقافات ومجتمعات الدول التي يتعلمون فيها والتعرف إلى حاجات أسواقها ومقدراتها الاقتصاديّة، لتخطيط الاقتصاد الصيني بما يكفل التفوق الصيني في التجارة العالميّة، وكذلك تستقدم الجامعات عدداً من الأساتذة غير الصينيين وتنظيم البرامج التعليميّة، بشكل عالمي يمد الطالب في تخصصات الإدارة العامة والأعمال وإتقان المهارات التي تساعده على التعايش مع مختلف ثقافات العالم بطريقة إيجابيّة، وقد لخّص البرفسور (xu zhiouug) بهونج رسالة الجامعات الصينيّة في أنها تسعى إلى احتلال مراكز كبرى بين جامعات العالم في اقتصاد العولمة، وتوفير العلوم الضروريّة والتكنولوجيا والقوى البشريّة اللازمة لمسابقة التطور المتسارع في العولمة، وعليها التخطيط للتفوّق في المعرفة وتكنولوجيا المعلومات وتوظيفها[4]

وأما اليابان فقد أعلنت مواجهة صريحة مع قوى العولمة واندفاعاتها ، تمثلت ابتداء فيما صرّح به فلاسفتها وعلماؤها، وأثمرت في تطوير نظامها التربوي لمواجهة متطلبات العولمة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة داخل البلاد وخارجها .

---

[1] ماجد الكيلاني التربية والعولمة ،ص٦١

[2] هانتنغتون، الغرب فريد وليس عالمياً، ضمن كتاب: الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص١٦٣-١٦٤

[3] ماجد الكيلاني ،التربية والعولمة ، ص ٦٢-٦٤

[4] ماجد الكيلاني، التربية والعولمة ، ص٦٥

ففـي طـور التفاعـل الأول عبّـر بعـض الفلاسـفة اليابـانيّون عـن الثقافـة الغربيّـة باعتبـار مجتمعاتها قراصنة بحار، ومافيا مسلحة بالوسائل والأدوات التي تجعلها تتفوق، يقول ساكوما شوزان (sakuma shozan) وحتى تخضع البرابرة ليس هناك أفضل من معرفة لغاتهم ومما عبّر به أيضاً " العولمة خطر ينبغي مواجهته" وقد بنوا على هذا قاعدة "العلوم الغربية +الأخلاق الشرقيّة " والمقصود بالأخلاق الشرقيّة تراث الكونفوشيوسية المؤكد لدور الأسرة وأهميتها في تجسيد القيم، وقد تجسدت هذه المبادئ في النظام التعليمي تحت قاعدة " الروح اليابانيّة+المهارات الغربية والعلوم الغربية+الأخلاق الشرقيّة" وقد أثرت فلسفة هذا النظام على الساعين لإصلاح التعليم في الولايات المتحدة [١]

وقد عبّرت (لويس جيرستتر)عن ذلك بقولها : إن اليابان الذين يفاخرون بامتلاك نظام تربوي عالمي ليقولون لكتاب التحقيقات الإعلاميّة بأن لديهم أحسن ما في العالم، وأن لديهم تربية جماعيّة منظمة وأنهم يقدمون التعليم لكل إنسان، وفي عام ١٩٨٣ عملت إدارة التعليم في اليابان على تجسيد التكامل بين القيم الأخلاقيّة اليابانيّة ومهارات العمل المطلوبة، وقد عكس تقرير ١٩٨٤ الصادر عن مجلس التربية والتعليم للتطوير الاقتصادي ، الهدف الاقتصادي السابق، حيث ذكر أن البيئة العالميّة تتطلب تنمية الموارد البشريّة، وإخراج الإنسان الياباني المثالي الذي يمجد قيمه الأخلاقيّة في العمل[٢]

وقد شابهت سنغافورة في نظامها التعليمي في عهد الاستقلال ما قام عليه النظام التعليمي الياباني، حيث سعت إلى بلورة الانتماء الآسيوي وتأكيد الهويّة السنغافوريّة، فقد أكد رئيس وزرائها في المؤتمر التربوي السابع الذي عقد في ١٩٩٧/٦/٢ ذلك بقوله: يجب أن تقوم وحدة الأمة على أصلين تربويين

الأول: الوعي بتاريخ سنغافورة ودراسته دراسة تبرز أهميّة التعاون بين مختلف قطاعات المواطنين ووحدتهم حيث عبّر أن الجهل بتاريخنا سوف يمنع نمو مشاعرنا الوطنيّة التي تعني أهميّة وحدة الأمة[٣].

والأصل الثاني هو تنمية الالتزام بالمبادئ والقيم الأخلاقيّة للديانة الكونفوشيّة التي يعتنقها ٧٧% من السكان، وفي جانب آخر إن فالنظام التعليمي لتلك البلاد يشجع العناية بالمعرفة العلميّة والمعلومات التقنية، وتوفير مقررات دراسية قائمة على السيطرة على التكنولوجيا، كما عبر رئيس وزرائها (لي هش لونج)، وأهميّة تنمية الفكر الإبداعي والتعلم الذاتي والوعي بالتأثيرات العالميّة من وسائل التقنيات المختلفة على النظام التعليمي[٤]

---

[١] أنظر: ماجد الكيلاني ، التربية والعولمة، ص٥٥-٧٥

[٢] أنظر: ماجد الكيلاني، التربية والعولمة، ص٨٥-٩٥

[٣] www.moe.edu.59L.ee Hussein long.minisry of education,singapor.http://

[٤] ماجد الكيلاني التربية والعولمة ص٧٣-٧٦

إن المنهجيّة التي تفاعلت بها هذه الثقافات جميعاً مع العولمة تتفق في تحقيقها" تزاوج ودمج عضوي وثيق بين التقدم العلمي والتكنولوجي، وبين الثقافة القوميّة والقيم الذاتيّة [1]،وذلك بجعلها قيم التراث متحركة حيّة وإلباسها اللبوس الذي يستلزمه التقدم العلمي، فقد عملت هذه المجتمعات على إحياء وتجديد ماضيها الثقافي، بتوليدها ثقافة تستوعب العلم والتكنولوجيا اللذين هما العناصر المغذية والمحركة للثقافة، وقد فعلت هذه الدول مبادئها وأسسها الفلسفية بإدخالها إلى النظم التربوية التعديلات التي يجري في إطارها تحقيق التنمية البشرية، والتي تعد درعاً للتنمية الاقتصادية في عصر العولمة.

وقد وصف هانتنغتون ما وصلت إليه حضارات شرق آسيا وجنوبها فقال:" لقد انخفضت بصورة كبيرة وسائل الغرب في التأثير في شرق آسيا وجنوبها الشرقي، وتقل كثيراً ضمانات وضع شروط وعقوبات لفرض الالتزام بحقوق الإنسان،....، لقد ولدت النجاحات الاقتصادية ثقة أكبر بالنفس من الناحية الثقافية، وأياً كانت خلافاتها الثقافية فإن دول شرق وجنوب شرق آسيا يتزايد وعيها بحضاراتها الخاصة بها، وتنزع إلى عزو مصادر نجاحها الاقتصادي إلى تقاليدها ومؤسساتها المتميزة، إن النغمة التي يسودها الرضا عن النفس المفرطة في التبسط والمنافقة التي يتسم بها قدر كبير من التعليقات الغربية على نهاية الحرب الباردة والإحساس الحالي بانتصار القيم الغربية، تثير غيظ أهل شرق وجنوب شرق آسيا"[2].

وعلى صعيد التخطيط الاقتصادي استطاع فرناندو دي سوتو في كتابه" الطريق الآخر الثورة الخفية في العالم الثالث" أن ينقد اقتصاد البيرو من الإفلاس بعد التضخم الذي أصابه،ذلك أنه وضع استراتيجية الطريق الثالث بناءً على ظروف ومجتمعات دول الجنوب، فقد ولدت دول شرق وجنوب آسيا استراتيجية اقتصادية مستهجنة على نحو بين، حيث أفادت من اقتصاد السوق الحرة، وطبقت العديد من المبادىء والقيم الآسيوية التي استمدتها من موروثها وثقافتها.

وقد يرفض البعض أمثال فوكوياما فكرة أن تكون النجاحات الاقتصادية التي حققتها الدول الآسيوية ناتجة عن الشراكة العضوية التي ولدتها بين ثقافتها وبين تكنولوجيا المعرفة والاقتصاد الرأسمالي، بل إنه يعزز بالنتائج التي توصلت إليها هذه البلدان أولية النظام الرأسمالي واعتباره نهاية التاريخ، فهو يرى أن التجربة الآسيوية أثبتت أن البلدان التي جرى تحديثها في وقت متأخر لا بدّ أن تتمتع بامتيازات تفوق تلك التي حصلت عليها الدول الرأسمالية الأولى، فقد استطاعت شراء التكنولوجيات الأكثر حداثة من أوروبا والولايات المتحدة، ولأنها لم تصل إلى الحداثة وهي مثقلة ببنية تحتية هرمة وغير فعالة، بل جاءت بنيتها حديثة حداثة النهضة الصناعية التي تشهدها، وبالتالي فقد صارت خلال جيل أو جيلين الأقدر على المنافسة حتى في المجالات الأكثر تعقيداً،

---

[1] الكفري، مصطفى العبد الله، العولمة الهاجس الطاغي في المجتمعات المعاصرة، الحوار المتمدن(العدد ٥٤٨،٣/٧/٢٠٠٣ www.ahewar.org/debat/show.

[2] إن لم تكن حضارة فماذا تكون، كتاب الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص٨٣

كما إن الشركات الغربية متعددة الجنسية ترافق استغلالها لليد العاملة الرخيصة في آسيا مع منحها وتقديمها لتلك البلدان الأسواق ورؤوس الأموال والتكنولوجيا، ويدعي فوكوياما أن هذا كله مما تنبأت به كتب الاقتصاد الليبرالي[1].

ومع كل ما سبق إلا أن فوكوياما يعترف بأن النجاح الاقتصادي لم يحدث على حساب العدالة الاجتماعية، بل إن عملية إعادة توزيع المداخيل عملت على الحد من التباين الذي أحدثته فلسفة الخمس والأربعة أخماس التي يحملها الاقتصاد الصناعي الليبرالي، كما إن نمو الاقتصاديات المحلية وفقاً للنظام الرأسمالي كان مشروطا، وقد صرح فوكوياما بمقولة أحد كبار الموظفين في سنغافورة والذي أعلن أن بلاده لن تكون على استعداد لأن تتحمل مساوئ النظام الليبرالي الملازمة للاقتصاد الرأسمالي والمتمثلة في ثلاث: الهيبيون، والشباب ذوي الشعر الطويل، وانتقادات الشركات متعددة الجنسية"[2]، وفي هذا اعتراف واضح بأن الرأسمالية الآسيوية أفادت من الرأسمالية العالمية والنظام الاقتصادي الحر بصورة مشروطة، فأخذته بتهجين وتكييف له مع ثقافتها المحلية، يظهر ذلك من إعلانها رفض معالم الثقافة الغربية التي ترافقه والتي أشار إليها فوكوياما.

وعلى الرغم من الاختلافات البينة بين الأنظمة الاقتصادية التي اتبعتها بلدان النمور الآسيوية، إلا أن هذه الدول اشتركت في عدد من المبادىء التي طبقتها في التعامل مع اقتصاد السوق الحرة التي حملتها العولمة، ومن أبرز ما يمكن إيجازه من تلك المبادىء التي يمكن اعتبارها خطىً للتنمية الاقتصادية في البلدان الآسيوية(اليابان، كوريا، ماليزيا، سنغافورة، وتبعتها في بعض المبادىء لا كلها الصين وتايوان) [3]:

- طورت خطط التنمية الاقتصادية بحيث تحقق هدفاً مشتركاً يبقي الحكومات صاحبة السيادة في اقتصادها الوطني، وتضمن أن يعمل كل من الرأسمال الأجنبي والوطني على تنفيذ الأهداف التي تقررها السلطة السياسية، وقد جعلت الاستراتيجية العامة لهذه الخطط قائمة على مجموعة من الأساليب التي تتيح فرصة توجيه عملية التنمية.
- أن يتبع الانفتاح الاقتصادي سياسة المصلحة القومية، فالضرائب الجمركية المرتفعة والتعليمات الإدارية التي تنظم النواحي الفنية توضع بحيث تشكل عقبة تعيق الاستيراد في جميع القطاعات الاقتصادية التي يرى المخططون أن المصانع الوطنية لا تكون فيها من الكفاءة والقدرة بحيث تقوى على المنافسة الدولية.

---

[1] أنظر: فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، (ترجمة: فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الشايبي)، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٣، ص١١٧-١١٨

[2] نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص١١٨

[3] أنظر: فخ العولمة، ص٢٥٩-٢٦٤، الفجر الكاذب، ص٢٣٦-٢٤٦، ٢٥٦-٢٦٢

- دعم الصناعات الوطنية المبتدئة أو تلك التي تكون في طور نموها من خلال وضع استراتيجية توجه أسعار صرف العملات الأجنبية بما يخدم التصدير، وقد قامت الدول الآسيوية باتباع النهج الياباني في هذه الخطوة، حيث تسعى مصارفها المركزية إلى أن تبقي على سعر صرف العملة الوطنية منخفضاً، وذلك من خلال بيعها العملات الأجنبية بسعر الصرف المناسب للتصدير، وإن كان سعر صرف العملة الوطنية لا يعبر تعبيراً صحيحاً عن قوتها الشرائية، وهذا ما يفسر كيف يمكن أن يكون متوسط الأجور في جنوب شرق آسيا مقيساً بسعر الصرف للعملات المحلية يساوي ٤٠/١ من متوسط الأجور في البلدان الغربية، فيم تكون القوة الشرائية لمتوسط الأجور نفسه ٨/١ من القيمة الشرائية لمتوسط الأجور في أوروبا، وهذا يعطي العمالة المحلية فرصة كبيرة للمنافسة في سياق اقتصاد العولمة، وإن كانت القوة الشرائية ومتوسط الدخل ليسا بالانخفاض الذي يعبر عنه سعر صرف العملات المحلية.
- يشارك مهندسو التنمية الاقتصادية في جنوب وشرق آسيا في توجيه تدفقات رأس المال، كما يضعون الشروط التي تضبط الاستثمارات التي تقوم بها الشركات متعددة الجنسية، فماليزيا اشترطت على الشركات وتدفقات رؤوس الأموال الأجنبية أن تشارك شركاتها الوطنية في فروع الشركات العابرة لحدودها، حرصاً منها على تلقي عدد متزايد من العمالة الوطنية للخبرات والمعارف الضرورية للسوق العالمية.
- تنفق دول آسيا حصة عالية من ميزانية الدولة في سبيل خلق نظام تعليمي جيد وقادر على رفع المؤهلات العامة للأيدي العاملة ولمواطنيها، كما تعقد الاتفاقيات للحصول على براءات الاختراع لتضمن نقل التكنولوجيا والإفادة من قوة المعلومة في مهد صدورها، وذلك لتحقق السبق في تطوير كفاءاتها في التنمية الاقتصادية والبشرية.
- تقوم الاستراتيجية العامة لرأسماليات جنوب وشرق آسيا على دعم دور الدولة في التنمية الاقتصادية، بينما تقوم استراتيجية السوق الحرة لاقتصاد العولمة على فلسفة دعه يعمل دعه يمر التي تحد من سلطات الدولة وتهمشها في جانب القرارات الاقتصادية، وقد استجابت مؤسسات العولمة لكلا الاستراتيجيتين بحيث إن المؤسسات العالمية التي رفضت جميع أشكال التدخل الحكومي في سياساتها الاقتصادية في بلدان الولايات المتحدة وألمانيا وأوروبا الغربية، تخضع استثماراتها التي تتجاوز المليارات والتي تشغلها في

البلدان الآسيوية للشروط التي تضعها الحكومات ومهندسوا التنمية لديها والذين يصفون عملهم بالتخطيط الاقتصادي المركزي، ففي جميع هذه الدول تنسي الأرباح المتأتية بالملايين سياسة حرية التجارة والاقتصاد ونحوها من معايير النظام الرأسمالي الليبرالي.

- اكتسبت اليابان وتبعتها في ذلك عدد من دول آسيا معالم الحداثة الغربية، واستوعبت التكنولوجيات الجديدة دون أن تذيب هياكلها الاجتماعية أو موروثاتها الثقافية، يشهد على ذلك نظام الثقة والترابط والعمل الجماعي الذي تقوم عليه المؤسسات، فمؤسسات السوق اليابانية تعتمد في معاملاتها مع موظفيها ومع بقية المجتمع على نظام من الثقة، وليس على ثقافة العقود، كما إن علاقاتها مع مؤسسات الدولة علاقات وثيقة ومستمرة، فالحياة الاقتصادية وفقاً للرأسمالية الآسيوية ليست حياة فردية، ولا تقوم على الفردانية والتنافس الذاتي، وإنما قام التحديث على استعارات انتقائية من النظم الاقتصادية الغربية بالقدر الذي تحقق فيه المصالح والتطور دون أن تتعارض مع القيم االاجتماعية والموروث الثقافي، ومن ذلك مثلاً استعارة: نظم التقويم، نظام البنوك، توسيع التعليم، وضع قانون للنظام التجاري، لكن أياً من عمليات التكييف هذه ترتب عليها مساس بالهياكل الاجتماعية والموروثات الثقافية، حتى إن الشركات التجارية والمنشآت الصناعية والمؤسسات الاقتصادية ترتبط جميعاً مع بعضها بشبكة من العلاقات القوية التي تدعم بعضها البعض، نظيراً لشبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمعات الآسيوية المتماسكة، ومن أبرز ما يعبر عن هذه العلاقات المجموعات الاقتصادية الخاضعة للسيطرة العائلية مجموعات الزيباتسو، والتي وصفها البعض بأنها منشآت اقتصادية نادرة الوجود؛ لأنها تربط بين المنشآت الصناعية التجارية والمالية بخصلة خيوط سميكة ومعقدة من العلاقات.
- " كان صانعوا السياسات الاقتصادية يرفضون ضمنياً في بادىء الأمر ثمّ صراحة في أوقات أخرى الرأي القائل بأن التحديث يعني التقارب مع المؤسسات والقيم الغربية، وكما يذكر واسوو فقد أوضحوا رفضهم لما يسمى فرضية التقارب التي مؤداها أن هناك منطقاً عاماً للتصنيع، وأن العلاقات الاجتماعية التي وجدت في الدول الأولى التي أخذت بالتصنيع : الفردية وسوق العمل الحرة وهلم جراً، لا بدّ أن تنشأ في كل مكان آخر،.........وقد عبر بول كينيدي عن ذلك بقوله:" إن اليابان كان يتعين تحديثها، لا لأن

المنظمين الأفراد كانوا يرغبون في ذلك، بل لأن الدولة كانت تحتاج إليه، ... وكان الدعم الحكومي يستخدم لصالح المصدرين ولتشجيع النقل البحري ولإقامة بناء جديد للصناعة، وخلف ذلك كله كان يكمن الالتزام السياسي الرائع بتحقيق الشعار القومي: دولة غنية ذات جيش قوي"[١]

المطلب الخامس: تحدي العولمة والمجتمعات المسلمة

إن تاريخ العلاقات بين الحضارتين الإسلامية والغربية عرف فترات حوار وتفاعل، وعصوراً من التضاد والتحارب، وكما يقول المارشال بيجو (Bugeaud) فإن الغزو الحديث للحضارة الإسلامية قد تمّ بالمحراث وبالسيف، أو بالمدفع والنهب الاقتصادي، ثمّ تلا ذلك الغزو الفكري الذي ارتكز على ثالوث الاستعمار والتنصير والاستشراق"[٢]

وعلى نطاق الإطار النظري يتبين من الطرح السابق لقيم الأصولية _وفق رؤية منظري العولمة _ ولقيم العولمة التي تقابلها، أن بين قيم العولمة وقيم الإسلام رفض متبادل، ففي حين تحكم قيم الحداثة والعولمة على العديد من قيم الإسلام باعتبارها من الأصولية الدينية، يحكم الإسلام بالرفض على المظاهر السلوكية التي تجسدها قيم العولمة، والتي تحملها ثقافة ما بعد الحداثة عبر وسائط العولمة، ومن أبرز القيم التي جسدت هذه الثقافة قيم الاستهلاك، وتضخيم السعي لتحصيل المتع وللترفيه المادي، ومثل هذه القيم ليس لها قبول أو استحسان في الثقافة الإسلامية، فقد ورد النهي عنها في المصادر الشرعية من نصوص القرآن والسنة كما في قول الله تعالى: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)[٣]، وقوله تعالى في الإنفاق في المتع غير المباحة: (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين)[٤]، وجاء بيانها وشرحها ضمن فكر علماء المسلمين، فقد نهى الغزالي، عن تعويد الطفل على التنعّم والتركيز على الملذات[٥]، وقد جعل من علل ذلك، أن هذه العادة تصبح هدفاً في المستقبل، فيمضي عمره ساعياً لأجلها، وهذا مما يتنافى مع مهمته الحقيقية، كما يتنافى مع مفهوم الذات المسلمة التي خلقها الله لعبادته ولعمارة الأرض[٦]، وقد بيّن رسول الله خطورة السعي إلى بلوغ السعادة بالبذخ والإنفاق، لأن ذلك لا يوصل الإنسان إلى الإشباع بل إلى تفاقم رغباته وتضخمها بحيث يصير تابعاً لها_وهذا ما أثبتته نظرية ما بعد الحداثة ذلك أن التمادي في البحث عن المتعة وإشباعها توصل الإنسان إلى حالة من عدم الإشباع وعدم الرضا بالمتع المتاحة والبحث عن طرق جديدة للتمتع_ وقد قال رسول الله في وصف حال من سعى إلى تحقيق رغباته وبالغ في متابعتها والسير وفقاً لما تمليه فقال:" تعس عبد الدينار والدرهم

---

[١] الفجر الكاذب، ص٢٤١-٢٤٢

[٢] أحمد طالب الإبراهيمي، حوار الحضارات، ص١١٧

[٣] سورة الأعراف، الآية ٣١

[٤] سورة الإسراء، الآية ٢٧

[٥] الغزالي، إحياء علوم الدين، ١٤٧٠/٨

[٦] الغزالي، إحياء علوم الدين، ١٤٦٨/٨، ١٤٧٠، طبعة دار الشعب.

والقطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض[1]، وقد روي عن القرطبي ما يفسر دلالة الحديث من قوله: ومن الناس من ترتبط همته وترتفع بثوب يلبسه أو بمركب يركبه، وأضاف غيره أمثلة على ذلك أن المرأة متى استعبدتها الأزياء وتعلق قلبها بها، تبقى مشغولة بها وما تنتجه دور الأزياء، بحيث تصير خاوية الهمة محصورة الهدف ضيقة الأفق في تفكيرها وغاياتها، والأنماط المذكورة في الحديث لا تدل على تقييد النهي بها، وإنما هي للدلالة على أن النفس والقلب متى صارا فارغين من معرفة الله تعاظمت فيهما الحاجات حتى تصير قبلتها وغايتها[2].

وقد كتبت كاميليا حلمي تبين تأثيرات النمط الاستهلاكي على حياة الأسرة المعاصرة، والذي حول الذوات إلى مقلدة تابعة، كما حولها إلى أنانية، وأضعف إرادتها بحيث صارت لا تملك أمرها، ولا تستطيع السيطرة وإدارة الذات لمواجهة مغريات المجتمع الاستهلاكية[3].

وقد جعل بعض الباحثين من أسباب التنعّم التي تمس الشخصية المسلمة، وقدرتها التوكيدية، وصلتها بالله، ركونها إلى الموسيقى والمعازف، وانشغالها بالغناء عن الأعمال النافعة المؤثرة في حياة الإنسان[4].

كما جاء النهي عن التخنّث والتشبه بالنساء، وعن تشبه النساء بالرجال، مباشراً في النصوص الشرعية، فقد روى البخاري عن ابن عبّاس: " لَعَن الله المُخنّثين من الرجال والمترجلات من النساء"[5]، لأن سلوك كل من الجنسين منهج الآخر في حياته، يمس وظيفته ومفهوم الذات الاجتماعي، حيث يعتبر تشبه أحد الجنسين بالآخر، من نتائج العقد النفسية التي تخلفها الأساليب التربوية الخاطئة، فإذا كان التشبه منهياً عنه في صيغة اللعن، فكيف يمكن للثقافة الإسلامية أن تستوعب ثقافة المثلية الجنسية التي ورد حكمها وعقوبتها مباشرة في نصوص القرآن الكريم.

ومن قيم العولمة التي تخالف صراحة قيم المسلم التي يستمدها من أصوله الشرعية قيم السفور والتبرج باعتبارها قيم الجمال في ثقافة العولمة، وقد جاء النهي عن السفور والتبرج المقترنين بالاختلاط، مباشراً في نصوص القرآن والسنة، وهذه جميعاً من أسباب الانشغال عن الأسمى بما هو أدنى وأقل، فالغالب أن اعتيادها ومداومتها يشغل الإنسان عن سواها، ويعطل فاعليته بحيث يصير مقيداً بمداها ويسعى لتحقيقها، والمسلم مكلف بأن يتخذ هدفاً سامياً، وأن يكون توكيده لذاته يتناسب مع هذا الهدف، ولا شك أن الدافع الجنسي من الدوافع التي اعتبرها الإسلام، وقد جاء تنظيم هذا الدافع، بجعله محصوراً في حدود معينة، بحيث لا يطغى على غيره من الدوافع، وعلى الأهداف التي خلق الله لها الإنسان من خلافة في الأرض، وعمارة وعبادة، والمسلم

---

[1] صحيح البخاري، حديث(٢٨٨٦)، ٣٤/٤
[2] خالد بن عثمان السبت، شرح رياض الصالحين، www. Khaledalsabt. Com(٢٠١٦/١٠/٣)
[3] نمط الحياة الاستهلاكي يهدد الاستقرار الأسري، مجلة المجتمع، ١٠ إبريل ٢٠١٦، mugtama.com
[4] علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ١٨٤/١.
[5] صحيح البخاري، ٢٢٠٧/٥،ح(٥٥٤٧)

مطلوب منه أن يربي أبناءه على تقدير الذات المبدعة المنتجة الفعّالة، لأن الإبداع والعمل هدف أصيل من أهداف التربية الإسلامية، والله تعالى يقول: ﴿ وَقُلْ اعمَلوا فَسَيرى اللهُ عَمَلَكم وَرَسولهِ والمؤمِنونَ﴾[١].

وإن المتتبع لأصول الفكر النظري في علمي النفس والاجتماع في المجتمعات الغربية، سيتبين أن رفض قيم الحداثة والعولمة سالفة الذكر ليس مقصوراً على الإسلام، بل إن عدداً من كبار منظري الحضارة الغربية _ على اختلاف مشاربهم _يرفضونها لما لها من آثار بيّنة الخطورة على الشخصية الإنسانية، من ذلك ما سلف نقله عن ماسلو، ومنه أيضاً ما ذهب إليه إيريك فروم الذي بيّن خطورة القيم المادية وثقافة المصنع على الشخصية الإنسانية، حيث أنها سوف توصلها إلى نمط جديد من الشخصية يدعوه الشخصية التسويقية التي تفتقر إلى المعاني الإنسانية، وقد أظهر فروم نقد العديد من المفكرين الراديكاليين وغيرهم للاقتصاد الرأسمالي وثقافة التصنيع التي قامت عليها العولمة، من ذلك ما أورده عن عالم اللاهوت البروتستانتي ألبرت شفايتزر والذي نقل عنه تأثره بمنهج الشك الميتافيزيقي، ورغم ذلك فهو يقرر أن مهمة الإنسان في هذا العصر المادي لا تقتصر في انسحابه إلى جو روحاني ذاتي بعيد عن شئون العالم، بل إن الواجب عليه أن يحيا حياة نشطة يساهم من خلالها في التهذيب الروحي للمجتمع، وقد نقد شفايتزر تفسخ المجتمع البشري وتدهور العلاقات بين الناس خلال ممارسة الحياة المصنعة، فقد رأى ما أصاب الناس من الضعف والتبعية، كما راقب الأثر التدميري لعادة الإفراط في العمل، ورأى أن ما يلزم المجتمعات الحديثة إنما هو نهضة جديدة لحياة جماعية تنظمها روح التكافل، ومن الكتاب الذين أقروا حاجة المجتمعات الحديثة إلى بديل تواجه به الكارثة الاقتصادية المحدقة بالعالم، ميزاروفيك وبستل، حيث قررا في تقاريرهما التي نشراها تحت رعاية نادي روما أن ما تحتاجه البشرية يتلخص في وجود ضمير عالمي جديد، ومعيار أخلاقي جديد يحكم استخدام الموارد المادية، وتبني موقف جديد من الطبيعة قوامه التوافق والانسجام معها لا الغزو والقهر، كما ذهبا إلى أنه يلزم الإنسان مع تضخم قدراته المادية والتقنية ألا يكتفي بالتفكير في واقعه، بل عليه أن يفكر في الأجيال القادمة ولذا يلزمه أن يكف عن فعل كثير من الأمور والأشياء التي يقدر على القيام بها، ومن ذلك أنه ملزم أخلاقياً بأن يكبح اندفاع التقدم التكنولوجي والاقتصادي[٢].

ومن ذلك ما نقله فروم عن عالم الاقتصاد (إ. ف. شوماخر) الذي ذهب في كتابه " الصغير هو الجميل" إلى أن إخفاقاتنا إنما جاءت كنتيجة لنجاحاتنا، والحل إنما يكمن في أن تكون التكنولوجيا في خدمة الاحتياجات الحقيقية للإنسان، حيث قال:" الاقتصاد كمحتوىً للحياة مرض قاتل، وذلك لأن التنمية اللانهائية لا تناسب عالماً محدوداً، وقد علمتنا رسائل المعلمين

---

[١] سورة التوبة، الآية ١٠٥.
[٢] إيريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، (ترجمة: سعد زهران)، عالم المعرفة، ١٩٨٩، ص١٧٣-١٧٤

الكبار للإنسانية أن الاقتصاد لا يجب أن يكون محتوى الحياة، والواقع المعاش اليوم يدل بوضوح على استحالة ذلك، وإذا أردنا أن نصف هذا المرض المستعصي وصفاً أكثر تفصيلاً فإننا يمكن أن نقول: إنه نوع من الإدمان كإدمان الخمر أو المخدرات، وليس ثمة فارق كبير بين أن تكون ظواهر هذا الإدمان أنانية عارية أو تتخذ أشكالاً غيرية، أو أن يكون إشباع الإدمان إشباعاً مادياً فجاً، أو يسلك سبيلاً مهذباً ثقافياً أو فنياً أو علمياً، فالسم هو السم حتى لو كان مغلفاً بورق من الفضة،... وإذا أهملت الثقافة الروحية، الثقافة الباطنية للإنسان، فإن الأنانية شأنها شأن الرأسمالية هي التي تناسب هذا التوجه، ولا تناسب نظاماً قائماً على حب إخواننا في الإنسانية"[1]، وقد صرح فروم في وصفه ما يسميه الديانة السيبرناطيقية بأنها الوثنية الجديدة، وهي وثنية العصر التي باتت تهدد بالقضاء علينا، ومما قاله عنها: وخلف الواجهة المسيحية نشأ دين جديد، الدين الصناعي، جذوره مغروسة في بنية الشخصية في المجتمع الحديث، وإن يكن غير معترف به كدين، والدين الصناعي متعارض مع المسيحية الحقيقية، إذ ينحدر بالإنسان إلى خادم للاقتصاد وللآله التي صنعها بيديه، وللديانة الصناعية أساسها في الشخصية الاجتماعية الجديدة، ومركزها هو الخوف من السلطات الذكرية القوية والخضوع لها، وغرس الشعور بالذنب إذا خرج أحد عن طاعتها، وحل روابط التضامن الإنساني بإعلاء المصلحة الذاتية، وإذكاء العداء المتبادل، ولا قدسية في الحضارة الصناعية إلا للعمل والملكية والربح والسلطة"، ... ويتابع في وصف شخصية المجتمع الصناعي التي ستفرزها فلسفته المادية فيقول: أهم حقيقة تساعدنا على فهم شخصية المجتمع المعاصر وديانته السرية هو التغير الذي طرأ على الشخصية الاجتماعية في المرحلة المبكرة للعصر الرأسمالي إلى النصف الثاني من القرن العشرين، في القرن السادس عشر كانت قد ظهرت وأخذت بالنمو الشخصية الادخارية المتسلطة، وظلت هذه الشخصية الاجتماعية هي السائدة في الطبقة المتوسطة على الأقل حتى نهاية القرن التاسع عشر، وعندئذ أخذت تندمج معها وتحل محلها تدريجياً الشخصية التسويقية،.. وقد سميت هذه الظاهرة الشخصية التسويقية لأنها تقوم على ممارسة الشخص لذاته كسلعة، ولقيمته كقيمة تبادلية،.. حيث أصبح الكائم البشري سلعة في سوق الشخصيات، ولا تختلف معايير التقييم في سوق الشخصيات عن نظيرتها في سوق السلع، في واحدة تعرض السلع للبيع وفي الأخرى تعرض الشخصيات، وفي الحالين قيمة المعروض هي قيمته التبادلية حيث القيمة الاستعمالية الانتفاعية شرط لازم ولكن ليس كافياً"[2]

وكما تبين لم يكن فروم الشاهد الوحيد على مظاهر رفض الفكر الغربي لمادية قيم العولمة، فقد صدر في السنوات الأخيرة من القرن العشرين عدد ضخم من الكتب في الولايات المتحدة وألمانيا تنادي بإخضاع الاقتصاد لاحتياجات الناس لضمان البقاء، ويتفق أغلبية مؤلفيها

---

[1] فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ص١٧٥

[2] فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ص١٥٥-١٥٦

على أن الزيادة المادية للاستهلاك لا تعني ضرورة تحسيناً لنوعية الحياة، بل إن ما يلزم العصر إنما هو تغيير روحي وآخر أخلاقي يواكبهما تغير في البنية الاجتماعية والتكافل[1].

وفي ذلك التوقيت الذي كانت فيه الأقلام تتجه إلى نقد البنية الثقافية والحضارية المادية التي مهدت للعولمة ورافقتها، وما رافق ذلك من محاولات مفكري ومنظري الحضارة الغربية الخروج من مأزق الثقافة المادية من خلال الدعوة إلى القيم الروحية والأخلاقية والتكافل الاجتماعي، وغير ذلك من الحلول الافتراضية التي أثبتها المنظرون الباحثون في واقع المجتمعات ومستقبلها، فإن الناظر في تاريخ المجتمعات والدول المسلمة الحديث، يجد أن سياسات التكيف مع الواقع الثقافي الذي خلفه الاستعمار كانت المسيطرة في تلك البلدان، وقد اصطلح الباحثون على إطلاق مسمى الغزو الثقافي أو التغريب على منهجية التكيف التي لجأت إليها العديد من الدول العربية والمسلمة، ففي مصر مثلاً كان ظهور التيار التغريبي العلماني يستند إلى أساسين لتقوية فاعليته ولدعم وجوده، حيث انطلق من العمليات الفاعلة التي رمت إلى القطيعة الكاملة بين واقع المجتمعات وثقافة الواقع التي يحياها الناس، وبين الموروث الثقافي الإسلامي فكراً وعقيدة وتاريخاً، ولا زالت مادة الثقافة الإسلامية من أضعف المواد فاعلية وأضحلها محتوى في المدارس المصرية، وفي مقابل الانقطاع عن الموروث روجت الحركات العلمانية المسيطرة على العديد من الأنظمة الحيوية إلى التبني الكامل لقيم ومحتوى الموروث الثقافي الفكري الغربي، وقد عبرت عملية التكيف إلى أهدافها باتخاذها العديد من الوسائل والأساليب والتي كان من أبرزها: تغريب نظام التعليم، وتشجيع إنشاء المدارس الأجنبية والتبشيرية، وتهميش فاعلية اللغة العربية واستبدالها باللغات الأجنبية[2]، وقد كتب مارتن كارنوي كتاباً يصف فيه واقع التعليم في المجتمعات العربية بعد الحقبة الاستعمارية، جعل عنوانه تعبيراً عن نتيجته، حيث وسمه ب: التربية أداة الاستعمار الثقافي، وقد سبق أن أشار العديد من أعلام حركة التغريب من أجانب ومسلمين إلى خطورة عملية تكييف وتغريب التعليم وفقاً للمنظومة التربوية الغربية، فقد سبق أن قال المبشر البريطاني زويمر إبان الاحتلال البريطاني للقدس عام ١٩٣٥: لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، وإنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار المسيحي، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء"[3] وإن إطلالة على

[1] أنظر: الإنسان بين الجوهر والمظهر، ص١٧٤-١٧٥

[2] أنظر: الهزايمة، محمد يوسف، العولمة الثقافية واللغة العربية التحديات والآثار، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٢، ص١٥٢-١٨٢

[3] جريشة، محمد علي، والزيبق، محمد شريف، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، ص٦٣

رواية شيطان وشيطانة في كتاب وحي القلم للرافعي تبين لنا عراقة المنهج التكيفي التغريبي في المجتمعات المسلمة.

وقد بات معلوماً أن الواقع الذي تحياه المجتمعات الغربية المعاصرة يدور في فلك فلسفة المتعة واللذة والمنفعة، والتي جعلتها هدفاً تسعى إليه في مجالات حياتها اليومية، وبالتالي فقد صارت ثقافة العولمة وما بعد الحداثة المبثوثة عبر وسائل العولمة إلى المجتمعات المسلمة تجمع بين الأهداف السابقة للتغريب، وبين الأهداف المستحدثة للحياة في المجتمعات الغربية، ولذا تجد العولمة تضاعف من احتمالات الانفصال عن الثقافة الأصيلة للمجتمعات العربية والمسلمة لما باتت تحمله من أوجه التشويه القديمة والمستحدثة.

والإعلام من الوسائل التي وظفتها الحركة العلمانية لتحقيق أغراضها، والذي يظهر من استقراء المضامين الإعلامية وما تبثه من قيم، اغترابها عن القيم الإسلامية وانتمائها إلى منظومة قيم مغايرة لها في أصولها وموروثها ومعاييرها. كما فعلت الحركة العلمانية دور الأقليات غير المسلمة في عملية التغريب فقد سمحت لها بإصدار العديد من المجلات كان من أقدمها مجلة مجلة الجنان ومجلة المقتطف ومجلة الهلال[1]،ومنذ عام ١٩٦٦ استضافت أسرة تحرير الأهرام فيلسوف الوجودية سارتر وعشيقته (سيمون دي بوفوار)، وقد جهرا بقصة علاقتهما للمجتمعات المسلمة التي يوجه إليها هذا الإعلام[2]، وأما اليوم فقد باتت بعض القنوات التي تعتمد ميزانيتها على المتاجرة بالجنس، متخصصة في الترويج للعلاقات المحرمة وتبثها في صورة مثيرة لوجدان الشباب من ذلك على سبيل المثال لا الحصر برنامج(the perfect pride)

سبق مالك بن نبي إلى وصف نزعة التحديث والتغريب التي بدت تلوح للعيان في المجتمعات المسلمة. منذ عقود خلت، حيث بدا المثقفون من أبناء هذه المجتمعات الأكثر تأثراً وانغماساً فيها فقال:" فالمثقف الذي لم يتعلم فيما تعلمه بالمدرسة الأوروبية معنى الفاعلية الواقعية التي يتقدم بها المسيحي اليوم على المسلم، هذا المثقف سيقبس من مادية أوروبا اتجاهها البرجوازي، أعني أذواقها المادية أكثر مما سيقبس اتجاهها البروليتاري أعني منطقها الجدلي، ولما كان لم يتناول في استقرائه لحضارة أوروبا ما يتصل بمنتجاتها من علاقات تكوينية تربطها ببيئتها الطبيعية، فإن استعارته لهذه الأذواق سوف تصرفه عن ملاحظة علاقاتها بالحياة الإسلامية، وهكذا وجدنا هذه الحياة تغص بآلاف الأذواق المستعارة دون أن ندري سبباً لوجودها، هذا الاستعداد في العالم الإسلامي لجمع منتجات مستعارة يدلنا على ما تتسم به الحركة الحديثة من طابع بدائي، إذ ليست الحضارة تكديساً للمنتجات بل هي بناء وهندسة"[3]، ثمّ إنه يتابع في موقع آخر تقييم حركة الحداثة التي مرت وتمر بها المجتمعات المسلمة فيقول:" فالحركة الحديثة ليس لها في الواقع نظرية

[1] أنظر: الخطيب، سليمان، التغريب والمأزق الحضاري، ط١، ١٩٩١، ص٢٧-٣١
[2] جريشة والزيبق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص٧٢-٧٣
[3] مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: وجهة العالم الإسلامي، (ترجمة: عبد الصبور شاهين)، ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨١، ص٦٢-٦٣، أنظر شواهد على ما قاله مالك: جريشة والزيبق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص٦٤-٦٧

محددة لا في أهدافها ولا في وسائلها، والأمر بعد هذا لا يعدو أن يكون غراماً بالمستحدثات، فسبيلها الوحيد هو أن تجعل المسلم زبوناً مقلداً، دون أصالة، لحضارة غربية تفتح أبواب متاجرها أكثر من أن تفتح أبواب مدارسها، مخافة أن يتعلم التلاميذ وسائل استخدام مواهبهم في تحقيق مآربهم، ويكفينا لكي ندرك هذا أن ننظر في تكوين البعثات الدراسية التي ترسلها مصر سنوياً إلى الجامعات الأوروبية....لم يخصص واحد من بينهم للدراسات الفنية، من هذا المثال نرى أن الحركة الحديثة لم تتجه نحو الأعمال ووسائل أدائها بل اتجهت نحو الأشكال والأذواق والحاجات" ثم إنه يشير في حاشية كتابه إلى مثالين عرضتهما مجلة(boom) في عددها الصادر في نوفمبر ١٩٤٩ قالت: دولة إسرائيل، عرض: إسمنت رخام أميانت حقائب، طلب: حديد للصناعات والبناء منتجات كيميائية فلين،.. الدول العربية: عرض: لا شيء، طلب: مجوهرات، ملابس، مساحيق، عطور، لعب حلوى فواكه محفوظة حرير طبيعي أقطان، حرير صناعي.[١]، الذي يظهر من استقراء مالك بن نبي لموجة التحديث في العالم الإسلامي أنها كانت منذ زمانه تفتقر إلى المنهجية والتخطيط، كما إنها تفتقر إلى الأهداف والنظم التي تساعد على تحقيقها.

وقد ألف برنارد لويس فصلاً في أحد كتبه يصف فيه حالة فشل الحداثة التي تمر بها المجتمعات المسلمة، حيث استطرد في سرد المقارنات ليصل إلى نتيجة: تخلف المجتمعات المسلمة عن ركب الحضارة الحديثة، وقد أظهر ذلك بمقارنتها بالدول الأخرى من حيث: مستوى المعيشة، وناتج التصنيع، والناتج الإجمالي المحلي، ونصيب الفرد من الناتج الإجمالي وغير ذلك من مجالات التنمية، كما أظهر تخلفها عن ركب التحضر من حيث المعرفة والترجمة وتكنولوجيا المعلومات، ثمّ إنه يصل إلى نتيجة مؤداها أن هذا الفقر والتخلف قد ولد الحقد ودوافع العنف التي يتخذها أبناء هذه المجتمعات في التعاطي مع أبناء الحضارات الأخرى، وأخيراً فإنه وعلى عادته يربط ذلك كله بالإسلام[٢].

وقد أشار هانتنغتون فيما يتعلق باكتساح ثقافة العولمة ومقولات الثقافة العالمية إلى مثل ما ذهب اليه مالك بن نبي، ذلك أن السلع المادية لا تقضي باحترام الحضارة المصدرة لها ولا تبني استراتيجياتها فقال:" إن أنصار مقولة استعمار الكولا لا يماهون بين الثقافة واستهلاك السلع المادية، ولكن جوهر أي ثقافة يشمل اللغة والدين والقيم والتقاليد والعادات، وشرب الكوكاكولا لا يجعل الروس يفكرون مثل الأمريكيين أكثر مما يجعل الأمريكيين الذين يأكلون السوشي يفكرون مثل اليابانيين، وطوال تاريخ الإنسان كانت البدع والسلع المادية تمتد من مجتمع إلى آخر دون أن تحدث تغييراً ذا شأن في الحضارة الأساسية للمجتمع الذي يتلقاها"[٣]

---

[١] مشكلات الحضارة وجهة العالم الإسلامي، ص٦٥
[٢] أنظر: الإسلام وأزمة العصر، ص١٣٣-١٤٤
[٣] الغرب فريد وليس عالمياً، ضمن كتاب الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، ص١٥٧

والذي يظهر مما سبق أن مشكلة التكيف والتعاطي من المشكلات القديمة المتجددة في المجتمعات المسلمة، فقد بدا لحركة التحديث والإصلاح التي شهدتها المجتمعات المسلمة في حقبة ما بعد الاستعمار أن مشكلتهم في التعاطي مع الواقع الحضاري تكمن في:" أن عقدة العقد في موقف المسلمين هي التوفيق بين المدنية الغربية والمبادئ الإسلامية، غير أن المسلمين ولحسن الحظ ليسوا مخيرين بين التمسك بدينهم وبين اعتناق الحضارة الغربية، فخير للعالم الإسلامي اليوم أن يأخذ من المدنية الغربية كل علمها وتجاربها، في الصناعة والزراعة والتجارة والطب والهندسة وسائر العلوم من غير قيد ولا شرط ثمّ يحتفظ مع ذلك بروحانيته التي يلون بها هذا العلم، فتجعله موجهاً لخير البشرية لا لغلو في كسب مال ولا لإفراط في نعيم، ولا للقوة والغلبة ولكن للخير العام"[1]

وفي واقع المجتمعات المسلمة تباينت وجهات نظر الباحثين في المنهج الأمثل للتفاعل مع العولمة، بين من يرجح جانب الرفض المطلق للعولمة، نظراً لما ترجح من آثارها السلبية وأهدافها المغرضة في تفاعلها مع المجتمعات، ومن يرى ضرورة القبول المطلق للعولمة باعتبارها مرحلة حضارية تمثل آخر ما انتهت إليه الخبرات الإنسانيّة والتطور التقني، وبين آخرين يرجحون منهج التفاعل الواعي، والتثاقف مع تيار العولمة لا التبعية والانقياد أو القبول المطلق[2].

وعند النظر في الخيار الأول من خيارات التعاطي مع العولمة نجد أن المجتمعات المسلمة لا يناسبها أن ترفض التفاعل، لما في ذلك من تعطيل لفاعليتها الحضارية ولدورها، وانكفاء في بوتقة الدفاع عن النفس، وقد يظهر ذلك من تصريحات مفكريها واتجاهات منظريها، من ذلك ما نقل عن بعض علماء المسلمين منذ عقود خلت،فيما نشرته مجلة المنار عن محمد عبده من قوله بجواز أخذ الأفكار والخبرات النافعة عن الأجانب، ما يتعلق منها بالجانب الحضاري التقني أو الثقافي الفكري، وقد ذكر جملة من الفوائد الرئيسة التي استفادها المسلمون من مخالطة الأوروبيين والاتصال بهم، أولها إدراك أهمية استقلال الفكر والإرادة، وثانيها تعلم كيفية الخروج من الاستبداد باستبدال الحكم المقيد بالحكم المطلق، وآخرها إدراك أهمية الجمعيات باعتبارها الأداة التي صلحت بها الحكومات والأخلاق في أوروبا[3]، وفي مثل هذا التعاطي تحقيق لقيمة من القيم التي أساء المسلمون تمثلها بين الإفراط والتفريط وهي قيمة التعارف التي ورد الأمر بها في قوله تعالى:" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"[4].

وإن الناظر في التأصيل الإسلامي لعدد من العلوم الغربية، يبهره اتفاق الكثير من جوانب علوم الاجتماع وقوانين الفيزياء الطبيعية مع ما جاء به الإسلام في بابها، ولهذا ظهرت حركة الأسلمة لرد العلوم الحديثة إلى الأصول الإسلامية ومن ثمّ الأخذ أو الترك بناء على الغايات التي تتحقق من هذه العلوم، ومدى توافقها مع الغايات الشرعية، وبهذا يتبين أن ما يوصف

---

[1] حسين أحمد أمين، موقف المسلمين العرب من الحضارة الغربية، ضمن كتاب: الإسلام والغرب صاع في زمن العولمة، ص١٣٣

[2] بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية، ص٦٢-٦٤، ١٧٧-١٧٩

[3] الاستقلال الثقافي في زمن العولمة، مجلة أدب ونقد، ص٥٧

[4] سورة الحجرات، آية ١٣

بـه المسلمون مـن المناهضـة المطلقـة للعولمـة وثقافتهـا فـي الإمكـان أن نعدّه مـن التعميمـات غيـر الدقيقة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الأخذ من ثقافة الآخر وعلومه إنما يكون وفق منهجية يخطط لهـا المختصـون فـي الثقافـة والتبـادل الثقـافي، فكمـا كـان الأخـذ مشـروطاً لنجـاح مجتمعـات النمـور الآسـيوية ينبغـي ألا يبـالغ المسـلمون فـي المتابعـة فيأخـذون مـا لا يتفـق مـع قـيمهم أو أصـولهم التشريعية، فالذي تشترك فيه الإنسانية إنما هو العلم النافع على مختلف مجالاته وتخصصاته، وأما النظريات والعلوم التي لا تتفق مع العلوم الشرعية فهذه لا يكون في أخذها تطوير أو تحضر، وقد سبق بيان النقد الذي تتعرض له مفردات ثقافة العولمة من قبل مفكريها ومنظريها، وبيان أمثلة من التخالف البيّن بين هذه المفردات وبين القيم التي جاءت بها الرسالة الإسلامية، وقد سبق أن وصف بعض السلف عملية التثاقف واقتباس القيم والثقافات من بعضها البعض بأنها شبيهة إلى حد كبير بعمليات التبرع بالدم ونقله إلى جسم آخر، فحتى تتحقق الفائدة من الدم المنقول لا بدّ أن يكون متوافقاً مـع دم المتلقـي فـي زمرتـه ونوعـه، وإلا كـان سـماً قـاتلاً مهلكـاً لمـن يأخـذه، وكـذلك حـال الحضارات والثقافات في تداخلها وتبنيها قيم بعضها البعض.

ومـن الأسس الفكريـة التـي تسـاعد فـي فهـم طريقـة التفاعـل مـع العولمـة، الإحاطـة بمبـادئ العولمة التي قد تفيد في كبح جماحها ومواجهتها، وأهمها في الجانب الثقافي تنمية التعليم وإنتاج المعلومات التي باتت تشكل قوة الدفاع والإقناع في حال المواجهة، ومحاولة شحذ العقل المسلم لاسترداد الفاعلية ليصل إلى مستوى الاجتهاد الفكري المنطلق من الوحي والضوابط، والقادر على توليد رؤية للقضايا الإنسانية المعاصرة، فلا بدّ من إعادة النظر في موارد تشكيلنا الثقافي (مناهجنا التعليمية والإعلامية) واحترام التراث وتفعيله والتفاعل معه، وتجريد القيم الإسلامية من حدود الزمان والمكان والأشخاص حتى نولدها من جديد في شكل يؤهلها لئن تتفاعل مع قضايا العصر، فالحضارات الواعية نظرت إلى العولمة كمحرّض حضاري يفتح آفاق التنافس، ويسهم في دفـع الأمـم الراكـدة للخـروج مـن رقـدتها، فيزيـد مـن فاعليـة الثقافـة والإحسـاس بالـذات، فالمعلومـات المتدفقة بعد رفع الحواجز بين الأمم سوف تصل بالمجتمعات إلى مدى من التوحد، ستكون بعده عاجزة عن رفع الخصوصيات[1].

ومـن اسـتراتيجيات التعـاطي مـع العولمـة ، أن تبـدع الـدول فـي توظيـف آليـات العولمـة ووسائلها وكذلك توظف مبادئها في مواجهتها، والديمقراطية من مبادئ العولمة السياسية الجديرة بأن تعـد مـن أسـس النظـام الليبرالـي، والديمقراطيـة كمـا يعتـرف بهـا الغـرب تعطـي حـق الاعتـراض والمخالفة، ومن ثم فإن إرغام الأمم على تقبل ثقافة كونية، ومحاولة تهميش الآخر وطمس هويته، يعني إنكار حرية هذه الأمم وحملها على تقبل ثقافة كونية، ومحاولة تهميش الآخر وطمس هويته،

---

[1] بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية

ويعني إنكار حرية هذه الأمم في الاختلاف والخصوصيّة[1]، وفي هذا مخالفة واضحة لقيم الديمقراطية بقدر مخالفته لقيم ما بعد الحداثة التي تعزز الاختلاف وتثير التباين.

وحتى تتجه علاقتنا مع العولمة الوجهة المقبولة، لا بدّ من العمل المستمر على تفعيل المؤسسات التربوية الأصلية (الأسرة والمدرسة) لتؤدي دورها الأولي في بناء الحصانة والمناعة الذاتية لدى المسلم، ثمّ لتمنحه القدرة على التعاطي مع مستجدات العصر من خلال تعويده التفاعل والنقد بناءً على منظومته القيمية الخاصة، وتزويده بالمعارف والمهارات المستجدة باستمرار، لتحقق له الكفاءة الحضارية، ولا بد أن يقدر الآباء والأمهات خطورة الدور الذين يقومون به في عصر العولمة، وهم الأولى بعدم التنازل عن القيم في مجاراة العولمة[2].

إن نجاح الأسرة في بناء الحصانة الذاتية لأفرادها، يعتمد على فاعليّة تلك الأسرة في تربية الأبناء تربية عقدية إيمانية، وربطهم بدينهم، فتعويد الإنسان منذ صغره احترام القيم الإسلامية، وتدريبه على أنماط السلوك المحترمة وعلى الشعائر الدينية، له أثره العظيم في حمايته من الانجراف وراء القيم وأنماط السلوك المعولمة[3].

وتنميط الشخصية يبدأ منذ الصغر، وتعد القدوة من أعظم الأساليب التربوية فاعلية في تمثيل منظومة القيم واستقرارها في نفس الصغار، ومن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه [4]"، وقد فعلت تقنيات العولمة ووسائل الإعلام هذه الطريقة بتقديمها العديد من الشخصيات الأنموذجية للإنسان منذ الصغر، وتصب برامج الإعلام هذه القيم في الدور البطولي الذي تقدمه، ومن ثمّ فليس مستغرباً أن يتعلم المتلقي _حال خلوه من منظومة قيمية_ قيمة السرقة من برنامج روبن هود أو زورو مثلاً، أو يتعلم الطفل قيمة الشراهة والأكل المستمر من برنامج جارفيلد، ذلك أن أبطال هذه البرامج جسدوا ببراعة شخصيات أنموذجية ومحبوبة تمثل هذه القيم، وتكمن خطورة القيم التي تقدمها العولمة ضمن هذه الشخصيات في الطريقة غير المباشرة التي تعرض بها القيم، وذلك من خلال الإيحاء الذي يؤدي إلى التقمص في جانب من الكيان الوجداني والفكري للمتلقي.

وإن تزويد المسلم بنسق القيم منذ طفولته، يحفظه من كثير من الصراعات النفسية، ومن القلق الذي يعانيه الشباب في عصر العولمة، نتيجة افتقارهم إلى إطار قيمي واضح وثابت إزاء العديد من التيارات المتضاربة التي تحملها ثقافة العولمة[5]، وهكذا ينبغي أن تتوافق الفلسفة التربوية لمؤسسات التربية من أسرة ومدرسة ووسائل إعلام وتتكامل، كي تؤدي وظيفتها في بناء الشخصية،

---

[1] محمد، مهاتير، العولمة ذات الاتجاه الواحد لا تناسب جميع الأمم، جريدة الشرق الأوسط، بالاتفاق مع لوس أنجلوس تايمز، العدد ٧٥١٣، ١٩٩٩/٦/٢٤

[2] عبد الحافظ، عبد الرشيد، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥، ص٩٦-٩٧

[3] جيدل ، العولمة من منظور شرعي، ص٦١ جيدل ، العولمة من منظور شرعي، ص٦١

[4] صحيح البخاري، ٤٥٦/١

[5] عشيبة، الثقافة الإسلامية للطفل والعولمة، ص٣٩

وقد كان لفلسفة التعليم في كل من الصين واليابان وسنغافورة دورها العظيم في مناعة قيم الأسرة والمجتمع تجاه القيم الوافدة.

لقد عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تحصن الإنسان بقيمه الذاتية أمام تيار التغير والمنكرات حين قال" من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان[1] " وقد ورد عن محمد قطب في فهمه هذا الحديث: إن الجيش في المعركة قد ينهزم وقد يتقهقر، وقد يلجئه العدو إلى الخروج من ساحة القتال ، نعم ولكن! هناك قلعة أخيرة يحتمي في داخلها حتى تواتيه الفرصة للمعاودة ، وطالما هو محتكم بقلعته لم يسلمها للعدو فهو في حالة جهاد، لأنه ما زال محتفظاً بجنديته واستعداده، أما إذا سلم القلعة فقد انتهى الأمر وحلّت الهزيمة التي ليس منها فكاك[2]، وفي هذا إشارة إلى حصن المؤمن وقلعته التي يبدأ منها التغيير وهي قلبه.

كما إن المناعة الفكرية والعقلية لمواجهة العولمة، تتمثل في تفسير هذه الظاهرة وبيانها للناس مما يساهم في إمدادهم بالوعي اللازم أثناء التفاعل معها، فالعامل الذاتي هو الذي يحسم المواجهة أيّاً كانت قوّة العولمة الخارجية، فإذا لم تتصاحب الهجمة الخارجية بضعف وهزيمة داخلية فلن تتصهر أو تذوب الشعوب المعرضة لها[3]، وهذا الفهم يساند فهم محمد قطب في تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما سلف.

كما وتستطيع الأسرة المسلمة والمؤسسات التربوية من مدرسة وجامعة، بأساليبها التربوية المختلفة أن تنمي في إدراك المسلم، أن الإسلام شرع للإنسان من المباحات ما يصلح لتحقيق حاجاته وسعادته، دون أن يترتب على هذه المباحات من المفاسد والمكاره ما يمكن أن يصيبه أو يصيب الآخرين، فالتربية الإسلامية تهدف إلى تنمية طاقات الإنسان الروحية والمادية، وهي بذلك تسعى إلى بناء شخصية المسلم المتسق مع نفسه وغيره، والمتوازن في تفكيره وفعله[4]، وإذا نجحت الأسرة في غرس هذه القيم منذ الطفولة، فقد تحمي أفرادها من قيم العولمة المثيرة للنزعات المادية، والتي تعتمد على ثقافة الاستهلاك وتمرير القيم المادية التي تقوم على الإثارة والتغيير والتجدد المستمر لثقافة ما بعد الحداثة والموضة، وعلى تضخم الرغبة والدوافع المادية.

و ليتسنى للأسرة أن ترسخ هذه المبادئ ، لا بد أن تباشر بنفسها عملية إدارة علاقة الطفل مع وسائل الإعلام من خلال وضع ضوابط موضوعية لمشاهدة القنوات، وتربيته على الحوار

[1] النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث الغربي، بيروت ٦٩/١، ح ٥٠

[2] المسلمون والعولمة، القاهرة، دار الشروق ،ط١، ١٤٢١هـ ،ص٣٤

[3] بركات محمد مراد ، ظاهرة العولمة رؤية نقدية ص١٧٩-١٨٠

[4] عشيبة، الثقافة الإسلامية للطفل والعولمة ص٣٧، والدلال، الإسلام والعولمة: المنازلة الحضارية ص٢٩٩

لمناقشة القيم الغريبة التي يتلقاها، والاستفادة من البرامج المفيدة في القنوات المختلفة، وأن تختار جماعة الأقران التي تناسب ما يتعلمه الطفل من قيم[1]

وإن أبرز القيم التي تؤثر من خلالها العولمة في تغريب شخصية المسلم، قيمة الانحلال والتحرر الجنسي، وبث أنماط من القيم المعولمة التي تعمل على تفكيك كيان الأسرة، ومن هنا فلا بد أن يفعل دور الأسرة في تنمية قيمة العرض في الإسلام[2]،وبيان حدود العلاقات بين الجنسين من وجهة شرعية، من خلال تعليم نصوص القرآن الكريم والسنة المفصلة في ذلك، ولا بد للأسرة من التصدي لموجات التحلل والانحراف التي تعرضها وسائل الإعلام، بتعليم أبنائها قيم التربية الجنسية الصحيحة، كما أشارت إليها نصوص القرآن والسنة النبوية، ولا بد من الاهتمام بتمييز الهوية الجنسية للذكور والإناث من الأبناء، وعدم التهاون في قضيّة التشبه بالجنس الآخر في اللبس أو السلوك، ومتابعة قراءات الأبناء ومشاهداتهم، ويعضد ذلك بمصادقة الأبناء خاصة في سن المراهقة، وتقبل أخطائهم، والاستماع إلى وجهات نظرهم ومحاولة فهمها وتوجيهها الوجهة الصحيحة[3]، ومما يساعد الأسرة على تحقيق هذا الغرض أن تهتم بتوفير البديل لتفريغ طاقات البلوغ، بتعليم أبنائها الصوم، ومن خلال الرياضات المختلفة.

وأخيراً فإن الأسرة مطالبة بتحقيق حصانتها أمام تيار العولمة، من خلال تنمية قيمة الزواج والتناسل في نفوس أبنائها، وربطها بالقيم الإنسانية لا المادية الشهوانية، ومن ذلك تنمية قيمة مفهوم الزوج والزوجة، وقيمة الأبوّة وقيمة الأمومة وقيمة الأخوّة، بالاستعانة بالقصص الشرعي من النصوص وبتفعيل قيم الأسرة التي تبثها وسائل الإعلام[4]

ولا بدّ أن يكون دور المؤسسات التربوية مسانداً لدور الأسرة من خلال إعادة النظر في المناهج وأساليب التدريس التي تعتمد على التلقين، فلا بدّ من العمل على تنمية التفكير والإبداع، فلا بدّ أن يفقه الإنسان رسالته الحضارية قبل حفظها[5]، وقد ظهر من دراسة حالة نموذج النمور الآسيوية (اليابان، سنغافورة، ماليزيا..) أن خططها في التفاعل قامت على تجديد النظام التربوي وتزويده بالفلسفة المستهجنة، والتي واءمت بين المهارات والعلوم والتكنولوجيا الغربية مضافاً إليها الروح والأخلاق والقيم الشرقية، بحيث يحفظ النظام التربوي خصوصية الثقافة القومية بالدرجة نفسها التي يجعلها فيه مؤهلة للتعاطي مع الواقع ومواجهة تحديات العولمة، كما عملت خطط التنمية في هذه البلدان على تحديث النظام الاقتصادي وتطويره وفق شروط ومعطيات تمّ طرحها سابقاً، والغاية

---

[1] القاسم، خالد بن عبد الله، دور الأسرة في تربية الأولاد ووقايتهم من الانفتاح الإعلامي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، العدد ٤١،٢٠٠٦

[2] خليل، محمد محمد بيومي، تنمية المفاهيم الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠٣،ص٢٩٩

[3] خليل، تنمية المفاهيم الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، ص١٩٠-١٩١

[4] خليل، تنمية المفاهم الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، ص ١٥-٢٤

[5] بركات محمد مراد ، ظاهرة العولمة رؤية نقدية

من استقراء هذه النماذج في دراسة الحالة، أن تعمل الدول العربية والمسلمة ودول العالم الثالث على التعديل والتطوير والتجديد في تجربتها في التعاطي مع العولمة، بالإفادة من التجارب الناجحة التي سبقتها، وبوضعها خططاً للتعليم والاقتصاد توائم بين خصوصيتها الحضارية التي يجب عليها حفظها وتطويرها، وبين الإفادة من التطورات والإنجازات الحضارية التي حققتها حقبة العولمة كما تبيّن.

ومن استراتيجيات التفاعل التي أشار إليها المنظرون المسلمون والتي تناسب المجتمعات والدول المسلمة، استراتيجية الاعتماد على الذات التي تقوم على تنمية البقاء وتنمية النماء، كما يصفها مجدي قرقر، وأما تنمية السبق فليست موضوعاً ممكناً في الظروف المعاصرة للعولمة، ومن خصوصية هذه الاستراتيجية اعتمادها على مواردنا المحلية واختيار التكنولوجيا المناسبة التي تحدث عنها الدسوقي، وهي التكنولوجيا قليلة رأس المال كثيرة العمالة فهذه التكنولوجيا الأكثر مواءمة لمواردنا وطاقاتنا الاقتصادية[١].

وأما المحور الثاني لمواجهة العولمة ، فيتمثل في عولمة مضادة، بتفعيل آليات العولمة ووسائلها للتثاقف والتلاقح بين الحضارات، لتقديم النموذج الإسلامي للثقافة والقيم، ولهذه العولمة المضادة ميدانان تعمل فيهما: الأول ميدان داخلي تتولى إدارته المؤسسات التربوية المختلفة ووسائل الإعلام المسلمة، يساند الأسرة في تقوية المناعة الذاتية لدى أبنائها في التعاطي مع القيم المعولمة، والآخر ميدان عالمي، يبدأ بتفعيل أموال المسلمين في امتلاك قنوات الاتصال والبث الإعلامي، وحتى تتحقق هذه الغاية لا بد من تشجيع إنشاء شركات ومؤسسات إنتاجية للبرامج الثقافية الإعلامية[٢]، وأوضح دليل على تأثير هذه البرامج، وشغلها مساحة غيرها من البرامج التي تحمل قيم العولمة، برنامج الأطفال افتح يا سمسم، فبالإضافة إلى نجاحه في تعليم الأبناء في البلاد العربية، فقد قامت بعض الشركات بتقليده في برنامج open semsem.

إن وسائل الاتصال وأدواته محايدة بطبيعتها، ولكن السيطرة على البنية الأساسية لهذه الوسائل يسبب توجيه الرسالة الإعلامية وفق وجهة نظر الجهة المتحكمة ، ولا شك أن أخلاقيات الرسالة الإعلاميّة محكومة بأخلاقيات منتجيها[٣]،ومن ثم فإن الدول التي لا تمتلك القدرات التكنولوجية ، سوف لن تمتلك القدرة على بث ونشر الرسائل الإعلامية بالشكل الذي تريد[٤].وفي النهاية فإن الذي سيكسب تحدي التعاطي مع العولمة هو من يمتلك وسائلها وتقنياتها، وليس من

---

[١] مجدي قرقر، ضمن كتاب: الإسلام والعولمة، ص٧٣

[٢] عبد الحافظ، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها ،ص٩٤-١١٨

[٣] يوسف ، بشير ،رؤى العولمة ووهم الأمركة دراسة تحليلية،عمان، دار رؤى، ٢٠٠٤، ،ص١٢٣

[٤] شريف، التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، ص٧٦

يصدر الفتاوى في شأنها، ومن تفتقر قدراته على بلاغة التحدث عنها سلباً وإيجاباً، فإن هجاء العولمة لن يوقفها كما أن مديحاً لن يؤدي إلى كسب معركتها[1].

ربما يثير العرض السابق لقضية التفاعل مع العولمة، تساؤلاً: كيف تستطيع الأمة المسلمة أن تنافس في مجال الإعلام وتكنولوجيا الانترنت، الجهات التي تقوم عليها العولمة والتي تسيطر على البنى التحتية لهذه الصناعات، وتقدم فكرها من خلالها عبر عقود خلت، بينما تأخر المسلمون في امتلاك التكنولوجيا اللازمة لهذه الصناعات، والواقع أن عرض هذه الفكرة ليس حلّاً سحريّاً للتفاعل مع العولمة يؤتي ثماره بين يوم وليلة، بل إنه يحتاج إلى بذل الوسع والمال في سبيل بلوغ الهدف، لأن قضية التأثير بدلاً من التأثر تقبلها مختلف الثقافات بما في ذلك ثقافة العولمة الأمريكية التي بدأت تتأثر بأنماط الثقافة الآسيوية ، يدلنا على ذلك شيوع الاتجاه المضاد للثقافة الأمريكية من خلال انتشار المطبخ الصيني والهندي والمكسيكي والشركة اليابانية والطقوس الشرقية لعدد من العبادات كما تبيّن.

ومن الخطوات التي بدأت تخطوها المجتمعات في تفاعلها مع العولمة، سعي الباحثين والمتعلمين إلى دراسة الظاهرة دراسة واعية لا تقف عند حد القبول أو الرفض، ثم مبادراتهم إلى إصدار الكتب والقيام بالدورات والمؤتمرات المتخصصة لنشر القيم العالمية في مواجهة عولمة القيم ومن نماذج ذلك:

١- التدافع مع العولمة ابتداءً من فهمها من خلال الكتب التي تناولتها بالمسح في جوانب الخير والشر، ومنها كتاب فخ العولمة لهانس بيتر، وكتاب العولمة والطريق الثالث للسيد يس، وكتاب الخروج من فخ العولمة لكمال الدين مرسي وكتاب الديمقراطية هي الحل لمخاطر العولمة لبطرس غالي، وكتاب العولمة والإرهاب حرب أمريكا على العالم لنعوم تشو مسكي،وإدارة العولمة لجورج لودج وغيرها الكثير.

٢- إعداد الكثير من الدراسات والمقالات عن العولمة من أمثلتها دراسة ضغط العولمة على مديونية الدول الفقيرة لنجاح كاظم وغيرها.

٣- عقد مؤتمرات بخصوص العولمة من ذلك مؤتمر موقف الإسلام من العولمة في المجال الاقتصادي المنعقد في القاهرة ١٩٩٨ ،ومؤتمر التعريب والعولمة رؤيا مستقبلية في القاهرة ١٩٩٩ .

٤- بناء مؤسسات إسلامية تخترق العولمة ومنها البنوك الإسلامية، وفي العالم الغربي تأسيس أول بنك عربي إسلامي في سويسرا ومنها مؤسسات إعلامية ومؤسسات دعوية[2].

---

[1] عبد الغني، مصطفى، تساؤلات التراث والعولمة-٢- ،جريدة الأهرام، العدد ٤١٣٤٩، ٢٠٠٠/٢/٢١م

[2] انظر النماذج في:سامي محمد صالح الدلال،الإسلام والعولمة _المغازلة العلمية الإسلامية والعولمة البشرية بين السنة الربانية والتدافع الإنساني ص٢٥٩-٢٧٠ بتصرف واختصار

٥_ تجديد النظم التربوية من حيث خططها وأهدافها واستراتيجياتها وأساليبها وفقاً للهيئة التي تحقق لها الكفاءة لأن تتولى تربية وتعليم الجيل الناشئ في خضم تيار العولمة، فلا بدّ أن تكون هذه النظم قادرة على المنافسة، في مستوى تجديد المعرفة وقوتها، وفي مستوى كفاءة النتاج أو المخرجات التعليمية، ومن ثمّ قدرتها على التنافس والتعاطي مع اقتصاد العولمة وتحدياتها.

وعلى صعيد العولمة الاقتصادية ففي إمكان المجتمعات المسلمة ان تحذو حذو التجربة الآسيوية، بأن تصنع لنفسها استراتيجيتها الخاصة في التفاعل مع النظام الرأسمالي، وفقاً للصورة التي تحقق لها الانتفاع من مآثره والإفادة من الخبرات والمزايا التي انتهى إليها، دون أن يفقدها ذلك التفاعل خصوصيتها الحضارية والاجتماعية والثقافية بل والاقتصادية، فقد تبين من دراسة الحالات السابقة للأنظمة الرأسمالية التي تطورت في ظل العولمة أن مرحلة العولمة قد أنتجت العديد من الرأسماليات باعتراف المحللين الاقتصاديين، فقد استطاعت العديد من دول شرق وجنوب آسيا أن تطور لنفسها رأسماليتها الخاصة في ظل النظام العالمي، وبهذا فلن تكون الخيارات أمام الدول والمجتمعات المسلمة محصورة بين الانعزال والرفض لكل معطيات المرحة، أو خيار الانصهار والذوبان والخروج من البوتقة الحضارية والهوية الثقافية في سبيل تحقيق متطلبات ما بعد الحداثة التي حملتها العولمة وفق مزاعم البعض كما تبيّن.

الخاتمة:

وقد تضمنت أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة، ويمكن تلخيصها في:

١. تعد العولمة ظاهرة عامة تعمل على تعميم وتنميط مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية بين كافة الشعوب والمجتمعات
٢. أفادت المجتمعات والدول القوية والمسيطرة على المعلومة من الفرص التي حملتها ظاهرة العولمة بحيث استطاعت توظيفها لتصير من آلياتها الاقتصادية والسياسية والثقافية في السيطرة على غيرها من الدول والمجتمعات، وفي الانتشار وتعميم نمطها الحضاري بالهيئة التي تضمن تبعية الآخرين وسيادتها.
٣. إن المجتمعات والدول التي امتلكت قوة المعلومة باتت الأقدر على تعميم نمطها الحضاري سواء في الاقتصاد أم في الثقافة، وذلك بسيطرتها على البنى الأولية للصناعات والشركات العالمية، وعلى تكنولوجيا نقل المعلومة عبر الفضائيات والإنترنت.
٤. إن الوقوف من العولمة موقف الرفض والسلبية لن يؤثر في قوتها وقدرتها على اجتياح المجتمعات والدول.

٥. أثبتت بعض الثقافات والشعوب جدارتها وقدرتها على مواكبة العولمة من خلال الإفادة من معطياتها العلمية والحضارية ومزاوجتها مع ثقافتها بواسطة إعادة تطوير خططها للنظام التربوي والنظام الاقتصادي،كما فعلت الصين وسنغافورة وغيرهما.

٦. لا بد أن يتجه التفاعل مع العولمة إلى بناء العقل الواعي والمدرك لغاياتها،والمنتفع بما تحمله من إنجازات حضارية، ويتطلب ذلك تنمية الحصانة الذاتية للأفراد من خلال منظومة قيم الإسلام الحافظة للمسلم، ويبرز دور فلسفة التربية والنظام التعليمي في ذلك.

٧. تستطيع المجتمعات المسلمة أن توظف العولمة بتقنياتها في بث رسالتها الإنسانية وقد تساعد هذه العملية في تقارب الثقافات وتعارفها وتلاقحها وتحقق سنة الله في الاختلاف والتعارف.

٨. في الإمكان تحويل عملية التفاعل مع العولمة بالصورة التي تحقق مصلحة الثقافات المحلية من خلال عملية تخصيص العام من الثقافات الوافدة، ثمّ تعميم الخاص وذلك بنقل النمط الحضاري الناتج عن تفاعل الثقافات المحلية من معطيات العولمة، كما فعلت دول النمور الآسيوية.

٩. تعد ظواهر التطرف والثورات العرقية والإقليمية من نتاجات ظاهرة العولمة

١٠. تتباين قيم العولمة القائمة على فلسفة ما بعد الحداثة، مع المفهوم العام لظاهرة العولمة الدال على شيوع الأنماط الشمولية والعالمية في ميادين الاقتصاد والسياسة ونحوها، فيم تقوم فلسفة ما بعد الحداثة على التعدد والاختلاف والتباين والانفصال وقبول الآخر والتشتت وتكوين الأنساق الراديكالية الذاتية.

١١. تسعى العولمة الاقتصادية إلى تهميش دور الدولة القومية وتحييدها في مجالات الاقتصاد والسياسة.

١٢. وفق رؤية نقاد العولمة، انتقلت المجتمعات والشعوب وفقاً للسياسة الاقتصادية للعولمة من احتكار واستغلال السلطات الحاكمة، إلى احتكار واستغلال طبقة أصحاب رؤوس الأموال والشركات متعددة الجنسية.

١٣. لا بد أن تعيد الدول المسلمة النظر في تطوير أنظمتها التربوية لتساير التطور في التنمية البشرية ومجتمع المعلومات الذي أفرزته العولمة، وأن تعيد تطوير أنظمتها الاقتصادية بالصورة التي تمكنها من الانتفاع من المزايا التي حققها اقتصاد السوق المفتوح، وتبقي لنفسها سياستها الاقتصادية القائمة على موروثها الثقافي، وبهذا تشكل المناعة اللازمة لمواجهة تحدي العولمة.

قائمة المصادر والمراجع

*الكتب

* أحمد، سهير كامل ، علم النفس الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، الرياض، دار الزهراء، ط١٤٢٩،١هـ، ٢٠٠٨م

* ألان، بيم ب، نظريات الشخصية الارتقاء النمو التنوع، (ترجمة علاء الدين الكفافي ومايسة النيال وسهير سالم)، دار الفكر، عمان، ط١، ٢٠١٠

* برنارد لويس، الإسلام وأزمة العصر حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس، (ترجمة أحمد وتقديم رؤوف عباس)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤

* برنارد لويس، أين الخطأ التأثير الغربي واستجابة المسلمين، (ترجمة محمد عناني، دراسة وتقديم رؤوف عباس)، الناشر مجلة سطور، ط١، ٢٠٠٣

* برنارد لويس، ، مستقبل الشرق الأوسط، ترجمة ونشر: شركة رياض الريس، بيروت، ط١، ٢٠٠٠

* بني يونس، أسماء، دليل المبتدئ إلى المناهج العامة في البحث العلمي

*تشومسكي وآخرون،مقالة في كتاب العولمة والإرهاب حرب أمريكا على العالم، ترجمة حمزة المزيني، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٣

* تشومسكي، نعوم، ردع الديمقراطية، (ترجمة: فاضل حتكر)، دار كنعان، دمشق،١٩٩٢

* تشومسكي، نعوم، النظام العالمي القديم والجديد، (ترجمة: عاطف محمد عبد الحميد)، نهضة مصر للنشر، ٢٠١٠

* توماس فريدمان،السيارة ليكساس وشجرة الزيتون: محاولة لفهم العولمة، ترجمة: ليلى زيدان، الدار الدجوليّة للنشر والتوزيع القاهرة ط١ ،٢٠٠٠

* الثقافة الجماهيرية، الحضارات صدام أم حوار آراء في الحضارة صموئيل هانتنغتون وآخرون، دار حوران، دمشق، ط٢، ٢٠٠٤

* جراي، جون، الفجر الكاذب أوهام الرأسمالية العالمية، (ترجمة أحمد فؤاد بلبع)، المجلس الأعلى للثقافة، مكتبة الشروق، القاهرة كوالالمبور جاكرتا، ط١، ١٩٩٩

* جريس هالسل، النبوءة والسياسة الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية، (ترجمة محمد السماك)، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣

* جلال، شوقي، العولمة الهوية والمسار رؤية عربية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧

* الجميل، سيار ، العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط، بيروت ،مركز الدراسات الاستراتيجية ،ط٢ ٢٠٠١

* جودت سعيد وعبد الواحد علواني، الإسلام والغرب والديمقراطية: قراءات وتعليقات على مقالتي صدام الحضارات لصاموئيل هانتنغتون والإسلام والغرب لبريان بيدهام، دار الفكر، دمشق بيروت

* جيدنز، أنطوني، بعيداً عن اليسار واليمين: مستقبل السياسات الراديكالية، (ترجمة: شوقي جلال)، عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، ٢٠٠٢

* جيدنز، عالم جامح: كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا، (عباس خضير كاظم، وحسن ناظم: مترجمان)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣

*جيدل، عمار، واخرون، العولمة من منظور شرعي ، عمان ،دار الحامد، ط١ ، ٢٠٠٢م

*حسان، حسن محمد ، مجاهد ، محمد عطوة، والعجمي، محمد حسنين، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، الاسكندرية ،دار الجامعة الجديدة، د ط، ٢٠٠٧م

* حسين، ياسر ،العولمة بمفهومها الإسلامي، جريدة السياسة الكويتية ،العدد ١٠٩٠٨ ،١٩٩٩/٤/٩

*حمدان، فتحي إبراهيم، العولمة صراع حضارات وليست اقتصاد عابر للقارات، دار الفاروق للنشر ،عمان، ط١، ٢٠٠٨ * جريشة، محمد علي، والزيبق، محمد شريف، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام

* الخالدي والعلمي، عطا الله ودلال ،الصحة النفسية وعلاقتها بالتكيف والتوافق ، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع ، ط١ ،١٤٢٠هـ ٢٠٠٩م

* خليل، محمد محمد، تنمية المفاهيم الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة،القاهرة، دار قباء، ٢٠٠٣

* الخطيب، سليمان، التغريب والمأزق الحضاري، ط١، ١٩٩١

* السيد يس، الحوار الحضاري في عصر العولمة، دار نهضة مصرن القاهرةن ط٢، ٢٠٠٢،

*شريف، السيد عبد القادر، التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة ، دار الفكر العربي

* شوقي جلال، العولمة الهوية والمسار رؤسية عربية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١

* صموئيل هانتنغتون وآخرون، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ط١، ٢٠٠٠

* العجة، ناهد طلاس، تحدي العولمة: إعادة تنظيم منظومة المبادلات الدولاية أم تبدل حضاري،(ترجمة: محمد عرب صاصيلا)دار طلاس، دمشق، ٢٠٠٨
* عبد الحافظ، عبد الرشيد،الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٥
* العسكري، سليمان وآخرون، الإسلام والغرب صراع في ومن العولمة، الكويت، ط١، ٢٠٠٢
* علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، القاهرة، ١٩٢٥
* عمار جيدل وعبد المجيد صلاحين وعبد الكريم وريكات ، العولمة من منظور شرعي دار مكتبة الحامد الأردن ، ١٤٢٢هـ
* الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث، بيروت، ط١، ٢٠٠٠
*غريق بالاست، أفضل ديمقراطية يمكن للمال شراؤها،(ترجمة مركز التعريب والبرمجة)،الدار العربية للعلوم، بيروت
*الفتلاوي، سهيل أحمد، العولمة وآثارها في الوطن العربي، دار الثقافة، عمان، ط١، ٢٠٠٩، ص٨٩-٩١، ١٠٧
* فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، (ترجمة: فؤاد شاهين وجميل قاسم ورضا الشايبي)، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٣
* فراج، عفيف، ثنائية شرق غرب في مرايا: فريدريك هيغل برتراند رسل بول كينيدي روجيه غارودي إدوارد سعيد جيلبير الأشقر، دار الآداب، بيروت، ط١، ٢٠٠٨
* فرناند برديل، تاريخ وقواعد الحضارات، (ترجمة: حسين الشريف)، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٩
* فروم ،إيريك ، الإنسان بين الجوهر والمظهر، (ترجمة: سعد زهران)، عالم المعرفة، ١٩٨٩
* القاسم، خالد بن عبد الله، دور الأسرة في تربية الأولاد ووقايتهم من الانفتاح الإعلامي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، العدد ٤١،٢٠٠٦
* القرضاوي، المسلمون والعولمة، القاهرة، دار الشروق ،ط١، ١٤٢١هـ
*الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية،الإمارات دبي،دار القلم،ط١، ٢٠٠٥
*الكيلاني، ماجد عرسان، التربية والعولمة، دمشق، مركز الناقد ، ٢٠٠٨
*الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، دار القلم، دبي، ط١، ٢٠٠٨

* مالك بن نبي، مشكلات الحضارة: وجهة العالم الإسلامي، (ترجمة: عبد الصبور شاهين)، ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨١

*مايكل هاردت وأنطونيو نيغري، الإمبراطورية: امبراطورية العولمة الجديدة، (ترجمة: فاضل جتكر)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٢

* مبروك، محمد إبراهيم ، الإسلام والعولمة، ط١، ١٩٩٩

* محمد، مهاتير، العولمة ذات الاتجاه الواحد لا تناسب جميع الأمم، جريدة الشرق الأوسط، بالاتفاق مع لوس أنجلوس تايمز، العدد ٧٥١٣، ١٩٩٩/٦/٢٤

*المحنة، فلاح كاظم، العولمة والجدل الدائر حولها، عمان، مؤسسة الوراق، ط١، ٢٠٠٢.

* مراد ، بركات محمد، ظاهرة العولمة رؤية نقدية ، كتاب الأمة، قطر ،وزارة الأوقاف ،العدد ٨٦ ،١٤٢٢هـ، السنة ٢١

*المطعني، عبد العظيم، حقوق المرأة والطفل بين الإسلام والوثائق الدولية نقد لوثيقة بكين، القاهرة، دار الفاروق، ط١، ٢٠٠٥.

*منصور، ممدوح محمود ،العولمة دراسة في المفهوم والظاهرة واالأبعاد ،الاسكندرية، دار الجامعة الجديدة ، د ط، ٢٠٠٣

*ناجي، فضيله إبراهيم، هوية الفتاة المسلمة في ظل العولمة ،ضمن ندوة الفتاة المسلمة في ظل عولمة الثقافة والعلم، ملتقى الشارقة الثقافي الأول للفتيات المسلمات، الشارقة، دار المسار،٢٠٠٠.

*النحوي، الخليل، المعجم العربي الميسر،د م، د ن، د ط،١٩٩١

*النيسابوري، مسلم ين الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث الغربي، بيروت

*الهابط، محمد السيد ، التكيف والصحة النفسية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث ،ط٢، ٢٠٠٣م

*هارفي، ديفيد، الإمبريالية الجديدة، (وليد شحادة: متلاجم)، الحوار الثقافي، لبنان، ط١، ٢٠٠٤

* هارفي، حالة ما بعد الحداثة بحث في أصول التغيير الثقافي،(ترجمة: محمد شيا)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥

* هانس بيترمارتن وهارلد شومان، فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، (ترجمة: عدنان عباس علي)، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨

* هوبر، بول، نحو فهم للعولمة الثقافية، (ترجمة: طلعت الشايب)، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١١

*هوفمان، مراد، الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود، مكتبة الشروق، القاهرة، كوالالمبور جاكرتا، ط١

*الهزايمة، محمد يوسف، العولمة الثقافية واللغة العربية التحديات والآثار، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٢

*الوالي، عبد الجليل كاظم، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، المستقبل العربي،

*وحيد ،أحمد عبد اللطيف، علم النفس الاجتماعي ،عمان ، دار الحيرة،ط١٤٢١،١هـ٢٠٠١م

*يوسف، بشير ،رؤى العولمة ووهم الأمركة،عمان،دار رؤى ،٢٠٠٤

*الصحف والمجلات

* بني يونس، أسماء، عولمة الأسرة في المجتمعات المسلمة، مجلة جامعة الشارقة، العدد ٩ ، المجلد ٣، ٢٠١٢

* حبيب كمال، عولمة المرأة، مجلة التوحيد، عدد ٤، ١٤٢١هـ

* الدلال، سامي محمد صالح، الإسلام والعولمة: المنازلة العالمية الإسلامية والعولمة البشرية بين السنن الربانية والتدافع الإنساني،الرياض ، مجلة البيان ،ط٢٠٠٤،١م

* سعيد، محمد السيد، العرب والعولمة: تقليص المخاطر وتعظيم الفرص، جريدة الأهرام العدد ٤١٥٤٠ تاريخ ٣٠/٨/٢٠٠٠

*السيد يس، معركة فكرية حول العولمة، جريدة الأهرام ،٢٣ نيسان، ١٩٩٨

*شيحه ، محمود طه ،مأزق أمريكا أن قوتها الثقافية أقل بكثير من هيمنتها السياسية ، جريدة السياسة الكويتية ،العدد ١٠٦٩٠ ،تاريخ ١٩٩٨/٨/٢٨ا

* عبد الغني، مصطفى، تساؤلات التراث والعولمة-٢- ،جريدة الأهرام، العدد ٤١٣٤٩، ٢٠٠٠/٢/٢١م

* عبد الكريم، عمرو، الأبعاد الاجتماعية للعولمة : إنها الهيمنة التي تدمرنا، جريدة الحياة ،العدد ١٣٥٢، ٢٠٠٠/٣/١٨

*علواني، عبد الواحد، أطفالنا في ظل العولمة ،مجلة الطفولة والتنمية، المجلد ١ ،العدد ٢

*مؤتمر ثقافة الشباب الجامعي وقيمه في عالم متغير، الأردن، جامعة الزرقاء، كلية التربية، الداعم المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة، ٢٧-٢٩/٧/٢٠٠٤
.

Robert l. sutherland& julian l. woodward: introductory sociclogy. N. y. lippincot co. 1948. p,

D. Armstrong." Dick Cheneys song of America: drafting aplan for global dominance". Harpers magazine. 305. (October 2002) 76-83، في: الامبريالية الجديدة، ص٨٦

Abraham H Society".ed by Dorothy wesby. Gibson. 1972. pp60-64
Maslow." The unnoticed revolution in educational in adynamic

*مواقع الإنترنت

٧. www.moe.edu.59L.ee Hussein long.minisry of education,singapor.http://

٨.مستقبل الشرق الأوسط في ظل النظام العالمي الجديد،٢٤/٣/٢٠١٠،http://mostakbaliat0.com
http;/maaber.50megs [15,27]2010/2/24

١. رامي الغف، العولمة واستغلالها لكينونة المرأة ٢٣/٢/٢٠١٠ www.annabaa.org/nbanews

٢. صفاء شاهين،الغرب ومحاولة فرض العولمة، النورص٢٥٤،(٢٣/٢/٢٠١٠) (١٣/ ١٣) com/in dex٠ -nourwww.an

٣. مصطفى العبد الله الكفري، العولمة الهاجس الطاغي في المجتمعات المعاصرة،، جامعة دمشق، كلية الاقتصاد، www.ahewar.org/debat(٢٣/٢/٢٠١٠)

٤. قايد دياب، المواطنة والعولمة،٢٤/٦/٢٠٠٤ www. Cihrs.org

٥. الوالي، عبد الجليل كاظم، جدلية العولمة بين الاختيار والرفض، المستقبل العربي ص٦٤، ١٨/٨/٢٠٠٨ SEARCHLIP .YU.EDU.JO/LIB

الفهرس

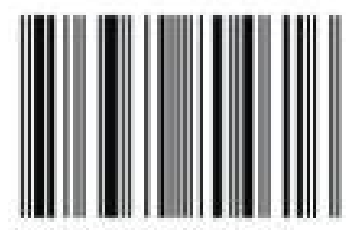

OMNIScriptum

ثقافة العولمة بين التفاعل والتكيف

هدف هذا الكتاب إلى استقراء المجالات والميادين التي أثرت فيها ثقافة العولمة في واقع المجتمعات المسلمة والمعاصرة، وتتبع علاقة مطرحاتها بالأيديولوجيا النظرية التي قامت عليها العولمة، ومن ثم مقارنة مطرحات هذه الثقافة وتأثيرها على المجتمعات المتقدمة ومجتمعات العالم الثالث والمجتمعات المسلمة في سبيل تقييمها، كما هدف إلى تتبع نماذج من المجتمعات التي تفاعلت مع العولمة وفق الهيئة التي حفظت لها خصوصيتها وأبقت على ثقافتها، ومكنت الدول المتفاعلة من التحاق بركب الحضارة المادية دون المساس بحضارتها الروحية أو ثقافتها الخاصة، وأخيرا فقد سعى الكتاب إلى وضع تصور أولي للاستراتيجية التي تستطيع أن تبدأ منها المجتمعات المسلمة في تفاعلها مع العولمة، وقد انتهجت في ذلك كله منهجي: الاستقراء ودراسة الحالة، وعرضت أسئلة الدراسة في ثلاثة مباحث ضمنتها محاور البحث التي توصلت من خلالها إلى الأهداف والاستنتاجات المعروضة في الخاتمة، حيث خصص المبحث الأول لتوضيح البنية المفاهيمية والأيديولوجية النظرية لثقافة العولمة، وخصص المبحث الثاني لبيان أدوات العولمة والأوساط التي أثرت فيها الثقافة التي حملتها، وأفردت المبحث الثالث لبيان المنهجية التي تتعاطى بها المجتمعات والدول المعاصرة مع ثقافة العولمة، وأخيرا قدمت الدراسة عرضا لمشروع أولي لتعاطي المجتمعات المسلمة مع واقع العولمة وثقافتها وتحدياتها.

د. أسماء عبدالمطلب حسن بني يونس، أستاذ مشارك متخصص في الدراسات الأسرية والتربية الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية بكلية الشريعة/جامعة اليرموك، حصلت على الدكتوراه في موضوع: "تنمية مفهوم الذات وتوكيدها وتأثير الأسرة المسلمة فيها". لها العديد من الأبحاث والدراسات المنشورة ومؤلفات من بينها: كتاب دليل المبتدئ إلى المناهج العامة في البحث العلمي.





978-3-330-80461-6